

أَفَاقٌ مِّنْ فِكْرٍ الْقَائِدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَفَاقُ مِنْ فِكْرِ الْقَائِدِ

حَسَنُ الْقَائِمِ الْمَوْسَوِي

هوية الكتاب

اسم الكتاب	آفاقٌ مَنْ فُكِّرِ القَائِدِ
إعداد	السيد حسين القابجي الموسوي
الطبعة	الأولى ١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م
عدد النسخ	١٥٠ نسخة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
(٢٥٣٣) لسنة ٢٠٢٦م

رقم الإيداع الدولي
978-9922-784-55-7

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
صدق الله العلي العظيم

سورة الحديد، الآية: ٢٥

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الذي كرم بني آدم بالعقل، وهداهم بنور الوحي، وجعل في كل زمان ومكان أدلاء على طريقه، وحراساً لدينه، ومصابيح تضيء دياجي الظلمات.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، والمؤسس لأعظم حضارة عرفها التاريخ، نبينا الأكرم أبي القاسم محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آله الطيبين الطاهرين عليهم السلام، سادة الخلق، وأئمة الحق، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد...

في ظل التحولات الكبرى التي يشهدها العالم اليوم، والصراع المحتدم بين حضارة مادية إستكبارية تسعى لتسليع الإنسان وتجريده من هويته الروحية، وبين مشروع إسلامي أصيل يهدف إلى إحياء الفطرة وإقامة القسط، تتجلى الحاجة الماسة إلى (البوصلة الفكرية) التي تضبط المسار، وتحدد الأولويات، وتُنير درب السالكين والمجاهدين.

هذه البوصلة لا يمكن أن تستقى إلا من ينابيع الحكمة المتمثلة في الرؤية الكونية الإسلامية، والتي يتصدى لبيانها وتأصيلها في عصرنا، قادة ربانيون يحملون هم الأمة، ويستشرفون آفاق مستقبلها.

وهنا يتصدر المشهد الفكري، المفكر الإسلامي الكبير، وقائد مسيرة المواجهة والمقاومة، سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني الخامنئي (رضوان الله عليه)، كمرجعية فكرية وحضارية فذة.

إنَّ المتابعَ للمنظومة المعرفيةَ لسماحةِ القائد عليه السلام، يدركُ يقيناً أنه لا يطرحُ مجردَ نظرياتٍ سياسيةٍ أو توجيهاتٍ مرحليةٍ، بل يقدمُ (مشروعاً حضارياً متكاملًا)، يبدأ من أعمق طبقات المعرفة الإنسانية (نظرية المعرفة والرؤية الكونية)، وينتهي بأدق تفاصيل بناء المجتمع والدولة وإدارة الصراع مع قوى الهيمنة العالمية.

إنَّ الفكرَ الذي أنتجه سماحةُ السيد القائد ليس فكرًا تجريدياً معزولاً عن الواقع، بل هو فكرٌ حركيٌّ، ينبضُ بالحياة، وينبعُ من فهمٍ عميقٍ للقرآن الكريم والسنة المطهرة، وتجربةٍ ثريةٍ في قيادة الدولة ومواجهة الاستكبار العالمي.

إنه فكرٌ يربطُ الأرضَ بالسماء، ويجمعُ بين (العقلانية) و(المعنوية) و(العدالة)، ليصيغَ إنساناً رسالياً قادراً على صناعة التاريخ.

لقد آليتُ على نفسي في هذا الكتاب، (آفاق من فكر القائد)، أن يكون مسعىً علمياً لرصد أهمِّ المرتكزاتِ والمفاهيمِ التي تبنى عليها رؤية سماحة السيد الشهيد القائد عليه السلام لبناء الحضارة الإسلامية الحديثة.

ولم تكن الغاية مجرد الجمع، بل حرصتُ على ترتيب هذه المفاهيم ترتيباً منطقيًا، يأخذ بيد القارئ في رحلة معرفية متصاعدة:

بدأنا في (الرؤية المعرفية والفكرية) لأنَّ أيَّ بناءٍ حضاريٍّ لا يمتلك رؤيةً واضحةً للكون، وللإله، وللإنسان، هو بناءٌ هشٌّ آيلٌ للسقوط.

فالمعرفةُ بالله وبموقعية الإنسان في هذا الوجود هي حجرُ الزاوية لكلِّ تحركٍ اجتماعيٍّ أو سياسي.



ثم انتقلنا إلى مفهوم (الحضارة الإسلامية) وما تتطلبه من أركان وخصائص، لنصل إلى واحدٍ من أهمِّ إبداعاتِ الفكرِ السياسيِّ الإسلاميِّ المعاصر، ألا وهو (السيادة الشعبية الدينية).

اذ يُبين سماحةُ القائد الشهيد عليه السلام كيف استطاع الإسلامُ المحمديُّ الأصيل أن يطرحَ نموذجاً فريداً للحكم، يتجاوزُ دكتاتوريةَ الأنظمة الشمولية، ويُعري زيفَ الأنظمة الغربية، مقدماً نظاماً يكون فيه الشعبُ هو الحاضر الأكبر، والانتخاباتُ هي ساحةَ الاقتدارِ والمشاركةِ الحقيقيةِ في ظلِّ التشريعِ الإلهي.

ولأن مسيرةَ البناءِ الحضاريِّ تواجهُ أعداءً يتربصون بها، كان لا بدَّ من التوقفِ عند تحصيناتِ هذا البناء، فأفردنا مباحثَ وافيةً حول (الوحدة الإسلامية) كخيارٍ استراتيجيٍّ وفريضةٍ قرآنيةٍ لا مجرد شعارٍ تكتيكي. وتطرقنا إلى (العدالة الاجتماعية) بوصفها غايةَ بعثةِ الأنبياء عليهم السلام، وإلى الجهاد والشهادة بوصفهما طريقَ العزةِ وصمَّامِ الأمانِ لبقاءِ الروحِ الثوريةِ في الأمة.

وكذلك بيانِ دورِ العلم، والفضاءِ الافتراضي، والأسرة، ودورِ الشباب في هذه النهضة، مختتمين بالقيمِ المعنويةِ العليا كحسنِ الظنِّ بالله، والبصيرة، والأمل، لأن المعركةَ اليومَ هي معركةٌ وعيٍ وإراداتٍ ومعنوياتٍ قبل أن تكونَ معركةَ سلاح.

إن منهجيةَ هذا الكتاب الذي بين أيديكم، لا يمثلُ اجتهداً شخصياً في توليدِ الأفكار، بل هو استسقاءٌ مباشرٌ من النبعِ الأصيل.

فقد اعتمدتُ في هذا الكتاب الجمع والتبويب والاختيار المنهجيَّ لـ
الكلمات والخطابات والتوجيهات الصادرة عن سماحة آية الله العظمى
الإمام السيد علي الخامنئي قدس سره، في مناسبات ومراحل زمنية مختلفة.
وهنا لا بد من كلمة إنصاف، إذ إن العمل الأساس في جمع وبلورة هذه
النصوص المرجعية، قد تمّ بالاعتماد الأساسي والاستفادة القصوى من
الجهود الكبيرة والمباركة التي بُذلت في الإصدارات والكتب المنشورة
في (شبكة المعارف الإسلامية).

فقد قامت جهات النشر والتحقيق في الشبكة، جزاهم الله خير الجزاء،
بجهود جبارة في توثيق وتصنيف وترجمة وإخراج خطابات سماحة
السيد القائد قدس سره في كتب وكتيبات موضوعية شكلت مكتبة غنية
للباحثين.

وتمثل دوري في اجراء قراءة فاحصة، واختيار دقيق، وإعادة صياغة
وتبويب هيكليٍّ لهذه المادة بما يخدم الرؤية التسلسلية للكتاب، ويسهل
على القارئ، وخصوصاً النخب الشابة والمثقفين، الإحاطة بأهم مفاصل
هذا الفكر المترامي الأطراف في مجلد واحد، ليكون دليلاً نظرياً وعملياً
في آن واحد.

ليجد القارئ العربي والعراقي، وخصوصاً النخب الشابة، (خلاصةً
مركزة) ترسم المعالم الكبرى لمدرسة القيادة والولاية في مجلد واحد.
إننا إذ نضع هذا الكتاب بين يدي القراء الأعزاء، ندرك تماماً أننا نعيشُ
في زمن المواجهة الشاملة، أو ما يُعبر عنه سماحة القائد بـ (الجهاد الكبير)
(وجهاد التبيين).



إن الأعداء اليوم يراهنون على تشويه المفاهيم، وبث اليأس، وكسر إرادة الشعوب المؤمنة بخط المقاومة والإسلام الأصيل.

وفي ظل هذه الهجمة الشرسة، يصبح نشر المعارف الأصيلة، وتبيين الفكر القيادي الواضح، واجباً ومسؤولية شرعية وأخلاقية تقع على عاتق كل غيور على هذا الدين.

إن الشباب الذين يواجهون سيل الشبهات في الفضاء الافتراضي، والمجاهدين الذين يرابطون في ساحات الوغى، والمتففين الذين يتصدون للحرب الناعمة، بحاجة ماسة إلى تعميق بصيرتهم واستمداد اليقين من هذه الآفاق الفكرية المشرقة.

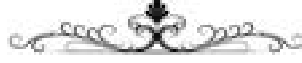
فالأمل معقود على الجيل الشاب ليحمل راية (الحضارة الإسلامية الحديثة)، وليمضي بها قدماً واثقاً بوعده الله القاطع: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

نسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

كما نسأله تعالى أن يرفع درجات الإمام الشهيد القائد سماحة السيد الخامنئي قدس سره، ويحشره مع الأنبياء عليهم السلام والصديقين، ويحفظ سليل الولاية آية الله العظمى سماحة السيد مجتبي الخامنئي (دام ظله) ويمنّ عليه بالصحة والعافية، ويصون علماءنا الأبرار، ويرحم شهداءنا الأبطال ويحفظ مجاهديننا المرابطين، إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين





الرؤية المعرفية والمنطلقات الفكرية

لا يمكن لأي إنسان أن يمضي في رحلة الحياة دون (بوصله فكرية) تُوجّه خطاه وتضبط معايير القيمة لديه، فالمواقف التي نتخذها ليست مجرد ردود أفعال عابرة، بل هي نتاج حتمي لنظام فكري مستتر في أعماقنا.

وسواء استقى الإنسان هذا النظام من موروته، أو تلقاه عبر التعليم، أو صاغه بجهد بحثي خاص، فإنه يظل المحرك الأساس لسلوكه. أما الغارقون في بحر الشك والارتباك الذين لم يؤسسوا لأنفسهم منظومة فكرية واضحة، فإن حياتهم تؤول إلى شتاتٍ وضياح على مستوى المواقف والقرارات.

ولكي ندرك أبعاد الرؤية الكونية لدى سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره بعمق ودقة، فإنه من الضروري التبحر في موضوعات جوهرية، مثل نظرية المعرفة، ومعرفة الخالق، وفهم حقيقة الإنسان، ومعالم الولاية والإسلام، وصولاً إلى فقه الاجتماع العالمي.

ومن خلال هذا البحث، يتجلى لنا أن (التوحيد) ليس مجرد عقيدة قلبية، بل هو المحور المنهجي الذي ينتظم في ظله تدبير شؤون العالم والإنسان، سعياً لتحقيق القرب من الله عز وجل.

وقد لخص سماحة القائد قدس سره هذه الرؤية الكونية والمنظومة الفكرية في خمس ركائز جوهرية تشكل خارطة الطريق للإنسان المعاصر:

- التوحيد: باعتباره المنطلق والمنتهى لتركيب الكون.

- تكريم الإنسان: بوصفه الكائن المحور في مشروع الاستخلاف.
- أبدية الروح: والإيمان باستمرار الحياة بعد الرحيل عن هذا العالم المادي.

- اللانهاية الإنسانية: وهي قدرة الإنسان الفائقة على اكتساب كل أدوات الرقي والكمال.

- حتمية الصلاح: وهي الحركة الكونية الواثقة نحو سيادة الحق وانتصار القيم الصالحة.

إن هذه المبادئ الخمسة لم تكن مجرد أفكار نظرية، بل هي العمام المتين الذي تشكلت عليه الرؤية الحضارية الشاملة لسماحته ﷺ، والأساس الذي تنبثق منه كل مواقفه ورؤاه الاستراتيجية، يقول ﷺ: «التوحيد في الرؤية الكونية الإسلامية يعني أن للعالم خالقاً وصانعاً.

بعبارة أخرى، له روح نقيّة ولطيفة، للعالم مبدع، وأجزاء هذا العالم كلّها، العباد والعبيد والموجودات، هم تحت تصرف ذلك الخالق والمبدع. هذا هو التوحيد في الرؤية الكونية الإسلامية؛ أي عندما ينظر المسلم من منظار الإسلام إلى هذا العالم، لا يرى هذا العالم موجوداً مستقلاً، بل يراه موجوداً مرتبطاً ومتعلقاً بقدرة أعلى»^(١).



(١) السيد علي الخامنئي، الفكر الإسلامي في ضوء القرآن الكريم، ترجمة: محمد علي آذرشب: ص ١٨٦، دار المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

نظرية المعرفة

تُعد (نظرية المعرفة) من الميادين الفلسفية العميقة التي تغوص في جوهر الإدراك الإنساني لتحديد ماهية المعرفة وحدودها ومجالاتها. إنها تبحث في الجذور والفرضيات التي تسبق عملية الوصول إلى الحقيقة، وتقيم مدى اعتبار أقسام المعرفة وتنوعاتها. وفي البناء الفكري الإسلامي، لا يُكتفى بالتلقي السطحي للنصوص، بل يركز الفهم الديني الأصيل على قاعدة (الاجتهاد) وإعمال العقل والتبصر.

وهذا ما يوضحه سماحته قدس سره بجلاء حين يقول: «الاجتهاد في الدين يعني التدبر فيه، بمعنى أن الدين الدقيق، والمنظور فيه بنظرة متفحصة، والممنهج... هو متعلق المعرفة الدينية»^(١). يقول قدس سره في هذا الموضوع: «النظام الإسلامي هو النظام المبني على الهندسة الإلهية للمجتمع، وعلى الخطّة التي رسمها الخالق للمجتمع، إذا تحققت هذه الخطّة، أمكن غضّ الطرف عن كثير من المخالفات، وحالات الزيف والزلل الفرديّة، والشخصيّة، والجزئية»^(٢).

ولا يمكن بناء منظومة معرفية إسلامية رصينة دون الاعتماد على أسس متينة وأصيلة للوصول إلى الحقيقة الدينية الإلهية.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/١٠/١٩٩٨ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/٠٢/٢٠١٠ م.

وتتجلى هذه الأصول المعرفية الكبرى في ثلاثة منابع رئيسية: (القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والعقل المدرك).

فالارتباط بنبع الوحي هو حجر الزاوية للمفكر والفقيه معاً. يبين سماحته قدس سره هذا الترتيب المنهجي لاستنباط الأحكام والمعارف: «عندما يريد الفقيه الاستنباط من أجل تدوين فقه الإسلام... الشيء الأول الذي سيكون أمامه هو القرآن، الذي يعبر عنه بـ«الكتاب»، ويأتي بعد الكتاب، وإلى جانبه، «السنة»... والسنة هي قول المعصوم وفعله وتقريره»^(١).

ولا يتوقف البناء المعرفي عند حدود النقل، بل يتوجه الإسلام بوضوح نحو (العقل) كدعامة ثالثة وأساسية.

فالعقل ليس خصماً للنص، بل هو المصباح الذي يستضاء به لفك كنوز الشريعة وربطها بالواقع المعاصر.

يؤكد سماحة القائد قدس سره على هذه المركزية العقلية قائلاً: «العقلانية هي الأداة الأهم في فهم الفكر الإسلامي»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٧٢م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٠٤/٠٨/١٥م.

تترابط آفاق معرفة الخالق تبارك وتعالى بشكل وثيق مع (علم التوحيد) إذ يرى سماحة القائد قدس سره أن هذه المعرفة لا يمكن أن تكتمل أو تتحقق بصورتها الواقعية دون الولوج من بوابة التوحيد الحقيقي. فالتوحيد في نظره ليس مجرد قناعة ذهنية باردة، بل هو موقف وجودي يجمع بين الإيمان المطلق بالله والرفض القاطع لكل صور (الطاغوت) والتبعية لغيره.

يقول سماحته قدس سره في تبيين هذا المفهوم الشامل: «التوحيد ليس منحصراً بالاعتقاد بالله، بل هو الاعتقاد بالله والكفر بالطاغوت، والعبودية لله وعدم عبودية غيره»^(١).

ويمتد هذا النفي ليشمل كل ما يحاول مزاحمة العظمة الإلهية في قلب الإنسان أو في واقع المجتمع.

فالتوحيد يقتضي تجريد العظمة عن الأصنام المادية، وكذلك عن القوى البشرية التي تحاول تقمص أدوار الألوهية في التحكم بمصائر الناس.

يؤكد سماحته قدس سره ذلك بقوله: «إنَّ التوحيد لا يعني الاعتقاد بوجود الله فحسب، بل لا بدَّ من نفي الألوهية والعظمة عن غيره، كالأصنام والحجارة والأخشاب المصنوعة، والناس الذين يدعون الألوهية، والناس الذين لا يدعونها، لكنهم يريدون القيام بأعمال الإله»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣/١١/٢٠١٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٢/٠٢/٢٠٠٠ م.

إن جوهر التوحيد وروح معناه يكمنان في التحرر التام من أي عبودية لغير الله، إذ يمثل التوحيد عدم خضوع الإنسان لسطوة الغرائز والأهواء من جهة، أو لسطوة الاستبداد والديكتاتورية من جهة أخرى.

ففي المجتمع الموحد، تكون الهداية والرحمة الإلهية هي المصدر الأساس لتنظيم شؤون الحياة، مما يجعل الموحدين عصيين على الظلم والخنوع.

يقول سماحته قدس سره: «التوحيد يعني عبودية الله تعالى وحده، بمعنى أن لا تسيطر الأهواء والشهوات والغضب على حياة الإنسان، بمعنى أن لا تكون الديكتاتوريات، ولا الاستبداد، ولا الأنانيات، هي التي تدير حياة الإنسان، أن يكون العلم الإلهي والقدرة الإلهية والرحمة والفيض والهداية الإلهية، الأساس والمصدر لإدارة حياة الإنسان. هذا هو معنى التوحيد... إننا، إن كنا نعتقد بالتوحيد، فلا يمكننا أن نخضع للظلم والاستبداد، ولا يمكننا البقاء ساكتين أمام الظلم، هذه هي ماهية التوحيد»^(١).

وفي المنظومة الفكرية والعملية لسماحة السيد الخامني قدس سره، يتسع نطاق التوحيد ليشمل كافة مراتب الوجود والنشاط البشري، ابتداءً من التوحيد في الذات والأفعال، وصولاً إلى التوحيد في الحاكمية، والمالكية، والربوبية، والاستعانة والمحبة.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٣/١٦ م.

غير أن هذا البناء التوحيدي العظيم يرتكز على قاعدة أخلاقية وشرط أساسي، يوضحه سماحته بقوله قُلُوبُهُ: «الشرط الأساس في التوحيد، هو مخالفة النفس وعدم اتباع أهوائها»^(١).

معرفة العالم

لا يمكن صياغة القوانين التي تنظم المجتمع الإنساني، أو ضبط طبيعة الروابط التي تجمع الإنسان بخالقه وبمحيطه الطبيعي والاجتماعي، دون الارتكاز على رؤية واضحة وبصيرة دقيقة لـ (معرفة العالم).

فهذه المعرفة لا تقف عند حدود المادة، بل تمتد لتشمل الإحاطة بمنظومة عوالم الوجود المتدرجة، كعالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الأفلاك، وصولاً إلى عالم الآخرة الأبدي.

وفي سياق البناء الفكري لسماحة القائد قُلُوبُهُ، تبرز فكرة أساسية تتمثل في الارتباط المطلق لكافة ظواهر الوجود بالقدرة العليا المطلقة المتمثلة في الله عز وجل.

فالعالم وما فيه من موجودات لا يملك استقلالية ذاتية، بل هو مسخر ومقهور للأمر الإلهي، الذي يمسك بزمام الأمور كلها، إيجاباً، وتنظيماً، واستدامةً. يؤكد سماحته على افتقار العالم إلى الخالق وارتباطه التكويني به قائلاً قُلُوبُهُ: «العالم حقيقة غير مستقل بنفسه، فهو لم يوجد نفسه بنفسه، ولم ينتج من تلقاء نفسه، بل إنَّ يداً قديرة هي التي خلقت هذه الظواهر المختلفة، يداً قديرة هي التي أوجدت تلك

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلُوبُهُ، بتاريخ: ٢٠٠٠/١٢/٠٢ م.

الحركة المفرطة في قلب الذرة، وخلقت في أعلى العوالم غير المكتشفة، المجرات وما يحيط بها من أشياء، والتي يمكن اكتشاف مليارات الأضعاف مما اكتشفناه إلى الآن منها»^(١).

معرفة الإنسان

يحظى الإنسان بمكانة استثنائية تميزه عن بقية الموجودات، مما يجعله المحور الأساسي الذي تتجه نحوه أنظار العلوم بمختلف تخصصاتها.

فالبحث في كيان الإنسان لا يقتصر على تكوينه البيولوجي، بل يمتد لاستكشاف أسرار الوجودية، والتأمل في حقيقة إنسانيته وجوهر أصلته، من أين أتى؟ وإلى أين يؤول؟ وما هي الغاية العظمى من استخلافه في هذه الأرض؟ يوضح سماحة القائد أن هذا التميز الإنساني يرجع إلى المنحة الإلهية الكبرى، حيث يقول عليه السلام: «إِنَّ قُوَّةَ التَّفَكِيرِ والِاخْتِيارِ والإِرادةِ في الإنسانِ هي التي ميّزته من سائر الموجودات والإنسان في مقابلهم شيء مختلف... هذه الميزات كلّها الموجودة في الإنسان، إنّما هي نتيجة لنفخ روح الله فيه، وتجلّي روح الله في الإنسان»^(٢).

(١) السيد علي الخامنئي عليه السلام الفكر الإسلامي في ضوء القرآن الكريم، مصدر سابق: ص ١٨٥.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٩٨٩/٠٦/٠٨ م.

ولا ينظر سماحته إلى الطبيعة الإنسانية بنظرة تشاؤمية، بل يؤمن بعمق بأن الله سبحانه أودع في هذا المخلوق غرائز ومقومات فطرية تدفعه، بطبيعتها الأصيلة، نحو الخير والصلاح وبناء مسار إيجابي. وهذه القوى الداخلية ليست في حالة صراع، بل تتكامل لتشكيل هوية الإنسان.

يقول سماحته في بيان هذا التناغم النبوي: «ثمة قوى متعددة في وجود الإنسان وطبيعته، تنظم فطرته، وتقع هذه القوى جميعاً في امتداد واحد، ولا يوجد بينها أيّ تعارض أو تضادّ، توجد في قوام الشخصية الإنسانية، غير العوامل والعناصر المشكّلة لوجود الإنسان الخارجي والظاهريّ، مقومات أخرى لها جانب تأسيسيّ، كالأفكار والرؤية الكونية التي لها تأثير أساسيّ في تشكيل شخصيته»^(١).

معرفة الإسلام

عندما نستعرض معالم (الإسلام المحمّدي الأصيل) عبر نافذة الفكر القيادي لسماحة السيد الخامني قدس سرّه، نجد أنفسنا أمام رؤية شاملة لا تكتفي بسرد أصول الدين وفروعه، بل تغوص في عمق التشريعات والأخلاق والمعنويات التي تهدف في نهايتها إلى صياغة الإنسان المتكامل.

ولبيان هذا المشروع، سنركز على الكليات المنهجية التي تميز هذا الفهم المعاصر للدين.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سرّه، بتاريخ: ١٩٨٩/٠٦/٠٨ م.

يسير سماحة القائد على نهج الإمام الخميني قدس سره في ترسيخ هوية الإسلام الأصيل، حيث يصفه بأنه: «الإسلام المحمّديّ يعني الإسلام المناهض للظلم، والإسلام الرامي لتحقيق العدل والإسلام المجاهد، والإسلام المنافح عن المحرومين والإسلام المدافع عن حقوق الحفاة والمظلومين والمستضعفين»^(١).

ويرى سماحته أن هذا النبع الصافي كان الهمّ الأول للإمام الراحل قدس سره، وقد جاءت الثورة الإسلامية لتكون المختبر الواقعي الذي جلى ملامح هذا الدين في العصر الحديث، مخرجاً إياه من زوايا الانزواء إلى ميادين الفعل، حيث يقول: «في الثورة الإسلامية، حلّ إسلام الكتاب والسنة مكان إسلام الخرافة والبدع، وإسلام الجهاد والشهادة مكان إسلام القعود والخضوع والذلة، وإسلام التعبّد والتعقّل مكان إسلام الالتقاط والجهل، وإسلام الدنيا والآخرة مكان إسلام حبّ الدنيا أو إسلام الرهبانيّة، وإسلام العلم والمعرفة مكان إسلام التحجّر والغفلة، وإسلام السياسة والدين مكان إسلام التحلّل من القيود واللامبالاة، وإسلام القيام والعمل مكان إسلام الخمول والبرود، وإسلام الفرد والمجتمع مكان إسلام المظاهر وعدم الاكتراث وعدم التأثير، والإسلام المنقذ للمحرومين مكان الإسلام الذي هو



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٠/٠٦/٠٤م.

ألعوبة بأيدي القوى الكبرى والسلطات، والخلاصة الإسلام المحمديّ الأصيل مكان الإسلام الأميركي^(١).

ويحدد سماحة القائد الغاية القصوى للرسالة في تمكين كلمة التوحيد داخل البنية الفردية والاجتماعية على حد سواء، معتبراً أن الأمة الواحدة هي الثمرة الطبيعية لهذا التوجه قائلًا: «لقد كان الهدف الأعلى للدين الإسلاميّ تحقّق كلمة التوحيد في الحياة الفردية والاجتماعية.

وتشكيل الأمّة الواحدة التي تؤدّي حقّ العبوديّة لله تعالى هو الهدف الذي تهبّي كلّ واحدة من العبادات والفرائض الإسلامية الأرضية لتحقيقه»^(٢).

إن هذه الرؤية الحركية للإسلام تثير حفيظة القوى الاستكبارية والطواغيت، لأنها تمنح المستضعفين أسباب القوة والكرامة، وهو ما يفسر العداء المستمر الذي يواجهه نظام الجمهورية الإسلامية منذ انطلاقه.

يوضح سماحته عليه السلام: «الإسلام الأصيل هو الذي يخيف أمثال أبي جهل.

لو كان الإسلام بحيث لا يخافه أمثال أبي جهل وأبي سفيان ولا يعادونه، لوجب علينا أن نشكّ في كونه إسلامًا.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٩٩٠/٠٥/٣١ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٩٩١/٠٦/١٦ م.



فالإسلام الذي لا تعقد الطبقات المحرومة والمستضعفة الآمال عليه ولا تحبّه، ليس إسلاماً.

والإسلام الذي لا يستطيع إحياء الآمال المسروقة والخامدة للشرائح المظلومة في أرجاء العالم -لا على مستوى بلدنا وحسب - فلتشكّوا بأنّه دين الإسلام»^(١).

وخلاصة ما قدمه سماحة السيد الخامني قدس سره في تعريفه المنهجي للإسلام المحمّدي الأصيل يتبلور في النقاط الآتية:

- جوهر العبودية: يتمثل الإسلام الحقيقي في التسليم المطلق لله عز وجل، والتحرر من كل صنوف العبودية لغيره.

- الدين كحركة ثورية: إن بعثة النبي الأكرم ﷺ كانت انطلاقة لمشروع تغييرى بدأ في المدينة المنورة واستمر بنهج الأئمة عليهم السلام لحماية أصالة الدين.

- صناعة الأمل: الإيمان بالعقيدة هو المحفز الذي يبث الثقة والصلابة في نفوس البشر لمواجهة المتسلطين بقلب ثابت.

- أركان الهوية: يقوم الإسلام الأصيل على ركائز أربع متلازمة هي: المعنوية، العدالة، العقلانية، والارتباط الوثيق بمصالح الناس ومصيرهم.

- الشمولية: الدين يغطي كافة احتياجات الإنسان المادية والروحية، ويمهد الطريق للازدهار في الدارين.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ١٣/٠١/١٩٩٠م.

- الثمرة الاجتماعية: إقامة نظامٍ قوامه القسط والعدل هو الثمرة الكبرى لتطبيق قيم الإسلام.
- روح الجماعة: يعمل الإسلام الأصيل كمحرك للوحدة والانسجام، محولاً المجتمع إلى جسدٍ واحد متماسك.

الإسلام والسياسة

يُقدم سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره في منظومته المعرفية رؤيةً للإسلام تتجاوز الأطر التعبدية الضيقة لتشمل كافة مناحي الحياة الإنسانية، وفي قلبها السياسة وإدارة شؤون الحكم.

ولطالما كان نضال المسلمين وسعيهم الدؤوب لإقامة نظام سياسي إسلامي نابعاً من إيمانهم بأن الدين هو الموجه الحقيقي لحركة المجتمع. وفي بيان فلسفة هذا الترابط، يقول سماحته قدس سره: «يرى الإسلام أنَّ الدنيا قنطرة الإنسان لبلوغ الكمال، وأنها مزرعة الآخرة، ومن هذه الزاوية وهذه الرؤية تكون الدنيا عبارة عن الإنسان والعالم.

وأنَّ حياة البشر: عقلهم وعلمهم، حقوقهم، واجباتهم وتكاليفهم، ميادينهم السياسية واقتصاد المجتمعات والميادين التربوية وميادين العدالة تُشكّل مجتمعة ميادين الحياة.

وعليه تكون الدنيا المضمار الأساسي للتكليف والمسؤولية والرسالة الدينية، لقد جاء الدين كي ينظّم الجهود الإنسانية ويعمل على هدايتها في هذا الميدان الواسع والمتنوع.

وعلى هذا التفسير وهذا الفهم للدنيا لا يمكن الفصل بين الدين والدنيا»^(١).

وانطلاقاً من هذه الرؤية الكونية، يُحذر سماحته من فصل السياسة عن منبعها الديني، إذ يرى أن هذا الانفصال هو في الجوهر ابتعادٌ عن القيم الأخلاقية والمعنوية التي تضبط المسار الإنساني، فبدون الدين تتحول السياسة إلى أداة مادية بحتة تفتقر للروح.

يقول سماحته في هذا الصدد: «عندما تنفصل السياسة عن الدين، فإنّها ستنفصل عن الأخلاق، وعن المعنويّة... وعندما ينفصل الدين عن السياسة، تصبح السياسة غير خلقيّة، قائمة على الحسابات الماديّة والنفعية كافّة»^(٢).

وتتجاوز هذه الرؤية مستوى التنظير لتصل إلى التكليف العملي، حيث يُلقى سماحته مسؤولية الوعي السياسي على عاتق علماء الدين والمنتسبين لهذا النهج.

فالإحاطة بالواقع السياسي ليست ترفاً، بل هي ضرورة لفهم الدين نفسه ولتقديم الأحكام الشرعية بروح معاصرة ومؤثرة.

يُحدد سماحته ملامح هذه المسؤولية قائلاً: «عندما تقولون بعدم فصل الدين عن السياسة، فعلى أهل الدين أن يكونوا عارفين بالسياسة، وفاهمين لها، ويكونوا فعّالين في الأماكن التي يكون ميدان العمل

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلوبه، بتاريخ: ٢٠٠٥/٠٦/٠٤ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلوبه، بتاريخ: ٢٠٠٩/٠٩/١١ م.



فيها سياسياً، أمّا في الأماكن التي يكون فيها ميدان العمل هو بيان الأحكام الدينيّة المحضّة، فعليهم أن يبيّنوها انطلاقاً من وعيهم للأمور والأوضاع السياسيّة»^(١).

معرفة الولاية والإمامة

تمثل (الولاية) في المنظومة الفكرية لسماحة السيد الخامني قدس سرّه الأساس لبناء المجتمع الإسلامي، فهي ليست مجرد مصطلح نظري، بل هي رباط وثيق وتلاحم استراتيجي يجمع أفراد الأمة حول عقيدة واحدة وهدف مشترك.

هذا المفهوم يعبر عن حالة من التكاتف الذي يحول المجتمع من مجرد تجمع بشري إلى جبهة مترابطة تسعى لتحقيق الغايات الكبرى. يُعمّق سماحته قدس سرّه هذا المعنى بقوله: «الترباط الولائي الذي يعدّ ظاهرة سياسيّة واجتماعيّة وموقفاً مصيرياً في الحياة، يتحقّق بالجهد والحركة والهجرة والعمل المشترك والموقف الموحد. ولهذا لا يكون الولي في النظام الإسلامي بمعزل عن الأمة. فالولاية تعني التلاحم والانسجام والترابط، كما تعني، في أحد أبعادها المحبّة، وتعني في موضع آخر التآزر والتعاون. وهذه المعاني كلّها تمثّل في الواقع مصاديق للارتباط والتضامن والاتّحاد والوحدة، أمّا المعنى الحقيقي فهو الاتّحاد والتلاحم»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سرّه، بتاريخ: ١٩٩٧/٠٥/٠٣ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سرّه، بتاريخ: ١٩٩٨/٠٤/١٦ م.

ولا تقف الولاية عند حدود الترابط الاجتماعي، بل تتجاوزه لتكون الامتداد الطبيعي لرسالة السماء.

فسماحة القائد يرى في الولاية والإمامة الركن الثاني بعد النبوة، فإذا كانت الرسالة هي التبيين وإيصال المنهج، فإن الولاية هي الإدارة والتطبيق الميداني لهذا المنهج من خلال قيادة الأمة.

يوضح سماحته هذه العلاقة التكاملية قائلاً: «كان أنبياء الله قادة البشر، لأنهم يعلمون أمر الله ونهيه، ولأنهم يعرفون طريق إرشاد البشر وتربيتهم وتكاملهم.

والرسالة التي هي المنصب الأول للرسول، توضح لهم البرامج والمشاريع الإلهية والإمامة والولاية التي هي المنصب الثاني للرسول، تعدّهم لإدارة المجتمع، أي منصب قيادة المجتمع، غاية الأمر على نحو الإمامة والولاية، أي العلاقة العميقة والمتلاحمة بين الشعب والقائد»^(١).

وفي عبارة أخرى، يقول سماحته أن: «الإمامة تعني حكومة المجتمع الإسلامي»^(٢).

ولأن غاية الأنبياء الكبرى هي إقامة القسط، فإن الإمامة تتطلب بالضرورة خوض غمار العمل السياسي.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٨٢/٠٩/٢٨ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٨٥/٠٤/١٢ م.

إن سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام لم تكن يوماً منعزلة عن النضال من أجل بناء مجتمع عادل، فهذا النضال هو الامتداد الحقيقي لحركة الأنبياء في مسعاهم لتشكيل النظام الإلهي.

يشير سماحته قدس سره إلى هذا البعد الحركي بقوله: «أحد الأمور التي كان الأئمة عليهم السلام جميعاً يشرعون بها، بمجرد انتقال الإمامة إليهم، كان النضال السياسي، العمل السياسي من أجل تسلّم الحكومة.

هذا العمل السياسي هو كسائر النشاطات والأعمال التي كان يقوم بها أولئك الذين يريدون تشكيل نظام ما...، إنّ تشكيل مجتمع ما قائم على أساس العدالة والقسط هو عمل سياسي...، وهذا هو هدف الأنبياء، ليس نبينا فحسب، بل عيسى وموسى وإبراهيم والأنبياء جميعاً، جاؤوا لتشكيل النظام الإسلامي»^(١).

إن الإمامة بهذا المعنى ليست منفصلة عن النبوة، بل هي وليدة شرعية لنهاجها، وُجدت لتكمل المسيرة وتحقق مقاصدها.

ويفصل سماحته هذه المقاصد قائلاً: «بحسب تصوّري، إنّ استمرار النبوة على هيئة الإمامة، وولادة نهج وخطّ باسم الإمامة من خطّ ونهج آخر هو النبوة، إنّما هما لهدفين:

١. تدوين الدين وتبيينه.
٢. استمرار خطّ النبوة، وتحقيق أهداف النبي ومقاصده.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٢/٠٨/٢٠٠٦ م.

ليقرأ ويفهم الكتاب وسنة النبي ﷺ ومنهجه وأقواله، وينضجها في عقله، أن يطبقها على احتياجاته، أن يبين الأفكار الأصيلة ويشرحها، أن يكون على رأس المجتمع الإسلامي، ويتابع تلك الحركة والمسار والسعي الذي كان يقوم به الرسول ﷺ من أجل التقدم بهذا المجتمع وإيصاله إلى السمو والتكامل»^(١).

ويذهب سماحته إلى أبعد من ذلك، معتبراً أن تخلي الإمام أو الولي عن مهمة القيادة السياسية والاجتماعية يترك نقصاً في مشروع النبوة نفسه، حيث يقول: «إذا لم يجر تطبيق هذه المسؤوليات عملياً، فستبقى النبوة ناقصة، فلو بقي الجناح السياسي ناقصاً ولم يتسلم الإمام زمام المجتمع الإسلامي ولم يتحرك نحو الهدف، فسيشوب النبوة نقص»^(٢).

وباختصار تُطرح الإمامة في فكر سماحة السيد الخامني قدس سره كنموذج قيادي راق ومتسام، يهدف إلى الارتقاء بالبشرية بعيداً عن أهواء السلطة المادية.

يوجز سماحته هذا المفهوم بقوله: «الإمامة هي المعنى الأعلى لقيادة المجتمع المنشود في مقابل أنواع القيادات النابعة من النقائص والشهوات والتكبر والطمع الإنساني»^(٣).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: شباط ١٩٧٣ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: شباط ١٩٧٣ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠٠٢/٠٣/٠٣ م.





الحضارة الإسلامية

مفهوم الحضارة الإسلامية

الإسلام في صميمه وجوهره، هو دين صناعة الحضارة.

فهو لا يكتفي بإصلاح الزوايا الضيقة من حياة الفرد، بل يمتد لينبي الإنسان في كافة أبعاد وجوده، في علاقته العميقة بذاته، وفي ارتباطه الوثيق بخالقه، وفي تفاعله المستمر مع سائر مفردات الكون.

وعلى مر التاريخ قدمت البشرية أطروحات عديدة لبناء حضارات سعت للخلود والصلاحية العابرة للعصور، إلا أن المشروع الحضاري للإسلام يتميز بفرادة استثنائية، فهو لا يستمد بقاءه من منجزات مادية مؤقتة، بل يرتكز على ركنين صليبين: (التوحيد) و(الوحي).

هذا الارتباط بالسماء هو ما يمنح الحضارة الإسلامية مرونتها وثباتها وصلاحياتها لكل زمان ومكان.

أمام هذا المشروع الإلهي العظيم أخذ العلماء والفقهاء على عاتقهم مسؤولية إجلاء هذا الوجه الحضاري المشرق للدين، وتقديمه كنموذج عملي قابل للتطبيق.

وفي طليعة هؤلاء الرواد يبرز الإمام الخميني قدس سره وسماحة السيد الخامنئي قدس سره، اللذان جمعاً بين عمق التنظير الفكري وريادة العمل الميداني.



وعندما يتحدث سماحة القائد عن (الحضارة الإسلامية)، فإنه يربطها مباشرة بالغاية الوجودية الكبرى التي خلق الله الإنسان من أجلها.

يقول سماحته عليه السلام في بيان هذا المفهوم العميق: «الحضارة الإسلامية تعني ذلك الجو الذي يستطيع فيه الإنسان التطوّر من الناحيتين المعنويّة الماديّة، والوصول إلى الغايات المنشودة التي خلقه الله تعالى من أجل الوصول إليها، أن يحيا حياة طيبة، حياة عزيزة، أن يكون إنساناً عزيزاً، إنساناً قوياً، صاحب إرادة، مبتكراً، بانياً لعالم الطبيعة، هذا ما تعنيه الحضارة الإسلامية»^(١).

ولا ينظر سماحته إلى هذه الحضارة كتurf فكري، بل يعتبرها الهدف الأسمى للنظام الإسلامي والغاية الكبرى لمسيرته.

إنها حضارة تتطلب توازناً دقيقاً بين التقدم المادي والتسامي المعنوي. يقول سماحته مؤكداً على هذا المسار: «نحن نتقدم، ونعيد إعمار بلدنا، ونعمل على بناء حضارة.

ما أودّ أن أقوله لكم: ليست مشكلتنا مقتصرة على أن ننقذ حياتنا ونقتلع الشوك بأيدينا من أنفسنا، بل إنّ المشكلة هي أنّ الأمة الإيرانية - كما هو شأنها - تعمل على صناعة حضارة.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٣/٠٩/٠٥ م.

القاعدة الأساسية للحضارة، لا تقوم على مجرد الصناعة والتكنولوجيا والعلم، بل على الثقافة والرؤية والمعرفة والكمال الفكري البشري^(١).

ويقدم سماحته تقسيماً تحليلياً دقيقاً لأركان هذه الحضارة الجديدة، حيث يرى أنها تتكون من بُعدين متلازمين: الأول هو (الأدوات) والثاني هو (المضمون أو الأساس).

يفصل سماحته هذه الرؤية قائلاً: «لو أخذنا التقدّم من جميع الأبعاد بمعنى بناء الحضارة الإسلامية الجديدة - ففي النهاية يوجد مصداقٌ عينيٌّ وخارجيٌّ للتقدّم وفق المفهوم الإسلاميّ - هنا سنقول إنّ هدف الشعب الإيرانيّ، وهدف الثورة الإسلاميّة، هو إيجاد حضارة إسلاميّة جديدة.

فهذه حسابات صحيحة، لهذا فالحضارة الجديدة قسمان: القسم الأوّل يتعلّق بالأداة، والقسم الآخر يرتبط بالمضمون والأساس والأصل.

ويجب تناول كلا القسمين.

القسم المتعلّق بالأداة والوسيلة، أي تلك القيم التي نطرحها اليوم تحت عنوان تطوّر البلد: العلم والاختراع والصّناعة والسياسة والاقتصاد والافتقار السياسيّ والعسكريّ والشأنيّة الدوليّة والإعلام وأدواته، فذلك كلّهُ هو من القسم المتعلّق بأداة الحضارة ووسيلتها.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٩٤/٠٣/٢١ م.

وحتمًا لقد تطوّرنا جيّدًا في هذا القسم على صعيد البلد، لقد أنجزت أعمالٌ كثيرةٌ وجيدةٌ، سواءً في المجال السياسيّ أو العلميّ أو القضايا الاجتماعية، وكذلك في مجال الاختراعات وما شابه إلى ما شاء الله على مستوى البلد كلّهُ.

ففي هذا القسم المتعلّق بالأداة والوسيلة، حصل تطوّرٌ جيّدٌ في البلاد بالرغم من الضغوط كلّها والحظر وأمثاله. أمّا القسم الحقيقيّ فهو تلك الأمور التي تشكّل مضمون حياتنا، وهو نمط الحياة التي تحدّثنا عنه.

فهذا هو القسم الحقيقيّ والأساسيّ للحضارة، كقضيّة الأسرة، ونمط الزواج ونوع المسكن واللباس ونمط الاستهلاك ونوعيّة الغذاء والطبخ والترفيه ومسألة الخطّ واللغة وقضيّة التكبّب والعمل، وسلوكنا في مكان العمل والجامعة وفي المدرسة، وفي النشاط السياسيّ وفي الرياضة، وفي الإعلام، وفي سلوكنا مع الأب والأم، ومع الزوج والأبناء ومع الرئيس والمرؤوس والشرطة والعامل الحكوميّ، وفي أسفارنا ونظافتنا وطهارتنا وسلوكنا مع الصديق والعدوّ والأجنبيّ، فهذه كلّها ترتبط بالقسم الأساسيّ للحضارة التي تمثّل صلب حياة الإنسان»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٤/١٠/٢٠١٢ م.

متطلبات الحضارة الإسلامية

لا يُعد بناء الحضارة الإسلامية في الرؤية الفكرية لسماحة القائد عليه السلام مجرد أمنية أو شعار، بل هو مسار جاد يتطلب توفير ركائز وبنى تحتية متينة.

إن النهوض بهذا المشروع الحضاري الضخم يستوجب تحقق جملة من المتطلبات الأساسية والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- الإيمان الراسخ بالإسلام كمنهج حياة.
 - التوكل على الله والاعتصام بالروح المعنوية.
 - الإخلاص والتفاني في العمل الصادق.
 - الالتزام بالتقوى العملية في كافة ميادين الحياة.
 - الحذر من التبعية العمياء واجتناب تقليد الأنماط الغربية.
 - المواجهة الواعية لتحديات وهيمنة الحضارة الغربية.
 - السعي الحثيث نحو التطور العلمي والتقدم المعرفي.
 - التلاحم ووحدة الصف بين أبناء الشعب ومسؤوليه.
 - الصمود والمقاومة أمام العقبات والمؤامرات.
 - النهوض بمسؤولية إنتاج الفكر الأصيل.
 - الاهتمام الجوهرى بتربية الإنسان وصناعة الأجيال.
- إن هذه المتطلبات تتجسد بشكل أساسي في نوعية الإنسان الذي يجب إعداده لحمل هذه الأمانة.

وهذا ما يوضحه سماحته عليه السلام بقوله: «يجب إعداد جيل شجاع، متعلم، متدين، مبدع، متفوق، مبادر، واثق بنفسه...، يتحلى بالإيمان،

والعلم، والثقافة، والغيرة، والشجاعة، والثقة بالنفس، والدافع الكافي للحركة والنشاط، أن يتحلّى بالطاقة والقدرة الجسدية والفكرية، أن يركّز الهدف وينظر إلى الأهداف البعيدة»^(١).

خصائص الحضارة الإسلامية

تتميز الحضارة الإسلامية في منظور سماحة السيد الخامني عليه السلام بخصائص جوهرية تؤهلها لتكون قارب النجاة للبشرية جمعاء. فهذه الحضارة لا تستمد قوتها من المنجزات المادية فحسب، بل كما ذكرنا تنبع أصالتها من ارتباطها الوثيق بالله تعالى واسترشادها بنور الوحي.

ويقف هذا السمو الروحي والأخلاقي في تناقض صارخ مع مسار الحضارة الغربية المادية، التي انزلت نحو الانحلال والتسافل القيمي. يؤكد سماحته على هذه الخصائص الفريدة ودورها في الإنقاذ قائلاً: «إرادتنا هي إيجاد حضارة، بهذه الخصائص ستكون: معتمدة على المعنويات، معتمدة على الله، مستندة إلى الوحي الإلهي، مستندة إلى التعاليم الإلهية، معتمدة على الهداية الإلهية.

هذه الحضارة، هي الحضارة الإسلامية، وحضارة كهذه يمكنها إنقاذ البشرية... الحضارة الإسلامية بمقوماتها الإيمانية والعلمية والخلقية، ومن خلال الجهاد الدائم، قادرة على أن تقدم للأمة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني عليه السلام، بتاريخ: ١٩/١٠/٢٠١٦م.



الإسلامية وللبريرية المشاريع الفكرية المتقدمة والأخلاق السامية، وأن تكون منطلق الخلاص من مظالم الرؤية الكونية المادية الظالمة، ومن الأخلاق الغارقة في مستنقع الرذيلة التي تشكل أركان الحضارة الغربية القائمة»^(١).

إن هذا الارتباط الوثيق بين الإيمان والتقدم هو ما يمنح الإنسان طمأنينة الروح وكرامة العيش.

يضيف سماحته موضحاً هذه النتيجة الحضارية: «يستطيع الإسلام أن يوصل هذه الأجيال إلى آفاق جديدة، ويدخل الفرحة والسرور إلى قلوبهم، ويمنحهم الكرامة اللائقة بالإنسان، هذه هي الحضارة الإسلامية الجديدة»^(٢).

أركان الحضارة الإسلامية

لا تُبنى الحضارة الإسلامية في فكر سماحة السيد الخامني قدس سره عبر أساليب عشوائية، بل من خلال مسار هندسي دقيق يتدرج عبر سلسلة من الحلقات المنطقية المتكاملة. هذا المسار التصاعدي يضمن انتقال الفكرة من وجدان الجماهير إلى مؤسسات الدولة، وصولاً إلى بناء حضارة عالمية. يحدد سماحته هذا المسار الدقيق بقوله: «الحلقة الأولى (في السلسلة) الثورة الإسلامية، والحلقة الثانية تشكيل النظام الإسلامي، والحلقة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٩/٠٤/٢٠١٣ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢١/٠٥/٢٠١٤ م.

الثالثة تشكيل الحكومة الإسلامية، والحلقة الرابعة تشكيل المجتمع الإسلامي، والحلقة الخامسة تشكيل الأمة الإسلامية».

ولكي لا تبقى هذه الأركان مجرد عناوين نظرية، يشرع سماحته في تفكيك كل حلقة، راسماً معالمها ومحددات وظائفها بدقة، حيث يوضح: «المقصود بالثورة الإسلامية الحركة الثورية... تلك الحركة الثورية نفسها، التي تسقط النظام الرجعي والقديم والفساد والتابع، وتهيئ الأرضية المناسبة لقيام النظام الجديد، النظام الإسلامي، وأعني به هنا الهوية الكلية ذات التعريف المحدد، التي يختارها البلد والشعب وأصحاب الثورة، الذين هم الناس بالنسبة إلينا، النظام الذي تنبثق حاكمية الشعب فيه من الإسلام، ويتوافق مع القيم الإسلامية».

المقصود بالحكومة الإسلامية، أن هناك دستوراً وقوانين أصلية ومؤسسات وبنى إدارية للبلاد، قد تحدت على أساس ما وجد في مرحلة تعيين النظام الإسلامي، هذه المجموعة من المؤسسات الإدارية هي الحكومة الإسلامية... يعني مجموع الأجهزة الإدارية في البلاد التي تلقى على عاتقها مهمة إدارة البلاد والنظم الإدارية المختلفة في البلد.

الحلقة التي تليها هي المجتمع الإسلامي... هو المجتمع الذي تتحقق فيه المثل العليا الإسلامية والأهداف الإسلامية والآمال الكبرى التي يرسمها الإسلام للبشرية، هو مجتمع عادل، مفعم



بالعدالة، مجتمع حرّ، يكون للناس فيه دور وتأثير أساسي في إدارة البلاد وبناء مستقبلهم وتقدمهم، مجتمع ذو عزّة وطنيّة واكتفاء وطني، مجتمع يتمتّع بالرفاهية، وخال من الفقر والجوع، مجتمع متقدّم في جميع الأبعاد تقدّمًا علميًا، تقدّمًا اقتصاديًا، تقدّمًا سياسيًا. وأخيرًا، هو مجتمع لا يعرف السكون، ولا الركود، ولا التوقّف، بل يكون في حال مسير دائم إلى الأمام»^(١).

إن هذه الرؤية المنهجية لم تبقَ حبيسة السطور، بل تجسدت واقعًا عمليًا من خلال الأشواط الصعبة التي قطعها الشعب الإيراني بثبات في هذا المضمار.

ولولا التدخلات والمؤامرات الخارجية التي أجهضت الكثير من الثورات الشعبية في العالم وأحرفتها عن مسارها، لكانت قضية بناء النظم الدستورية، وإدارة الموارد وإقامة العدل هي الشغل الشاغل لجميع الشعوب التواقّة للحرية.

وفي جوهرها ليست هذه التطلّعات سوى الترجمة الحقيقية لمسار بناء الحضارة الإسلامية الكبرى وتشكيل الأمة الواحدة.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٦/١٠/٢٠١١م.



السيادة الشعبية الدينية

شهد القرون الثلاثة الماضية مخاضاً فكرياً واسعاً بحثاً عن أنظمة حكم تلبي تطلعات الإنسان، لا سيما بعد تبلور مفهوم (الدولة الحديثة) وانهيار الأنظمة الإقطاعية والاستبدادية.

ورغم مساعي الفكر البشري لطرح نماذج سياسية تتناغم مع الحقوق الطبيعية، إلا أن الإسلام، بصفته ديناً حضارياً متصلاً بوحى السماء، قدم نموذجاً متفرداً للحكم وإدارة المجتمع، نموذجاً يستهدف صياغة العالم وفق الإرادة الإلهية، حيث تتوازن الحقوق مع التكاليف دون أن يطغى جانب على آخر.

إن الارتكاز الأساس في هذا النموذج الإسلامي ينطلق من الإيمان العميق بقدرة الإنسان، ككائن مكرم، على التطور والارتقاء في كافة الميادين.

فالإسلام ليس مجرد تشريعات مجردة، بل هو طاقة محرّكة نحو العلم، واكتساب المهارات، وتهذيب السلوك، مما يدفع بالفرد والأمة نحو آفاق الازدهار.

يوضح سماحة القائد هذه القدرة النهضوية للدين قائلاً: «إنّ الإسلام يمكنه أن يمنح العزّة لأيّ بلد، ويمكن أن يرفع رأس أيّ شعب، ويمكن أن يرسم أهدافاً جيّدة، ويمكن أن يعبّد الطرق نحو هذه الأهداف، ويمكن أن يوجد حركة علميّة، ويمكن أن يحقّق حركة

تقنيّة وصناعيّة، ويمكن أن يوجد حركة تقوائيّة وخلقيّة، ويمكن أن يبيّض وجوههم في مقابل الشعوب الأخرى»^(١).

ومن هذا المنطلق يترسخ الإيمان العميق لدى سماحته بأن الأمة قادرة، بوعيتها وحضورها، على بناء دولة قوية وعادلة، وأن يكون لها القول الفصل في تقرير مصيرها.

هذا التوجه ليس تكتيكاً مرحلياً، بل هو عقيدة سياسية أصيلة تُعرف بـ (السيادة الشعبية الدينية).

يؤكد سماحته على صدق هذا الاعتقاد ومسؤوليته العملية قائلاً: «أنا العبد، أقول لكم: أنا أعتقد وأؤمن، بالصدق كلّ، بالسيادة الشعبيّة الدينيّة.

نحن نعتقد حقّاً بالسيادة الشعبيّة الدينيّة، وكلّ من ينتخبه الشعب نعدّه رئيساً، ومسؤولاً، وأنّ مساعدته واجبة ومسؤوليّة علينا»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي، بتاريخ: ٢٠١٨/٠١/٠٩ م.



١. تقدّم الأكثرية الكفوءة

في التطبيق العملي لمشروع (السيادة الشعبية الدينية)، تبرز قاعدة تنظيمية حاسمة تضمن استقرار النظام السياسي وفعاليته، ألا وهي قاعدة (تقدّم الأكثرية الكفوءة).

ففي مقام تحمل المسؤوليات وإدارة شؤون الدولة، يكون الرأي الفاصل لمن حاز على ثقة الأغلبية، دون أن يعني ذلك تهميش الأقلية، بل هو تنظيم لآلية اتخاذ القرار.

يشرح سماحة القائد عليه السلام هذه الآلية بوضوح قائلاً: «معنى قاعدة السيادة الشعبية، هو أن تتقدّم الأكثرية على الأقلية، في مقام العمل، بمعنى أن يتولّى المسؤولية الشخص الذي تمنحه الأكثرية أصواتها. هذه هي قاعدة السيادة الشعبية... وكل فرد من الشعب، ينتخب النائب، وينتخب رئيس الجمهورية، أي ينتخب الوزراء عبر وسيط، ينتخب الخبراء، ينتخب القائد عبر وسيط، هذا العمل هو بيد الشعب. هذه هي الركيزة الأساسية»^(١).

إن هذه السيادة ليست مجرد إجراء شكلي، بل هي تنبثق عضوياً من صميم الإرادة الشعبية.

فالرؤية الإسلامية تُعلي من شأن الإنسان، وتجعله مصدر إضفاء المشروعية على الحاكم في إطار التشريع الإلهي.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٤/٠٦/٠٤ م.

فالشعب هو من يمنح السلطة وهو من يراقب الأداء وهو الحاضر الأكبر في ساحة القرار.

ويحذر سماحته من اختزال هذا المفهوم العميق في مجرد عملية تصويت موسمية، مبيناً اتساع دلالاته بقوله: «السيادة الشعبية تعني أن الشعب هو الأصل، ليس فقط في تعيين الحاكم، لأنه، وبمجرد أن نقول: السيادة الشعبية، ينصرف ذهن الجميع إلى صناديق الاقتراع، حسناً، هذا صحيح بدوره، تعيين رئيس الجمهورية، وتعيين خبراء القيادة، وفي الواقع، تعيين القائد، تعيين الأجهزة المختلفة، ذلك كله يحصل في الواقع بوساطة الشعب.

هذا أمرٌ مصيريٌّ حاسم وهو صحيح ولكنه ليس الشيء الوحيد، الأمر المهم هو أن السيادة الشعبية تعني جعل الشعب صاحب الرأي والتدبير واتخاذ القرار في شؤون الحياة كلها، وهذا في النقطة المعاكسة تماماً للوضع الذي كان قبل الثورة في هذا البلد طوال قرون متمادية»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي رحمته الله، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/٢٠ م.

٢. جوهرها الإسلام

لا يُطرح مفهوم (السيادة الشعبية الدينية) كفكرة مستوردة ألُبت عباءة الدين، بل هي في صميمها وروحها إفرازٌ طبيعي للرؤية الإسلامية الشاملة.

فكل ممارسة لهذه السيادة يجب أن تنبض بقوانين الإسلام وسننه، وأن تحتكم لضوابطه في شتى تفاصيلها.

يؤكد سماحة السيد الخامنئي قدس سره على هذا التجذر العقائدي قائلاً: «يشكل الإسلام روح السيادة الشعبية الإسلامية ومضمونها ولبّها، في مسألة سنّ القوانين واختيار الأشخاص، معيارنا هو الإسلام. طبيعة العمل وقالبه، أسلوب الإدارة هو السيادة الشعبية، أي الناس هم من يشاركون في الساحات، يعتقدون بالإسلام بشكل جذري»^(١).

ويدفع سماحته أي التباس قد يظن أن هذا المفهوم هو مجرد (تلفيق) أو دمج بين الفكر الغربي والفكر الديني، مبيناً أصالته بقوله: «لقد نبع مبدأ السيادة الشعبية الذي نعتقد به من قلب الإسلام، عندما نقول السيادة الشعبية الدينية، هذا لا يعني أبداً تركيب مفهوم السيادة الشعبية مع مفهوم آخر، أو تركيب الدين مع مفهوم آخر على

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.

الإطلاق، إنَّ مفهوم السيادة الشعبيَّة الذي نتحدَّث عنه نبع من الدين»^(١).

ولقد مثَّل نظام الجمهورية الإسلامية في إيران الترجمة العملية الأولى لهذه الرؤية المبتكرة، والتي جمعت بين أصالة الفقه الإلهي وبين الفاعلية الإنسانية الشعبية في إدارة شؤون البلاد.

يوضح سماحته كيف تبلور هذا النموذج في مؤسسات الدولة الوليدة قائلاً: «إنَّ نظام الجمهورية الإسلاميَّة هو النظام الذي تستقى فيه السيادة الشعبيَّة من الإسلام، ويسير موازياً للقيم الإسلاميَّة. إنَّ ما يقصد بالحكومة الإسلاميَّة، وهو الشيء الذي وجدَ زمان تحديد النظام الإسلامي، ونتج منه الدستور، إدارات الدولة ومؤسساتها»^(٢).

٣. الانتخابات (مظهر ديني وأصيل)

لا يمكن تصور قيام دولة إسلامية دون أن تكون الشريعة هي الميزان والضابط لكافة إجراءاتها، ولا سيما في القضايا المفصلية كطريقة تشكيل الحكومة أو اختيار الرئيس.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلوبه، بتاريخ: ٢٠١٤/٠١/١٩ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلوبه، بتاريخ: ٢٠١١/١١/٠٢ م.

إن آلية الانتخابات في الفكر القيادي لم تُقحم كإجراء شكلي لإرضاء الخارج، بل هي ممارسة تنبع من صميم الرؤية الإسلامية التي تحترم إرادة الأمة.

يؤكد سماحة القائد على هذه الأصالة، نافياً أي شبهة اقتباس من الديمقراطيات الغربية، فيقول: «لا يظنُّ بعضُ أن الإمام الخميني قلبي قد أخذ الانتخابات من الثقافة الغربية، ودمجها بالفكر الإسلامي والشرعية الإسلامية، لا ليس الأمر كذلك، فلو لم تكن الانتخابات والسيادة الشعبية والرجوع إلى رأي الناس، جزءاً من الدين، ولو لم تكن مرتكزة على الشريعة الإسلامية، لَمَا كان الإمام التزم بها. إذًا، الشريعة الإسلامية هي الإطار، وفي كافة التقنيَّات والإجراءات والعزل والتنصيب، والسلوكات العامة التابعة لهذا النظم السياسي والمدني، يجب أن تراعى الشريعة الإسلامية»^(١).

٤. نظامٌ إلهيٌّ في مواجهة الطاغوت

إن الإنجاز الأعظم للثورة الإسلامية لم يقتصر على تغيير الأشخاص، بل امتد لاقتلاع الجذور الفاسدة للنظام الطاغوتي والاستبدادي، واستبدالها بنظام إلهي يستمد قوته من الشريعة والشعب معاً.

هذا التحول العميق لم يكن وليد نظريات مستوردة، بل كان انعكاساً للقرآن الكريم في رفضه القاطع لولاءات الطاغوت.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلبي، بتاريخ: ٢٠١٤/٠٦/٠٤ م.

يشرح سماحته هذا التحول الجذري قائلاً: «إنَّ أهمَّ عملٍ أساسيٍّ قامَتْ به الثورة، هو استبدال نظام السيادة الشعبيَّة بنظام سيادة الطاغوت، وذلك انطلاقاً من التعاليم الإسلاميَّة، وليس باستلهاً آراء هذا المنظرِّ وذاك المنظرِّ ومدارسهم، والنواقص والتعارضات الموجودة في أفكارهم، كلّاً، بل استلهاماً من الإسلام والقرآن، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾^(١). إنَّه النظام الإلهيُّ في مقابل النظام الطاغوتيُّ، والجمهوريَّة الإسلاميَّة والثورة الإسلاميَّة أعطت معنىً للنظام الإلهيِّ بأنَّه نظام السيادة الشعبيَّة الدينيَّة، هذا هو ما تعنيه الجمهوريَّة الإسلاميَّة، لقد بدلت النظام الطاغوتيُّ إلى نظام السيادة الشعبيَّة، هذا هو أهمَّ عملٍ قامَتْ به الثورة»^(٢).

٥. العقلانية كمرتكز لرؤية الإمام الخميني قدس سره وحكمته

لقد أثبت الإمام الخميني قدس سره أن الفقه الإسلامي يحمل في طياته أعلى درجات العقلانية السياسية. وتجلت هذه الحكمة البالغة في إيمانه العميق بأن الدولة لا تُحفظ إلا بحضور شعبها ومشاركته الفاعلة، محطماً بذلك قروناً طويلة من الاستبداد الفردي.



(١) سورة النساء، الآية ٧٦.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/١٨ م.

يوضح سماحة القائد قدس سره هذه البصيرة الخمينية بقوله: «النموذج الأول من عقلانيّة الإمام الخميني قدس سره هو اختياره نظام السيادة الشعبيّة للنظام السياسيّ في البلاد، أي الاعتماد على أصوات الشعب. وانتخاب السيادة الشعبيّة واحدٌ من المظاهر الجليّة لعقلانيّة الإمام في مدرسته المنقذة الباعثة على الحياة، منذ قرون والحكومات الفرديّة متسلّطة على بلادنا، وحتىّ في الفترة التي كان في إيران حالة دستوريّة، وكان القانون نافذاً في البلاد حسب الظاهر، كان استبداد الحقبة البهلويّة ودكتاتوريتها أشدّ في الواقع وأسوأ مصاباً من استبداد الماضين.

ففي بلد كهذا، نجح الإمام الخميني قدس سره في تحويل مشاركة الشعب والانتخابات الشعبيّة إلى حقيقة مؤسّساتيّة راسخة»^(١).

٦. قيمة واقعية وليست شعاراً

هناك من يحاول الترويج بأن المبادئ الدينية والمثل العليا لا يمكن تطبيقها في تعقيدات الواقع السياسي. في المقابل تقدم السيادة الشعبية الدينية برهاناً عملياً على أن تطلعات الشعب نحو العزة والاستقلال والمشاركة الحرة هي وقائع قابلة للتحقق ومطالب مشروعة تتوافق تماماً مع القيم.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١١/٠٩/٠٨ م.

يرد سماحته على دعاة الفصل بين الواقع والقيم قائلاً: «يزعم بعضهم أن النزوع إلى القيم لا ينسجم مع الرؤية الواقعية، ونحن نرفض هذا بشدة.

فالكثير من أهداف مجتمعنا ومطالبه تعدّ من وقائعه، فالشعب يريد العزة الوطنية، والحياة التي تتمحور حول الإيمان والدين، والمشاركة في إدارة البلد -أي السيادة الشعبية- والتقدم والاستقلال السياسي والاقتصادي، فهذه مطالب عامة للشعب.

هذه المطالب هي وقائع المجتمع، وهي بالدقة تدلّ على مسار الحركة القيمية نفسها، وهذه ليست قضايا تحليلية أو ذهنية، أو أوهاماً وأفكاراً، إنّها وقائع موجودة في المجتمع.

إنّه مجتمع حيّ ومؤمن يسعى نحو هذه الأمور، يريد العزة الوطنية، ويريد أن يكون مستقلاً ومتطوراً وعزیزاً بين الشعوب.

فهذه المطالب التي ينادي بها الشعب تقع على مسار القيم، وما يطلبه يعدّ من الوقائع الثابتة في المجتمع، ولهذا يمكن أن تكون الوقائع مساعدةً ومتوجهةً إلى القيم.

أجل، إنّ ذكر القيم والأهداف من دون التوجّه إلى الوقائع، ومن دون التنبّه إلى الوسائل المعقولة والمنطقية للوصول إلى القيم، يعدّ نسجاً من الخيال، وسوف تبقى القيم في إطار الشعارات»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٣/٠٣/٠٨ م.



٧. نزاهة بعيدة عن الخداع الغربي

السيادة الشعبية الدينية لا تنظر إلى الشعب كمجرد أصوات تُشترى أو تُخدع بالبروباغندا^(١)، بل كأمانة تتطلب الصدق والشفافية. إنها ديمقراطية الروح قبل أن تكون ديمقراطية الصناديق، وتقف على النقيض من النماذج الغربية التي تتستر بشعارات براقة تخفي وراءها سيطرة رأس المال واللوبيات.

يحذر سماحته من الانبهار بالنماذج الغربية قائلاً: «السيادة الشعبية الدينية، هي السيادة الشعبية السليمة، البعيدة عن الأعمال والحيل والخدع المتبعة في العالم.

أنا أسف لعدم اطلاع عدد كبير من شبابنا على هذه الحيل المستخدمة في العالم، في أمريكا، في الغرب، في أوروبا، في مسألة الانتخابات، التي تحمل ظاهراً ديمقراطياً، لكنها في الباطن بعيدة عن الديمقراطية»^(٢).

(١) تعود إلى اللاتينية (Congregatio de Propaganda Fide) أي "مجمع نشر الإيمان"، وتطورت لتصبح مصطلحاً سياسياً وإعلامياً يعني "الدعاية" أو "الترويج" البروباغندا (Propaganda) تعني نشر معلومات، أفكار، أو شائعات بشكل مُوجه ومكثف، يهدف إلى التأثير على آراء وسلوكيات الجماهير وتشكيل وعيهم لدعم قضية، سياسة، أو أجندة معينة، تعتمد غالباً على أساليب أحادية الجانب، وتشويه الحقائق، أو تقديم معلومات ناقصة للتأثير العاطفي بدلاً من العقلي.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي رحمته الله، بتاريخ: ٢٠١٣/٠٣/٠٨ م.

آثار السيادة الشعبية

١. وسيلة لتحقيق الأهداف الإلهية

لا تُعد السيادة الشعبية الدينية غايةً في حد ذاتها فحسب، بل هي الآلية الأرقى والقناة الشرعية لإنزال الأهداف الإلهية من حيز التنظير إلى واقع المجتمع.

هذا التوجه ينبع من نظرة الإسلام العميقة التي تقدس جوهر الإنسان وتحترم إرادته كخليفة في الأرض، وهو ما يفترق جذرياً عن الدوافع النفعية للديمقراطيات الغربية.

يؤكد سماحة القائد على هذه الأصالة قائلاً: «إنَّه لمن الخطأ أن يُقال إنَّنا تعلَّمتنا السيادة الشعبيَّة من الغرب، الوجه الظاهر واحدٌ، لكنَّ السيادة الشعبيَّة التي نعتقد بها لها جذورها النابعة من رؤية إلى الكون ومعارف دينيَّة أخرى، على خلاف ما يعتقدون هم به. نحن نعتقد بكرامة البشر، نعتقد بقيمة آرائهم، ونعدّ حضورهم ومشاركتهم وسيلة لتحقيق الأهداف الإلهيَّة، ومن دونها لن يكون هذا الأمر ممكناً»^(١).

٢. إحياء لمشاعر الثقة الوطنيَّة

من أبرز بركات السيادة الشعبية الدينية أنها تنتشل الأمة من براثن التبعية والانهازامية، لتبث فيها روح الثقة والاعتماد على الذات.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.



فمشاركة الشعب لا تقتصر على صناديق الاقتراع، بل تتجلى في تفجير الطاقات الكامنة في مختلف الميادين، العلمية والخدمية والدفاعية، مما يحول البلد من مستهلك عاجز إلى قطب فاعل ومؤثر.

يستحضر سماحته شواهد من الواقع الإيراني لبيان هذا الأثر العميق فيقول: «إن سيادة الشعب ليست في الإدارة السياسيّة للبلاد فقط، بل هي في الخدمات العامّة في المدن والقرى أيضاً، وفي إحياء روحية الأعمال العظيمة والكبيرة في البلاد -والتي ترون نماذج لها ومصاديق واقعية لها في تأسيس الحرس الثوري، وفي تأسيس جهاد البناء، وفي تأسيس التعبئة- في تنمية الطاقات الشعبيّة، وإبرازها، وظهورها، أي الطاقات والموارد البشريّة في البلاد.

والحال أنكم أنتم الشباب، لم تشهدوا ولم تروا ذلك الزمان. أمّا الأكبر سنّاً منكم، فيعلمون أنّه كان يَفِدُ علينا الأطباء من الفليبين والهند وما شاكل، وليس في القرى والمناطق النائية، بل حتّى في المدن القريبة جداً، كان يأتينا أطباء من الفليبين مثلاً بلدٌ كان عاجزاً إلى هذا الحدّ في موارده البشريّة، نراه اليوم قد نهض وتطوّر إلى درجة أصبح موازياً لتلك الدّول في مجال الصّحة هذا، وقطباً جاذباً للعلاج في المنطقة.

تتفجّر المواهب والطاقات الإنسانيّة، وفجأة تشاهدون [أيضاً] أنّه في المجالات العلميّة الفلانيّة النادرة في العالم، تحتلّ البلاد

المرتبة الرابعة أو الخامسة في العالم، بين أكثر من مئتي بلداً هذه هي السيادة الشعبية.

السيادة الشعبية تنتج إحياء المواهب والطاقات عندما يدخل الشعب إلى الساحة ويشارك، وعندما تمنح الثقة به، ويجري الاهتمام به، ستكون هذه هي النتيجة.

سوف تحيا مشاعر الثقة الوطنية بالنفس عند الشعب عندها سوف يتقدم الناس في الميادين العلمية، وفي الميادين الصناعية، وفي العلوم الحديثة، وفي التأثير السياسي في المنطقة. هذا كله ناتج من وجود الشعب ومشاركته وتأثيره في أحداث البلاد، وبذلك يكتسب البلد والشعب العظمة»^(١).

٣. استقطاب الشعوب

لم يقف تأثير هذه النظرية عند حدود الداخل، بل تجاوزها لتصبح أنموذجاً ملهماً تتطلع إليه الشعوب المستضعفة والنخب الفكرية حول العالم.

ففي ظل تهاوي الأيديولوجيات المادية وفشلها في تحقيق السعادة الإنسانية، برز طرح الإمام الخميني قدس سره كبديل واعد يجمع بين أصالة الروح وحدثا الإدارة.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/١٨ م.

يشير سماحته إلى هذا الجذب العالمي قائلاً: «لقد انجذب الناس والمنظِّرون في العالم إلى فكرة سيادة الشعب الدينيَّة التي طرحت في الأوساط العالميَّة.

ففي قبال المدارس المختلفة، كالليبراليَّة والشيوعيَّة والفاشيَّة وما شاكلها، أنزل الإمام الخمينيَّ العظيم فكرة سيادة الشعب الدينيَّة إلى الساحة، واستقطب بها الشعوب والخواصَّ من النخب في جميع أنحاء العالم»^(١).

٤. المواءمة بين الدين والحياة

تتصدى السيادة الشعبية الدينية لواحد من أعقد التحديات التي واجهت الفكر البشري، ألا وهو دمج البعد الروحي الميتافيزيقي^(٢) مع الواقع المادي المعاش.

فبينما تعيش الحضارة الغربية حالة من الجذب الفكري والعقم في إنتاج حلول توازن بين جسد الإنسان وروحه، يقدم الإسلام، عبر هذه السيادة، خطاباً حيويّاً يجعل من الدين منظومة متكاملة تدير شؤون الحياة ولا تنزّل عنها.

يبين سماحته هذا الإنتاج الفكري الرائد بقوله: «في مقابل عقم الغرب في استخراج الأفكار الجديدة وتوليدها - إذ إنّه بعد النزعة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢١/٣/٢٠١٧م.

(٢) الميتافيزيقا (Metaphysics) أو (ما وراء الطبيعة) هي: فرع أساسي من الفلسفة يدرس طبيعة الواقع، الوجود، والأسس الأولى للأشياء.



الإنسانية، والمدارس التي نشأت منها والفلسفات الوليدة، والناشئة من النزعة الإنسانية الغربية، لم يقدم الغرب أي إنتاج فكري أو فكر جديد للبشرية والحياة الإنسانية - فإن الجمهورية الإسلامية لديها إنتاج فكري، إن لدينا كلاماً جديداً في ما يتعلق بالقضايا الروحية للإنسان وقضاياها الاجتماعية وقضايا الحكومة، إلّا أن الكلام الجديد، إذا قيل، لا يعني أنه سيقبل به العالم كله، بل معناه أنه يوجد تياراً جديداً وسط هذه البحيرة الفكرية البشرية العظيمة يلقي بأمواجه.

نحن اليوم، على صعيد القضايا السياسية نقدم السيادة الشعبية الدينية، وعلى صعيد القضايا الاجتماعية العامة نعرض ابتناء الحضارة على المعنويات، وفي المجالات المختلفة نعرض كرامة الإنسان وامتزاج الدين والحياة، فهذه كلمات جديدة ولم تكن في العالم من قبل، حتى قبل عصر المادية والنزعة الإنسانية الغربية وهيمنة الأفكار العلمانية، لم يكن الدين متوائماً ومتلازماً مع الحياة أبداً^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ١٢/٠٨/٢٠١٢ م.

الانتخابات في السيادة الشعبية الدينية

١. المشاركة كفريضة وطنية وشرعية

لا يمكن أن تستقيم دعائم (السيادة الشعبية الدينية) وتتحول إلى واقع معاش دون آليات شفافة تضمن حضور الإرادة الجماهيرية، والانتخابات الحرة تمثل الميدان الأبرز لهذا الحضور. وبناءً على ذلك لا ينظر الفكر القيادي إلى المشاركة الانتخابية كحق يمكن التنازل عنه، بل كواجب وتكليف يقع على عاتق كل فرد تجاه نظامه ومجتمعه.

يؤصل سماحة السيد الخامني قدس سره لهذا المعنى قائلاً: «الانتخابات ليست حدثاً عابراً، بل حدث مؤثر لذلك علينا أن نمعن النظر فيها، إن الانتخابات من أركان النظام المهمة نظام السيادة الشعبية الدينية يعتمد على الانتخابات، لن يكون هناك سيادة شعبية من دون انتخابات المعيار هو الرجوع إلى الناس، الانتخابات معيار مشهود وملموس وقابل للقياس والمحاسبة لذلك، على كل من يعتقد بالنظام الإسلامي، صادقاً في اعتقاده هذا، أن يعدّ مشاركته في الانتخابات واجباً من واجباته، وإن كان لديه اعتراض على أمر ما على الانتخابات، على طريقة إجرائها، لكن مع وجود اعتراضه، يشارك في ساحة الانتخابات، هذا واجب وتكليف لذلك فإن جميع الذين يشاركون في هذه العملية من أنحاء البلاد كافة،

يقومون بتأدية هذا الواجب والتكليف، ويعلنون عن إدراكهم الصحيح والسليم»^(١).

٢- الانتخابات (منصة للقوة والاقتدار)

تمثل الممارسة الانتخابية في الجمهورية الإسلامية وسام فخر تتوج به نظرية السيادة الشعبية الدينية أمام مرأى العالم أجمع. إنها ليست مجرد صناديق تملأ بالأوراق، بل هي استعراض حقيقي لمنعة الشعب وقوة ارتباطه بنظامه، وهو ما يفسر السعي المحموم للأعداء لمحاولة تشويه هذه الممارسة والتقليل من شأنها. يبين سماعته هذا التلازم بين الانتخابات والاقتدار الوطني بقوله: «إنَّ سيادة الشعب الدينيَّة ترتكز على ركنين: أحدهما رأي الناس والانتخابات ونحن بفضل الانتخابات نتباهى، ونفتخر أمام العالم. وأمَّا الأعداء فإنَّهم يتجاهلون الانتخابات، ويرشقونها بالتهم، قمعاً للشعب الإيراني وللجمهورية الإسلامية، وهذا يدلُّ على مدى أهميَّة الانتخابات^(٢) فهي مدعاة للعزَّة الوطنيَّة وتقوية الشعب وصيانة سمعته وكرامته. إنَّ الانتخابات ظاهرةٌ تمنحُ القوةَ والاقتدار.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.

(٢) يردُّ سماعته على الهاتفين «هيئات منَّا الذلَّة!» قائلاً: التفتوا! إذا كان لا بدَّ من قولكم: هيئات، فيجب أن تهتفوا: هيئات من عدم الانتخابات!



من جملة المباني والشعارات المطروحة من قبل الإمام، كانت مسألة السيادة الشعبية أي أن يكون اختيار حاكمية البلد في يد الشعب، أن يختار الناس ما يريدون في جميع ميادين الحياة. أحد شعارات الإمام كان إيمان الشعب بذاته وثقته بنفسه، أي إنه كان يقول للشعب ويكرّر: «إنكم تستطيعون»، «إنكم قادرون»، في العلم والصناعة والأعمال الأساسية وفي إدارة البلاد وإدارة القطاعات المهمة في البلاد في الاقتصاد وغيره، أنتم قادرون على الاعتماد على أنفسكم! كانت هذه جاذبيات شخصية الإمام التي استطاعت أن تجذب الشباب، فجاء الشباب والتحقوا بثورة الإمام، وانتصرت الثورة»^(١).

٣- تجسيد كامل للحرية

إن استمرارية العملية الانتخابية في ظل النظام الإسلامي، رغم كل الضغوط والتحديات، تقدم دليلاً دامغاً على أن الدين ليس مصادراً لحريات الشعوب، بل هو الحاضنة الأصدق لمشاركتهم في صنع القرار. يشير سماحة القائد إلى هذه التجربة التاريخية المستمرة قائلاً: «إن إجراء الانتخابات في النظام الإسلامي يثبت أن الدين تجسيد كامل

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي رحمته الله، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.

للحرية والديمقراطية وإجراء ٢٧ دورة انتخابات طوال ٤١ عاماً
يُثبت اهتمام النظام الإسلامي الاستثنائي بالسيادة الشعبية^(١).

بين سيادتنا الشعبية الدينية و«سيادتهم»

١. أطر إلهية للحق.. وأطر مادية للاستبداد

عند وضع السيادة الشعبية الدينية في ميزان المقارنة مع النماذج الغربية، تتجلى مفارقة عميقة بين منهج يحترم الفطرة والعقل السليم، وبين منهج يفرض أطراً قسرية تتناقض مع أبسط مبادئ الحرية التي يدّعيها.

ففي حين ينطلق النموذج الإسلامي من ضوابط إلهية تحفظ كرامة الإنسان وتصور هويته، يفرض الغرب خطوطاً حمراء تحمي مصالحه وأساطيره وتستريح مقدسات الآخرين.

يُشرّح سماحة السيد الخامني قدس سره هذه الازدواجية الغربية الصارخة والمفارقة بين الإطارين قائلاً: «إنَّ الغرب أظْهرهم أظْمر ظالمة فلو اعترض شخص ما على أسطورة الهولوكوست، وقال: إنني لا أتقبل هذه الفكرة سوف يقومون بسجنه وإدانته، لماذا تقوم بإنكار حادثة تاريخية خيالية! حتّى ولو لم تكن حادثة خيالية، وكانت حادثة واقعية، هل يعدّ إنكار حادثة تاريخية واقعية جريمة؟ لو كانت هذه الحادثة غير واضحة، أو غير ثابتة لشخص ما، وقام

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.

بإنكارها أو الشكّ فيها، سوف يقومون بسجنه! الآن في الدول الأوروبية التي تدّعي الحضارة، لو اعترض شخص ما أو شكّ أو لم يتقبّل هذه الفكرة ستقوم المحاكم بإدانتته، في هذه الظروف يقومون علناً بإهانة النبيّ الأعظم، هذه الشخصية البارزة على مرّ التاريخ يقومون بالإساءة إلى مقدّسات مليار ونصف المليار مسلم.

لا يحقّ لأحد الاعتراض، وقول: لماذا قمت بارتكاب هذا الفعل؟

انظروا إلى هذه الأطر الخاطئة والمفتضحة أطرهم تقول: لو ارتدت امرأة الحجاب في الجامعة أو محيط العمل تعتبر مجرمة! هذا هو إطار آخر، لكنّه إطار خاطئ ومنحرف يناقض الفطرة الإنسانيّة ويناقض إدراك الإنسان السليم.

أطردنا هي الأطر الإلهية: نحن نعارض الفساد، نعارض الفحشاء،
نعارض أنواع الانحرافات الإنسانية، وفقًا لما علّمتنا إياه شريعتنا
وديننا.

نحن نعتقد بوجوب الوقوف في وجه هذه الانحرافات، يجب أن تكون سبل حياتنا نابعةً من الإسلام والقرآن والإلهام والوحي الإلهيَّين.

هذا هو إطارنا، هذه هي السيادة الشعبية الدينية، والتي نعدّها نموذجنا»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.

٢. شعبٌ صانعٌ للحدث.. وشعوبٌ غيبتٌ عن الخريطة

تُقاس حيوية الأنظمة السياسية بمدى حضور شعوبها في صناعة القرار والمشهد العام.

ففي الأنظمة الخاضعة للاستكبار، يتحول الشعب إلى مجرد رقم استهلاكي مُغيب عن مسرح التأثير، لا صوت له ولا وزن، في ظل سيطرة طواغيت المال والسلطة.

وعلى النقيض من ذلك، تبرز السيادة الشعبية الدينية كهيئة خصبة تمنح الشعب الإيراني حضوره الفاعل، وتجعله الرقم الصعب الذي يُحسب له ألف حساب في المعادلات الدولية.

يُبرز سماحته هذا التباين، موضحاً سر العداء الاستكباري لهذا النموذج: «لاحظوا اليوم مثلاً، كيف أنَّ البلد الفلانيّ التابع لأمريكا، والذي يبيع في اليوم الواحد عشرة ملايين برميل نفط، وتوجد في خزنته الأموال الطائلة، لكنّه بلدٌ فقيرٌ ومتخلفٌ، ولا اسم ولا ذكر للشعب في ذلك البلد، ولا دور له أبداً! الشيء البارز في ذلك البلد هو عددٌ من الطواغيت على رأس الحكم، ولا أثر للشعب، ولا خبر عن ذلك البلد في أيِّ مكانٍ من العالم، بأنّ الشعب الفلانيّ فعل الشيء الفلانيّ، أو قام بالحركة الفلانيّة، والإنجاز الفلانيّ.

أمّا عندما تتوافر السيادة الشعبيّة الدينيّة، ففي النظرة العامّة التي يلقياها العالم على إيران، يجد أنّ الشعب بارزٌ وذو دور أساسيٍّ. لذلك فإنّ عداء الأعداء موجّهٌ ضدّ الشعب.



الأمريكيون الذين يعادوننا حالياً، لا يعادون شخصي أنا الحقير، أو أشخاصاً عدّة من رجال السياسة والحكم، بل يعادون الشعب. فالشعب هو «الكلُّ بالكلِّ» وكلُّ ما يغيظهم ويغضبهم هو أفعال الشعب، وعظمة الشعب»^(١).

السيادة الشعبية كعامل رئيس في استعداء الجمهورية الإسلامية

لم يكن العداء المتصاعد ضد الجمهورية الإسلامية يوماً مجرد خلاف سياسي عابر أو صراع على النفوذ الجيوسياسي فحسب، بل هو في جوهره صدام مع النموذج البديل الذي تقدمه. فمشروع (السيادة الشعبية الدينية)، بما يحمله من قدرة على المزاوجة بين الاستقلالية والتطور، يمثل تحدياً أيديولوجياً وإرباكاً صارخاً لنظام الليبرالية الديمقراطية الغربية الذي يحاول فرض نفسه كخيار وحيد للبشرية.

هذا الإشعاع الفكري هو ما يدفع القوى الاستكبارية إلى مضاعفة جهودها التخريبية والإعلامية في محاولة يائسة لمحاصرة هذه التجربة وتشويه معالمها قبل أن تصل إلى عقول شعوب العالم.

يذكر سماحة القائد قدس سره جذور هذا العداء ودوافعه الاستراتيجية، قائلاً: «إنَّ كلَّ ناظرٍ يشعر ويرى أنَّ سعي الأعداء في مواجهة الجمهورية الإسلامية في هذه السنوات الأخيرة، لا سيَّما في السنوات التي مضت وبالأخصَّ في الستين الأخيرتين، قد تضاعف.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/١٨ م.

برأيي، يوجد عاملان أو ثلاثة مؤثرة لو أننا نعلم من أين تنشأ دوافع العدو، لكننا أدركنا مسؤوليتنا في التخطيط بنحو أفضل. برأيي، إن من أسباب هذه العداوات هو كل هذا التطور منكم، أي إنهم يريدون إبطاء هذا التطور كله.

إن الجمهورية الإسلامية بدعوتها للإسلام والسيادة الشعبية الإسلامية، ورفض الليبرالية الديمقراطية بصورة استدلالية تمثل خطراً بالنسبة إلى التشكيلات الاستكبارية في العالم، وكلما تقدمت يزداد هذا الخطر بالنسبة إليهم، وهم يريدون الوقوف في وجهه. نموذج السيادة الشعبية الدينية مجهول بالنسبة إلى العالم، وفي المقابل تنشط اليوم ملايين وسائل الإعلام ضد الجمهورية الإسلامية^(١).

جوهر الصراع (دعوتنا الدينية في مواجهة مادية العالم)

إن العقدة الأساسية التي توجب صراع القوى الاستكبارية معنا لا تعود لخلافات سياسية أو اقتصادية عابرة، بل تكمن في الجوهر الأخلاقي لرسالتنا.

فالغرب الذي بنى هيمنته على تفريغ الإنسان من محتواه الروحي وتسليعه سعيًا وراء المنفعة واللذة المادية المحضّة، يرى في الطرح الإسلامي تهديداً مباشراً لبنائه.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي رحمته الله، بتاريخ: ٢٣/٠٨/٢٠١٢ م.



إن محاولة إحياء القيم الإلهية وبناء دولة تركز على المعنوية والأخلاق تمثل نقضاً للمشروع الغربي الاستغلالي بأسره.

يبين سماحة القائد علیه السلام هذه المعادلة الدقيقة للنزاع قائلاً: «إن مشكلة العالم تكمن في بروز الدعوة الدينية.

أقصد بالعالم هذه الأجهزة التي تتحكم بالعالم، قوام هؤلاء وهويتهم الإغارة على الإنسان توجيه الضربات للإنسانية، للقيم الإنسانية، من أجل تحصيل اللذائذ المادية.

عندما تؤسسون في مواجهة هؤلاء دولة تميل للمعنوية، وتدافع عن القيم الإلهية والإنسانية، إذ إن روح القيم الإنسانية وقالبها ومضمونها هي هذا الأمر من الطبيعي أن تواجه اعتراضات.

في مواجهة هذه الاعتراضات يجب الاستناد إلى قوة معينة، هذه القوة ليست قوة السلاح المادي والقنبلة النووية وما شابه ذلك، هذه القوة هي القوة المعنوية، الاتكال على الله»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي علیه السلام، بتاريخ: ١٢/٠٨/٢٠١٢ م.

المنهج الثوري (روح النظام وصمام بقاءه)

في خضم هذه المواجهة الشرسة، لا يمكن للنظام الإسلامي أن يكتفي بالركون إلى إنجازات الماضي أو الدوران في فلك الروتين الإداري.

فالروح الثورية ليست مجرد حماسة مرحلية تلاشت بانتصار الثورة، بل هي المحرك الدائم الذي يضمن عدم الانحراف عن الأهداف السامية والمثل العليا.

بدون هذا الوهج الثوري، يفقد النظام مبرر وجوده، وينحدر ليصبح مجرد حقبة زمنية عادية كسابقاتها من العهود البائدة.

يطلق سماحته نداءً تحذيرياً للحفاظ على هذه الروح قائلاً: «انتبهوا إلى أن النظام يتعرض لحملات هائلة.

حين قلت: إن علينا أن نعرف موقعنا ومكاننا، أن ندرك القضية بشكل صحيح، أصل المسألة هو هذا: أنتم وسط ميدان يتعرض للهجوم، هناك حملات كبيرة، يجب أن تستشعروا هذه الحملة، يجب أن تعرفوا الطرف المقابل، وهكذا يتم تحديد تكاليفنا جميعاً لا قيمة للنظام من دون المسار والمنهج الثوري.



حقاً لا قيمة له! إن لم يَسِرْ النظام على النهج الثوري، فلن يصل إلى تلك الآمال والمثل ولن يتحرّك لتحقيقها وعندها لن يختلف عن الأنظمة السابقة في تاريخ البلاد، ولن يكون له أيّ قيمة»^(١).

العودة إلى بوصلة الإسلام الأصيل

في ظل المحاولات المستمرة لتشويه الوعي ومحاصرة التجربة الإسلامية، يسعى الغرب لتسويق نماذج مشوهة للدين، تدفع بالأمة إما نحو هاوية التكفير والإرهاب، أو نحو مستنقع العلمنة والتخلي عن الثوابت.

في مواجهة هذا التزييف تبرز الحاجة الماسة لاستعادة المفاهيم الأصيلة، وتقديم الإسلام بعقلانيته التأسيسية التي ترفض التحجر والتبعية في آنٍ واحد.

يوجه سماحته بوصلة العمل للمرحلة المقبلة محدداً معالم الإسلام المطلوب قائلاً: «إنَّ أهمَّ واجباتكم في المرحلة المقبلة أنْ حافظوا على التزامكم بالشريعة الإسلامية التقدّمية من دون أنْ تقعوا في الجمود والتحجّر، واعرفوا كيف تكونون مستقلّين من دون أنْ تنزوّوا، وكيف تتطوِّرون من دون أنْ تكونوا تابعين، وكيف تمارسون الإدارة العلميّة من دون أنْ تكونوا علمانيّين ومحافظين.

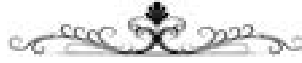
(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.

تجب إعادة قراءة التعاريف وإصلاحها، الغرب يقترح عليكم نموذجين: «الإسلام التكفيري» و«الإسلام العلماني»، وسوف يواصل التلويح بذلك كي لا يقوى ساعد التيار الإسلام الأصولي العقلاني المعتدل بين ثورات المنطقة.

أعيدوا تعريف هذه الاصطلاحات مرة أخرى وبدقة إذا كانت «الديمقراطية» بمعنى الشعبية والانتخابات الحرة في إطار أسس الثورات، فلتكونوا جميعاً ديمقراطيين وإذا كانت بمعنى السقوط في شرك الليبرالية الديمقراطية التقليدية المتخلفة فلا يكن أحد منكم ديمقراطياً^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٣/٠٨ م.



الوحدة الإسلامية

لا يُكتب البقاء لأي حضارة أو أمة ما لم تمتلك هوية فكرية متماسكة تُعبر عن جوهرها، وتمنحها الثقة لمحاورة الحضارات الأخرى والوقوف في وجه تحديات التاريخ.

وهذه الهوية لا يمكن أن تتصلب وتشتد عودها إلا إذا استندت إلى ركن وثيق من الوحدة والتلاحم.

وفي المقابل يُمثل التشرذم والتشتت الحضاري الوجه الآخر لتآكل الهوية ومقدمة حتمية لزوالها.

من هذا المنطلق العميق، لا تُطرح (الوحدة الإسلامية) كمجرد تكتيك سياسي أو ترف فكري، بل هي بنية تحتية لا غنى عنها لقيام الأمة. ولأن الأعداء يدركون هذه الحقيقة، فإن جهودهم تنصب دائماً على تفكيك هذه الروابط وضرب طوائف الأمة بعضها ببعض.

يشخص سماحة السيد الخامنئي قدس سره هذه المعادلة الاستراتيجية بقوله: «القواسم المشتركة بين المسلمين أكثر من نقاط الافتراق والاختلاف النقطة الأخرى هي: إذا تقرر طرح القيم الإسلامية كقيم حاسمة في العالم، تجتذب قلوب الناس، ويحصل على أساسها تغيير معيّن في حياة المسلمين، فينبغي الحفاظ على الوحدة بين المسلمين في ظروف التمزق والعداء والحروب الطائفية، لا يمكن للمسلمين أن يتمتعوا بالوحدة.

لا نوصي فرقَ العالم الإسلامي بالتخلّي عن عقائدهم الخاصّة واعتناق عقائد فرقة أخرى، لكنّنا نقول لكلّ المسلمين: إنّ المساحات المشتركة بيننا أكبر وأهمّ من مساحات الاختلاف. أعداؤنا يشدّدون على مواطن الاختلاف، ونحن على العكس منهم، يجب أن نعزّز مواطن الاشتراك، ولا ندعّ للعدوّ بتفرّقنا ذريعةً يجد بموجبها مناطق الضغط في جسد الأمة الإسلاميّة»^(١).

حقيقة الوحدة: تكامل لا تذويب

عند السعي لإرساء دعائم الوحدة، تبرز التباينات الفقهية والمذهبية كعقبة ظاهرة. غير أن الرؤية العميقة ترفض فكرة أن الوحدة تعني صهر المذاهب ومسحها في قالب واحد.

يوضح سماحته هذه النقطة المركزية: «ليس المراد منها ذوبان جميع المذاهب في مذهب واحد بعضهم يرفض المذاهب من أجل بلوغ الاتحاد بين المسلمين رَفَضُ المذاهب لا يعالج مشكلة الاعتراف بالمذاهب يعالج المشكلات ليمارس كلّ واحد من المذاهب الموجودة مهمّاته الطبيعيّة في منطقته، ولكنّ ليحسنوا علاقاتهم في ما بينهم»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٨٩/٠٦/٢٥ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣٧٦/٠٥/٠١ هـ ش.

إن الوحدة لا تتطلب تنازلات عقدية، بل تتطلب وعياً يركز على الجوامع الكبرى.

يُفَصِّل سماحته هذه المقاربة الإيمانية العملية: «أن يتخلَّى المسلمون عن مذاهبهم ويعتنقوا مذهباً آخر ويعملوا به، لا ليس هذا المراد حين ندعو للوحدة، لا نقصد أن الفرق الإسلامية -شيعية وسنية- أو الفرق داخل التشيع والتسنن، مرغمة ومضطرة للتخلي عن عقائدها، لتنتهي إلى عقيدة ثالثة أو عقيدة الطرف المقابل.

هذا أمر يعود إلى تحقيق الشخص نفسه وبحثه ودراسته، وهو تكليفه بينه وبين الله ليس هذا موضوعنا، موضوعنا هو أننا نروم القول لكل المسلمين من شيعة وسنة - ونذكرهم: بأن لكم نقاط اشتراك ونقاط افتراق.

أنتم مشاركون في أمور تفكرون وتعملون فيها بنحو واحد، وثمة أمور أخرى لكل فرقة فيها طريقته ومنهجها الخاص.

المسألة أولاً هي أن نقاط الاشتراك أكثر من نقاط الافتراق فالمسلمون كلهم يؤمنون بإله واحد وقبله واحدة ونبي واحد وأحكام وصلاة وصوم وزكاة وحج.

لا تجدون اثنين من المسلمين لا ينهضان للصلاة عند الصباح، إلّا إذا لم يشأ المسلم العمل بتكليفه، وإلّا فجميع مسلمي العالم يعتقدون بوجوب الصلاة عند الصبح والظهر والعصر والعشاء، ومن المستحب أداء صلاة الليل عند منتصف الليل كل المسلمين

في العالم يعتقدون أنّ الصلاة يجب أداؤها باتّجاه الكعبة، وبلغت القرآن وآيات القرآن.

حينما يحلّ شهر رمضان، يصوم جميع المسلمين، إذا علموا أنّه اليوم الأوّل من رمضان، إلّا من يريد أن يفسق ولا يعمل بواجبه، وإلّا فجميع مسلمي العالم يعتقدون بهذه الأمور... نحن نقول: يا مسلمي العالم، أينما كنتم من العالم، إذا عرفت أعداءكم وأصدقاءكم، فسوف يختلف واقع حياتكم عمّا هو عليه اليوم، أنتم اليوم تعاونون من الشتات والضعف والتخلّف البلدان الإسلاميّة فقيرة وتابعة وأسييرة غالباً.

أعداء الإسلام يريدون إقصاء الإسلام بالقوّة عن البلدان الإسلاميّة قلوب جميع المسلمين مع الله والإسلام إنهم يحبّون الإسلام. السياسات والقوى العالميّة الكبرى تحاول، بوساطة الحكومات العميلة، إبعاد الجماهير عن الإسلام.

إذا كنتم مع بعضكم وتركتم الخلافات والشجار، ولم توظّفوا طاقاتكم -وهي عنصر هائل يمكن استخدامه لتحسين شؤون دينكم ودنياكم- ضدّ بعضكم، فلن تتحقّق أهداف الأعداء القذرة. ليتّحد المسلمون مع بعضهم، ولا يعادي أحدهم الآخر لا نقول: ليدخل سنّة العالم في التشيع، أو ليتخلّى شيعة العالم عن معتقداتهم.



طبعاً، إذا حَقَّقَ السَّيِّ أو أيَّ شخصٍ آخر وبحث، فيجب عليه العمل وفقاً لعقيدته وتحقيقه، مهما أصبحت عقيدته.

أمره يعود إلى الله كلامنا في أسبوع الوحدة، وكرسالة للوحدة، هو أن يتحد المسلمون، ولا يعادوا بعضهم والمحور هو كتاب الله وسنة النبي الأكرم ﷺ والشريعة الإسلامية ليس هذا كلاماً سيئاً إنه كلامٌ يوافقه كلُّ عاقلٍ منصفٍ حسن النية^(١).

هذا الفهم يضعنا أمام الحقيقة الصارخة: إن الوحدة هي حشد لطاقات الأمة المتنوعة في مشروع حضاري واحد يواجه محاولات الاستئصال. يؤكد سماحته على هذا التوازن بين البحث العلمي الرصين والوحدة العملية: «نحن بكلامنا هذا لا نريد القول طبعاً: إنَّ على الشيعة أن يصبحوا سنة، أو على السنة أن يغدوا شيعة، ولا أن نوصي الشيعة والسنة بالكف عن العمل العلمي لتعزيد معتقداتهم في حدود قدراتهم بل العمل العلمي جيد جداً، ولا إشكال فيه ليؤلفوا الكتب العلمية في المناخات العلمية، وليس المناخات غير العلمية وبأساليب سيئة وخاطئة.

إذاً، لو استطاع شخص إثبات منطقته، فيجب علينا ألا نعرقل عمله... إذا اتحدت الأمة الإسلامية في قضاياها الرئيسية، بسكان يصلون لمليار ونصف المليار نسمة، فلكم أن تلاحظوا أية قوة عظيمة ستظهر في العالم.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٨٩/١٠/١١ م.

أما إذا تضعفت الوحدة الوطنية، فيكون الحديث عن وحدة العالم الإسلامي كلاماً أسطورياً يضحك منه الجميع، بعضهم يريدون إشاعة هذه الحالة»^(١).

الوحدة جدار الصد أمام مؤامرات الاستكبار

لم يكتفِ أعداء الإسلام بالتربص الخفي، بل انتقلوا إلى الهجوم المباشر بعد أن يقيسوا حجم الطاقات الهائلة التي تختزنها هذه الأمة. وميزتهم اليوم أنهم لا يقتصرون على السلاح العسكري، بل يعتمدون أدوات اختراق ناعمة وشرسة في آن معاً. يُعرِّف سماحته ﷺ هذا العدو وأدواته قائلاً: «إنه مسلح غاية التسلح بالمال والسياسة والإعلام وأنواع أدوات التأثير والنفوذ وتوجيه الضربات.

من هو عدو الإسلام؟ إنه جبهة الاستكبار، من الصهيونية إلى أمريكا، إلى الشركات النفطية، إلى الكتاب المأجورين والمثقفين الذين يعملون لها إنها جبهة مدججة بالسلاح، من أقصى العالم إلى أقصاه لم تكن الجبهة المعادية للإسلام متسلحة ومجهزة بكل المعدات والأدوات كما هي اليوم... ماذا سيفعل هذا العدو؟ أفضل وسيلة يمتلكها العدو هي أن يزرع الخلاف بين المسلمين،



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٦/٣/٢٠٠٠م.

وخصوصاً بين الأجزاء التي بوسعها إلهام سائر المسلمين وتوفير النموذج لهم»^(١).

الوحدة الإسلامية ليست شعاراً خاوياً

يُروج بعض السطحيين أو المغرضين لفكرة مفادها أن نداء الوحدة الإسلامية ليس سوى دعاية سياسية أو شعاراً مرحلياً يفتقر إلى الرصيد الواقعي.

هذا الطرح يجافي الحقيقة تماماً، فبمجرد الغوص في العمق الحضاري للإسلام، وإدراك حجم التحديات التي تواجه الأمة، يتجلى بوضوح أن التكتاف الواقعي بين المسلمين هو ضرورة وجودية ومسألة حياة أو موت، وليس مجرد تكتيك سياسي.

يُرسِّخ سماحة السيد الخامنئي قُلَيْبِي هذه الرؤية الجادة قائلاً: «توصيتي للإخوة المسلمين هي أن الاتحاد بين المسلمين ضرورة حيوية للمسلمين في الوقت الراهن إنه ليس مزاحاً أو شعاراً.

ينبغي للمجتمعات الإسلامية أن تعيش مع بعضها حالة اتحاد الكلمة بحق، وتتحرك وتسير بشكل متواكب الوحدة طبعاً أمرٌ معقّد.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي، بتاريخ: ١٥/٠٨/١٩٩٥ م.

خَلَقَ الاتِّحادَ عملِيَّةً معقَّدةً الاتِّحادَ بين الشعوب الإسلاميَّة ممكناً مع اختلاف المذاهب، ومع اختلاف أساليب الحياة وتقاليدها، ومع اختلاف الآراء الفقهيَّة.

معنى الاتِّحاد بين الشعوب الإسلاميَّة هو أن تتحرَّك باتِّجاه واحد في القضايا الخاصَّة بالعالم الإسلاميِّ، وتعاون فيما بينها ولا تستخدم إمكانيَّاتها وأرصَدتها ضدَّ بعضها... قضِيَّة الاتِّحاد بين المسلمين قضِيَّة جدِيَّة، وينبغي التعاطي معها بجدِّ كلِّ يوم يتأخَّر فيه تحقيق هذه القضِيَّة، يخسر فيه العالم الإسلاميُّ يوماً كاملاً، وبعض هذه الأيام حسَّاسة إلى درجة أنَّها تؤثر في عمرٍ بكامله يجب أن لا تسمحوا بتأخُّر هذه القضِيَّة»^(١).

الثورة في إيران (ثورة إسلاميَّة لا ثورة طائفِيَّة)

منذ الأيام الأولى لانتصار الثورة، سعت الدوائر الاستكبارية لتقزيم هذا الحدث الكوني وحصره في زاوية طائفية ضيقة. كان الهدف مكشوفاً: عزل الثورة عن عمقها الاستراتيجي في العالم الإسلامي، وتصويرها كحركة شيعة خالصة لا تعني بقية المذاهب. لكن الإمام الخميني قدس سره ومن بعده سماحة القائد، أجهضا هذا المخطط بالتأكيد المستمر على المنبع القرآني والإسلامي الشامل لهذه الثورة.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ١٥/٠٨/١٩٩٥ م.



يُفَنِّدُ سماحته هذه المؤامرة بحسم: «العدو يريد نشوب النزاع بين الفرق الإسلامية في أسبوع الوحدة، الوحدة بين الأمة الإسلامية خصوصاً بعد انتصار الثورة الإسلامية، أراد العدو الفصل بين إيران الثورة الإسلامية وسائر الشعوب يتمنى من الله أن يقال في العالم الإسلامي: «هؤلاء شيعة وثورتهم شيعية، لا علاقة لها بنا نحن السنة».

٧٧

قال الشعب الإيراني منذ مطلع الثورة: نعم نحن شيعة موالون لأهل بيت الرسول، لكن هذه الثورة ثورة إسلامية قامت على أساس القرآن والتوحيد والإسلام الخالص الأصيل، وعلى أساس الوحدة والأخوة بين كافة المسلمين هذا ما قاله شعبنا منذ البداية، ونادى به إمامنا لا تدعوا لهذه الوحدة أن تتشوه»^(١).

القطب الجامع للمسلمين

في رحلة البحث عن المراكز التي تلتف حولها الأمة، يكون التوحيد كعقيدة جامعة، وتبرز شخصية النبي الأكرم ﷺ كقطب رحي لا يختلف على قدسيته مسلمان، إن هذه الشخصية العظيمة تمثل المركز العاطفي والروحي الذي تذوب فيه الانتماءات الفرعية، وتتجدد به آمال الأمة.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٩١/٠٩/٢٧ م.

يدعو سماحته لاستثمار هذه المكانة العظمى في مشروع الوحدة: «المهمّ لنا نحن المسلمين هو أن نضاعف معرفتنا بالإسلام والرسول الأكرم من المآسي الكبرى في العالم الإسلاميّ اليوم، مأساة التفرقة والانفصالات، ويمكن لشخصيّة الرسول المقدّسة أن تكون محور الوحدة في العالم الإسلاميّ، فهو العقيدة التي يحملها الجميع، والبؤرة التي تجتمع فيها عواطف الناس كافّة ليس لنا نحن المسلمين قطبٌ بهذا الوضوح والشموليّة، كما هي شخصيّة الرسول المقدّسة، الشخصيّة التي يؤمن بها المسلمون، وتهفو قلوبهم ومشاعرهم نحوها بوشائج عاطفيّة ومعنويّة هذا هو أفضل قطب للوحدة.

من واجب علماء الإسلام والمستنيرين المسلمين والكتاب والشعراء والفنّانين في العالم الإسلاميّ اليوم، أن يرسموا للمسلمين وغير المسلمين شخصيّة النبيّ الأكرم، وأبعاد عظمة هذه الشخصيّة الكبرى، في حدود قدراتهم هذا شيء سيساعد على اتّحاد الأمّة الإسلاميّة والنهضة والاندفاع نحو الإسلام، الذي يشاهد اليوم لدى الأجيال الشابة من الأمّة الإسلاميّة»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢١/٠٦/٢٠٠٠م.

وانطلاقاً من هذا الوعي الإستراتيجي، جاءت مبادرة الإمام الخميني قده بتخصيص أيام المولد النبوي الشريف لتكون (أسبوعاً للوحدة الإسلامية).

كانت هذه الخطوة بمثابة تحويل للطموح النظري إلى ممارسة عملية تحبط دسائس التفرقة.

يصف سماحة القائد هذه المبادرة بالصدقة الجارية قائلاً: «من الصدقات الجارية للثورة، والتي جاءت ببركة الذهن الواعي للإمام الراحل قده، هو إعلان أيام ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أياماً للوحدة الإسلامية.

هذه القضية لافتة من زاوية أن الوحدة الإسلامية تمثل أحد المطامح والآمال، بعضهم يحملون هذا الأمل حقاً، وبعضهم يذكرونه كقلققة لسان لا أكثر.

على كل حال لا بدّ لهذا الطموح من سبيل عمليّ ما من طموح يمكن أن يتحقّق بدون مساعٍ وجهود.

وحينما نفكر في السبيل العمليّة لهذا الهدف والطموح، نجد أن من أفضلها وأكبرها الشخصية العظيمة في عالم الخلقة، أي الكيان المبارك للرسول الكريم، واستقطابه لعواطف عامّة المسلمين وعقائدهم»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قده، بتاريخ: ١٥/٨/١٩٩٥ م.

الوحدة الإسلامية (أولى خطوات العزة والاستقلال)

لا تنفصل العزة الإسلامية عن مفهوم الاستقلال ورفض التبعية، إذ لا كرامة لأمة مرهونة الإرادة للأجنبي.

وبما أن الاستعمار الحديث، كسابقه، يركز في استراتيجيته على مبدأ (فرق تسد) وتشيتت مكان من القوة، فإن نداء الوحدة يبرز كضرورة حضارية ملحة لا مجرد خيار تكتيكي.

إنها الدرع الداخلي الذي يحمي الأمة من محاولات الاستغلال والهيمنة. يُشخص سماحة القائد هذه المعادلة الدقيقة، محذراً من الانزلاق في الفخاخ الاستعمارية التي تستنزف طاقات المسلمين في صراعات: «الذين يرفعون شعار الاتحاد والوحدة والأخوة بين المسلمين، ليسوا أعداء المسلمين، بل هم أصدقاؤهم، ويريدون لهم الخير، ويطمحون لعزة جميع المسلمين في العالم.

ما فائدة أن يقف المسلمون من مختلف المذاهب في وجه بعضهم، ويوجهوا الضربات لبعضهم، ويأتي العدو فيحاصر كلا الطرفين، ويضرب رأساً برأس، ثم يتفرج عليهما ويتنفع من خلافتهما؟ هل هذا حسن؟ ... اتحاد المسلمين سيكسب العالم الإسلامي العزة هناك مليار إنسان في العالم لهم عقيدة واحدة حول الله والرسول والصلاة والحج والكعبة والقرآن والكثير من الأحكام الدينية، وهناك اختلافات قليلة بينهم، فهل من المعقول أن يركزوا على



هذه الاختلافات القليلة ويتقاتلوا، كي يتاح لِمَن يعارض الله والرسول والدين وكلّ شيء، تمرير مشاريعه؟!^(١).

ولا يكتفي سماحته بالتشخيص بل يطلق نداءً عاجلاً يضع الجميع أمام مسؤولياتهم التاريخية، محذراً من أن التراخي في إنجاز هذا الاستحقاق سيرجع الأمة قرناً من الزمان إلى الوراء: «الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى الوحدة من أجل حياتها وشموخها ونجاتها ورفعها راية الإسلام.

الوحدة لها الأولوية على كافّة الضرورات والأمور المهمّة، فهي مقدّمة عليها، لماذا لا نفهم ضرورة الاتحاد بين المسلمين؟! هناك مسؤولية ثقيلة على كواهلنا، والفترة فترة حسّاسة.

إذا استطاع الأعداء احتلال هذه المنطقة بالقوّة، سيتأخّر العالم الإسلاميّ مئة سنة أخرى، كما حصل له في عهد الاستعمار، وسوف يزداد البون بينه وبين العالم المتحضّر الصناعيّ مئة سنة أخرى.

نحن من يجب أن يتحمّل المسؤولية نحن المسؤولون اليوم. الحكومات والنخب والشخصيات الثقافية والدينيّة هي المسؤولة اليوم.

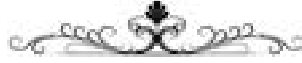
كلّنا مسؤولون حيال وحدة العالم الإسلاميّ ووحدة الأمّة الإسلاميّة واتّحاد المسلمين وعدم تضخيم الذرائع الصغيرة، كان دوماً من

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/٠٣/١٩٩٠م.

أهمّ ما قاله إمامنا الكبير قلبي، منذ ما قبل انتصار الثورة وحتى الفترة الأخيرة من حياته ونحن نرى اليوم ونفهم أنّها كانت توصيةً جدّ حكيمة وصائبة»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قلبي، بتاريخ: ٢٠٠٤/٠٥/٠٨ م.



العدالة الاجتماعية

أهمية بحث القيم

ترتكز أي بنية حضارية في مسيرتها التاريخية على ثلاثة أعمدة رئيسية: القاعدة التأسيسية المتمثلة بالرؤية الكونية والفلسفية التي تفسر حقيقة الوجود، ورأس الهرم الذي يتجسد في النظام السلوكي والعملي، وما بينهما تقع طبقة مفصلية هي (القيم).

وهذه القيم هي المعايير التي تضبط بوصلة السلوك وتحدد مفاهيم الحُسْن والقبح، فإذا كانت الرؤية الكونية تثبت وجود الخالق والمعاد، وكان السلوك يتمثل في تحريم الخمر مثلاً، فإن القيم تتجسد في إقرار حُسْن العدل وقبح الظلم.

وتتربع (العدالة) على عرش القيم التي شغلت العقل البشري والفلسفي عبر العصور.

يقول سماحة السيد الخامنئي قدس سره: «العدالة كانت هَمَّ البشر عبر التاريخ، وعلى الدوام وتبعاً للشعور بالحاجة إلى العدالة، التي شملت جميع الناس على مرّ التاريخ وإلى يومنا هذا، دخل مفكرو البشرية والفلاسفة والحكماء في هذه المقولة، وأضحت مورد اهتمامهم لذا تمّ البحث بشأن العدالة والعدالة الاجتماعية، من

الأزمة القديمة وإلى يومنا هذا، بهذا المعنى العام، وقدمت النظريات»^(١).

وقد تجاوز دور الأديان الإلهية في ترسيخ هذه القيمة حدود التنظير الفلسفي المجرد، ليكون ركناً عملياً في مسيرة الأنبياء ﷺ الذين واجهوا طواغيت الظلم.

يشير سماحته بقوله: «دور الأديان كان دوراً استثنائياً، أي إن ما ذكرته الأديان عبر الأزمنة حول العدالة، وأرادته واهتمت به، كان منقطع النظر واستثنائياً ومثل هذا الاهتمام الذي أولته الأديان، لا نشاهده في آراء الحكماء والعلماء»^(٢).

أنواع العدالة في الإسلام

لا يقتصر مفهوم العدالة في المنظور الإسلامي على مسار أحادي، بل يمتد ليشمل أبعاداً متعددة:

- العدالة الأخلاقية: وتعني خلق التوازن الدقيق بين قوى النفس وملكاتهما لتجنب الإفراط والتفريط.
- العدالة الفقهية: وهي الملكة الروحية الراسخة التي تدفع الإنسان لملازمة التقوى واجتناب المحرمات وأداء الواجبات.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١م.

- العدالة الاجتماعية: وهي صلب هذا البحث، وتعني بإرساء دعائم الإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه داخل شرائح المجتمع الإسلامي.

يفرق سماحته بين هذه الأبعاد وموقعها من البناء الاجتماعي قائلاً: «... العدالة بين الإنسان ونفسه، والتي لا ربط لها بالعدالة الاجتماعية. في القرآن تكرر ظلم النفس في آيات عديدة حسناً، الظلم هو النقطة المقابلة للعدل.

في دعاء كميل نقرأ «ظَلَمْتُ نَفْسِي»^(١)، في المناجاة الشعبانية الشريفة نقول: «قَدْ جَرْتُ عَلَى نَفْسِي فِي النَّظَرِ لَهَا، فَلَهَا الْوَيْلُ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَهَا»^(٢).

الذنوب والزلات والسعي وراء الشهوات واتباع الأهواء والابتعاد عن الذكر والخشوع لرب العالمين هو ظلمٌ للنفس. وهذا يعدّ ميداناً مهماً حين نقوم بالبحث في باب العدالة -العدالة في العلاقات الاجتماعية، وفي تشكيل النظام الاجتماعي- لا

(١) الكفعمي، إبراهيم بن عليّ العاملي، البلد الأمين والدرع الحصين: ص ١٨٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
(٢) ابن طاووس، عليّ بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يُعمل مرة في السنة، تحقيق وتصحيح: جواد قيومي الأصفهاني: ج ٣/ ص ٢٩٦، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

يمكننا أن نغفل العدالة مع النفس فلا ينبغي أن نظلم أنفسنا، بل أن نعاملها بالعدالة.

والنقطة المقابلة لـ «قَدْ جَرَتْ عَلَى نَفْسِي» هي هذا العدل، فلا نجور، بل نعدل، لو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَفَّقَنَا أَنْ نَجْتَنِبَ هَذَا الظُّلْمَ، فَإِنَّا عِبَادَ اللَّهِ لَدِينَا أَمَلٌ كَبِيرٌ فِي أَنْ نُوَفَّقَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِإِقَامَةِ الْعَدْلِ فِي الْمَجْتَمَعِ»^(١).

ضرورة الأصالة في البحث النظريّ حول العدالة الاجتماعية

إن استنباط الرؤية الإسلامية لمفهوم العدالة الاجتماعية يستوجب العودة الصافية إلى الينابيع الأصيلة كالقرآن والسنة وسيرة المعصومين، وتجنب محاولات (الالتقاط) الفكري أو التلفيق مع النظريات الغربية التي تنطلق من مبانٍ فلسفية تتناقض مع الرؤية التوحيدية.

يؤكد سماحته على هذه المنهجية قائلاً: «لهذا، في المرحلة النظرية والتنظير يجب أن نتوجه إلى المصادر الإسلامية، ونحصل على النظرية الأصيلة في باب العدالة من المتون الإسلامية، واعتماداً في هذه النكته على أننا لا نريد أن نستخرج نظرية أو نتجهها من خلال التجميع والتركيب من النظريات المختلفة للمفكرين والحكماء الذين تحدثوا في هذا المجال، أي إنّنا في هذه القضية، يجب أن نحترز تماماً من الالتقاط... في القرآن والحديث ونهج



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١١/٠٥/١٧ م.

البلاغة والمدونات الفقهيّة والكلاميّة والحكميّة، يوجد أبحاث كثيرة، يمكن لجميعها أن تمثّل مصدراً مفيداً لاكتشاف النظريّة الإسلاميّة الأصيلة... بالطبع كغيرها من الموارد المختلفة، يمكن للتعرف على آراء الآخرين أن يعيننا في فهم المتون الإسلاميّة. وهذا الأمر وارد في جميع المجالات وفي الأبحاث الحقوقيّة والفقهيّة أيضاً.

حين نتعرف على رأيٍ أجنبيٍّ، ويتّسع ذهننا بطريقة صحيحة فإنّنا سنستفيد بشكل أفضل وأكمل من مصادرنا الإسلاميّة والأمر هنا كذلك.

لكن ينبغي أن نكون ساعين نحو الوصول إلى النظريّة الإسلاميّة الأصيلة، وأن نحترز من الالتقاط.

وبالطبع من البديهيّ أنّ سبب قولنا: بأنّ النظريّة الإسلاميّة ينبغي أن تكون خالصةً وأصيلةً، هو أنّ قضية العدالة مبنية على الأسس والمباني لمعرفة الوجود وعلم المعرفة والأركان الأساسيّة، وإذا أردنا أن نعتمد على النظريّات الغربيّة - والتي هم عمدتها - فإنّنا نكون في الواقع، قد اعتمدنا على المباني الفلسفيّة التي لا نقبلها ولا يمكننا قبولها، وهي الآراء المتعلّقة بمعرفة الوجود^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١م.

العبودية هدف العدالة في الدين

لم تكن العدالة في حركة الأنبياء ﷺ مجرد شعار حقوقي منفصل عن السماء، بل هي مسار إلهي موثق بالنصوص القرآنية التي تجعل من (القيام بالقسط) غاية لإرسال الرسل. وقد جاء في التنزيل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

يفسر سماحته هذه الآية قائلاً: «وبالقطع إن هذه الآية تحكم بأن هدف إرسال الرسل وإنزال الكتب ومجيء البينات -أي الحجج المتقنة التي لا تقبل الشك مما عرّضه الأنبياء، الكتاب يعني منشور الأديان فيما يتعلق بالمعارف والأحكام والأخلاقيات، والميزان يعني ما يحدّد ويضع المعايير- هو القيام بالقسط، ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾»^(٢).

غير أن هذه العدالة الاجتماعية ليست نهاية المطاف الوجودي، بل هي القنطرة الكبرى والمقدمة الضرورية لبلوغ الهدف الأسمى المتمثل في (العبودية) لله تعالى.

يقول سماحته ﷺ مبيناً هذا الارتباط العميق: «لا شك بأن القيام بالقسط وكل ما يتعلق بالحياة الدنيوية والاجتماعية والفردية

(١) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني ﷺ، بتاريخ: ٢٠١١/٠٥/١٧ م.



للنَّاسِ، هو مقدِّمةٌ لذاك الهدف المتعلِّق بالخلق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، أي إنَّ العبوديَّة هي في الأساس هدف الخلق، وصيرورة الإنسان عبداً لله، حيث إنَّها تعدُّ أعلى الكمالات^(٢).

سيرة الأنبياء مع المظلومين

لم يقف الأنبياء عند حدود الوعظ النظري، بل اقتحموا ميدان العمل بانحيازهم التام للمظلومين، ومواجهتهم المباشرة للمترفين والطواغيت الذين احتكروا مقدرات المجتمعات. يصف سماحته هذا الموقف الرسالي الشجاع قائلاً: «كانوا على مرِّ التاريخ إلى جانب المظلومين، فقد جاهدوا عملياً من أجل العدالة. لاحظوا لقد صرَّح القرآن الكريم بأنَّ الأنبياء يواجهون الطواغيت والمترفين والملا، حيث إنَّ هؤلاء جميعاً من الطبقات الظالمة... فالمترفون يقفون مقابل الأنبياء، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِأَنَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١م.

(٣) سورة سبأ، الآية ٣٤.

فما نجد من نبيٍّ إلَّا وكان في مقابله مترفون، وكان النبيُّ يحاربهم، وهكذا كان حال الملأ الذين هم الممسكون بالقدرة والسلطة والطاغوت له معنى يشمل جميع هؤلاء.

لذا فإنَّ الأنبياء كانوا دائماً إلى جانب المظلوم في الصراع بين الظالم والمظلوم، فكانوا ينزلون إلى الميدان من أجل العدالة ويحاربون، وهذا ما لا نظير له.

لقد تحدَّث الحكماء حول العدالة ولكنَّهم في كثيرٍ من الأوقات كانوا كالعديد من المفكرين المختلفين الذين يكتفون بالكلام ولكنَّهم لا ينزلون إلى الميدان حين يحين دور العمل... لم يكن الأنبياء هكذا بل كانوا ينزلون إلى الميدان ويعرِّضون أنفسهم للخطر حتَّى عندما كان المترفون يقولون لهم: لماذا تقفون إلى جانب الطبقات المظلومة؟ ويطلبون منهم الانفصال عن هذه الطبقات وأن يواجهوهم فالآية الشريفة: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَنْ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، والتي تتحدَّث عن جواب النبيِّ نوح لمعارضيه، هي في هذا المجال أيضاً.



لهذا أولئك الذين كانوا محرومين من العدالة، كانوا أول من يؤمن بالأنبياء أيضاً^(١).

العدالة ونهاية العالم

في مقابل الرؤى الفلسفية المتشائمة التي تنذر بنهايات مأساوية للتاريخ البشري، تقدم الأديان الإلهية رؤية ملؤها الأمل واليقين بأن محطة التاريخ الأخيرة ستتوج بانتصار العدل المطلق.

٩١

يوضح سماحته هذه النظرة التفاؤلية للمستقبل البشري: «جميع الأديان تتفق على أن نهاية هذه الحركة التاريخية العظيمة هي نهاية مليئة بالأمل بالعدل، أي إنها تقول بشكل قاطع: إنه سيأتي عصر يكون عصر العدل، وهو عصر استقرار الدين الكامل.

وقد جاء في الدعاء الذي يقرأ بعد زيارة آل ياسين: «يَمَلَأُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا»^(٢) أو «عَدْلًا وَقِسْطًا»^(٣)، حيث تختلف في مواضع عديدة - «كَمَا مَلَأْتُ ظُلْمًا وَجَوْرًا»^(٤)... فالأنبياء جميعهم،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١١/٠٥/١٧ م.

(٢) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق وتصحيح الأنصاري الزنجاني الخويني: ج ٢/ ص ٥٦٧، نشر الهادي، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.

(٣) سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ج ٢/ ص ٧٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٦٧.

والأديان كلّها، والنبوّات جميعها أشارت إلى هذه النهاية، وأكّدت عليها، وأصرت وقالت: إنّها في طور التحرك نحو ذلك. لذا فإنّه في المبدأ وفي المسير وفي المنتهى، كان اعتماد النبوّات على العدل، وهذا ما لا نظير له»^(١).

سَلَمُ القِيمِ والعدالة

في فقه القيم الإسلامية ليست كل المبادئ في مرتبة واحدة، بل هناك هرمية تجعل بعض القيم حاکمة على غيرها. فالعدالة تُعد قيمة مطلقة حاکمة لا تقبل التقييد، بخلاف قيمة (السلام) التي تعد نسبية ومحكومة لمقصد العدل، فلا خير في سلام يُبنى على تكريس الظلم. يقرر سماحته هذه القاعدة المعيارية بقوله: «السلام ليس قيمةً مطلقةً، هو قيمة نسبيّة، ففي بعض الأماكن، يكون السلام جيّدًا، وفي أماكن أخرى يكون السلام سيئًا، والحرب جيّدة. لكنّ العدالة ليست كذلك، فالعدالة قيمة مطلقة، أي إنّنا لا نجد مكانًا تكون العدالة فيه سيئة»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١م.

منشأ قيمة العدالة في الإسلام

تنبثق العدالة في المنظومة الإسلامية من صميم الرؤية التوحيدية،
فالله تعالى هو الحق المطلق، ومنه تُستمد معايير القيم.
ولا تقف العدالة عند حدود المبادئ الأخلاقية الاختيارية القابلة
للإسقاط والتنازل، بل ترتقي في الميزان الفقهي لتصبح (وجوباً) إلهياً
وفريضة شرعية، وهو البعد الغائب عن الفلسفات المادية.

يوضح سماحته هذا الفارق الجوهرى: «... ففي الإسلام تنشأ العدالة
من الحق... وبالإضافة إلى هذا يوجد في العدالة «الوجوب»، أي
إنَّ التوجُّه نحو العدالة في الإسلام يعدّ وظيفةً إلهيةً، في حين أنَّ
الأمر في المذاهب الغربية ليس كذلك، في المذاهب الغربية، تطرح
العدالة بأشكال مختلفة - ففي الاشتراكية بنحو، وفي الليبرالية بنحو
آخر - مع التطوّرات كلّها والأشكال المختلفة لهذه المذاهب، وفي
هذه المذاهب جميعها، لم يكن النظر إلى العدالة نظراً بنوياً
وأساسياً ومبنياً على القيم الأصولية، كما هو الحال في الدين
والإسلام»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١م.

ارتباط قيمة العدالة بالرؤية الكونية

لقد فشلت النظريات الغربية في تحقيق العدالة الموعودة لأنها افتقرت للأساس العقائدي المتين.

فالعدالة الحقيقية لا تستقيم في مجتمع ما لم تكن مسنودة بالإيمان العميق بالمبدأ والمعاد، واليقين بأن كل عمل وسلوك سيتجسد يوم القيامة. يشرح سماحته أثر هذا الارتباط العقائدي: «إنَّ الاعتقاد بالمبدأ والمعاد في قضية العدالة له دورٌ أساسيٌّ ينبغي أن لا نغفل عنه.

فينبغي أن لا نتوقع استتباب العدالة في المجتمع بمعناها الحقيقي، بدون أن يكون هناك اعتقاد بالمبدأ والمعاد، فأينما انعدم هذا الاعتقاد، تصبح العدالة كشيء مفروض وإجباري، لا أكثر. وهذا هو السبب في أن بعض الأطروحات الغربية الجميلة في باب العدالة، لم تتحقق مطلقاً، لأنها لم يكن لديها ركائز اعتقادية.

الكلام جميل - على الأقل في ظاهره، وإن لم يكن برهاناً كثيراً- لكن في العمل في المجتمعات الغربية، في الحياة الغربية، لا خبر عنه ولا أثر في الأساس لا يشاهد المرء تحققه، بل إن ما هو موجود هو اللأعدالة المطلقة هناك.

وسبب هذا أنه لم يكن هناك ركيزة الاعتقاد بالمبدأ والمعاد فيه فالاعتقاد بالمعاد والاعتقاد بتجسُّم الأعمال والاعتقاد بتجسُّم المَلَكَات في القيامة، له تأثير كبير أن نكون عادلين ومطالِبين



بالعدالة ونمدح العدل ونسعى لأجله كل هذا سيتجسّم يوم القيامة هذه هي النقطة المقابلة (للغرب).

هذا الاعتقاد يمنح الإنسان النشاط والطاقة فليعلم الإنسان أيّ بلاء جلبه على نفسه جرّاء سلوكه الظالم، بل حتّى فكره الظالم على صعيد تجسّم الأعمال في القيامة، فمثل هذا يقربه إلى العدالة طبعاً^(١).

اقتراحان لتقوية بحث العدالة نظرياً

ولترجمة هذا الطرح العقائدي إلى واقع مؤسسي وعملي، يقدم سماحته مقترحين استراتيجيين يضعان الحوزات العلمية والجامعات أمام مسؤولياتها التاريخية:

الأول: ضرورة تأسيس فرع علمي وتخصصي مستقل لمبحث (العدالة) في المحافل الأكاديمية والدينية.

حيث يقول: «أحد أهمّ الأعمال في الميدان النظريّ، هو أن نعرّف بحث العدالة في الحوزة وفي الجامعة، كفرع علميٍّ محدّد.

وهذا ما ليس موجوداً اليوم، لا في الحوزة، ولا في الجامعة، فلا إشكال في أن نفرض في الحوزة أنّ أحد المواضيع التي يتمّ بحثها من قبل فقيه أو أسلوب فقهيّ قضية العدالة... فما هو الإشكال في

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١م.

أن يكون في الحوزة العلميّة، أحد المجالات التي يتابعها الفقيه في درس الفقه الاستدلاليّ الذي يعطيه، قضية العدالة؟^(١).

الثاني: صياغة معايير دقيقة واستخراج (شواخص) إسلامية تطبيقية للعدالة لتحرير العقل المسلم من استعارة الشواخص الغربية. ويشير سماحته إلى هذا التحدي العملي بقوله: «إنّ أحد الأعمال النظرية المهمة التي ينبغي أن نقوم بها، هي أن نكتشف شواخص العدالة.

حسناً إنّ الشواخص التي يطرحها الغرب اليوم، قابلة للقبول بشروط، فبعضها ليس شاخصاً بالمطلق، وبعضها شواخص ناقصة، وبعضها يمكن أن يكون شاخصاً في بعض الظروف علينا أن نجلس ونكتشف، بشكلٍ مستقلّ، شواخص العدالة واستقرارها في المجتمع، وأحد الجوانب المهمة للعمل هو هذا. بالطبع يجب إنجاز الكثير في ساحة العمل، وأحدها أن نضع للعدالة معياراً أساسياً في التشريع»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠١١ م.



الجهاد طريق العزة

في الرؤية الإسلامية الأصيلة، يخرج مفهوم (الجهاد) من دائرة الحصر العسكري الضيقة ليتسع ويشمل كافة ميادين النشاط الإنساني والعمل الدؤوب.

إنه حالة من الحضور الواعي والمثابرة المستمرة لتذليل العقبات وبناء الذات والمجتمع، والوقوف بصلابة أمام التحديات.

٩٧

يُعرّف سماحة السيد الخامنئي قدس سره هذه الحقيقة الشاملة قائلاً: «الجهاد

يعني الحضور في ميدان المجاهدة مع السعي الهادف والإيمان.

لهذا قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)،

فالجهاد هو أن يرى الإنسان نفسه دوماً في ساحة النشاط والحركة

والكفاح ضدّ العقبات والموانع والعراقيل، ويشعر بالواجب

والالتزام هذا هو الجهاد الإسلامي^(٢).

وتمتد ساحات هذا الجهاد لتغطي كل مساحة تؤثر إيجاباً في بناء الوطن

وخدمة الأمة ومواجهة خصومها.

يضيف سماحته موضحاً: «إنّ الحضور الجهادي في المجالات

المختلفة، خصوصاً في المجالات المؤثرة، أحد عوامل النجاح

والتقدم والعمل الجهادي يعني عدم التعب في مواجهة الصعوبات

(١) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٣/٠٦/٢٠١٠م.

والحواجز، والإيمان بالمسير والحركة على أساس الفكر والمنطق
إنّ ذلك السعي مقابل عدوّ ما أو خصم ما»^(١).

قيمة الجهاد

١. تيارُ بقيادة الحسين عليه السلام

لا يُستمد وهج الجهاد من التنظير المجرد، بل من النماذج
الكبرى التي تصدر قافلته، وعلى رأسها سيد الشهداء عليه السلام، الذي أضحي
ثورته تياراً يزداد عنفواناً على مر العصور.

يقول سماحة القائد: «إنّ قيام سيّد الشهداء عليه السلام هو الذي حفظ
الإسلام، كذلك فإنّ هذه الحادثة ازدادت حيويّة ونضارة يوماً بعد
يوم، على مرّ القرون وازدادت مراسم إحياء هذه الحادثة في
الوقت الراهن، بالمقارنة بما قبل مئة سنة حيث لم يكن لتدوين
الناس، بحسب الظاهر آنذاك، معارضون كمعارضى اليوم - حرارةً
وجاذبيّةً وحماساً واتّساعاً، هذا كلّ له معناه.

هذا كلّ يدلّ على حقائق، وعلى تيار يسير ويتقدّم حالياً في العالم،
بقيادة الحسين بن علي عليه السلام، وسوف يتقدّم أكثر، إن شاء الله،
وسيكون فتحاً للآفاق وحلّاً لعقد مشاكل الشعوب»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣٩٢/١٠/٢٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣٩٢/٠٩/٢١ م.

٢. بابٌ من أبواب الجنة

إن الكرامة التي يمنحها الله لعباده المجاهدين تتجاوز ثواب الآخرة لتشمل العزة في الدنيا، ولولا هذا الباب الإلهي لعاشت الشعوب في مستنقع الذل والتبعية.

يقول سماحته في شرح المقولة العلوية الخالدة: «إِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لخاصَّةِ أَوْلِيائِهِ»^(١)، فما معنى ذلك؟ معناه أن شبابكم وشهداءكم وأعزاءكم من خاصة أولياء الله، حيث استطاعوا اجتياز هذا الباب، لماذا يعدّ الله تعالى هؤلاء خاصة أوليائه؟ لأنه لو لم يكن هذا الجهاد، لبقى الشعب ذليلاً متأخراً ضعيفاً خاضعاً للعسف على الدوام»^(٢).

(١) الرضي، السيّد أبو الحسن محمّد بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح: ص ٦٩، الخطبة ٢٧، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٢/٥/٢٠٠٩م.

٣. ثروة ثقافية قيمة

يتحول الجهاد في وجدان الأمة إلى ثقافة متجذرة ومصدر اقتدار يصعب اختراقه، فهو نتاج الإيمان الراسخ بحتمية الانتصار والمقاومة. يؤكد سماحته على هذه القيمة الكبرى: «إنَّ الإيمان يحيي في الإنسان روحَ الجهاد والرغبة في الجهاد، وهذه بذاتها قيمة ثقافية، إنها قيمة ثقافية كبرى، هذا أولًا، والإيمان بالصمود في وجه المتسلط قيمة ثقافية أيضًا، فالاعتقاد بأننا لو صمدنا وثبتنا، فإننا في نهاية المطاف سوف نتصر على العدو لا محالة، قيمة ثقافية وثروة ثقافية، لذا فإن روحية الجهاد والمقاومة لدى أيِّ شعب، من مصادر الاقتدار، لذلك فهؤلاء الأعداء يواجهون روحية الجهاد والمقاومة»^(١).

٤. الجهاد والإيثار

لا يكتمل مفهوم الجهاد ما لم يقترن بنكران الذات والتعالي عن الحسابات المادية الضيقة، وهو ارتقاء لا يتحقق إلا باليقين الثابت بالحياة الأبدية.

يقول سماحته عليه السلام: «يجب أن يكون الجهاد مصحوبًا بالإيثار، وإلَّا لَمَّا كان جهادًا، معنى الجهاد هو التجاوز عن الذات وغضُّ الطرف عنها، فلماذا أغضُّ الطرف عن ذاتي؟ إنَّه الإيمان بالمعاد الذي يجعل هذا الأمر منطقيًا وعقلانيًا، حينما نؤمن أنَّه ما من عمل سوف

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٧/٠٣/٠٦ م.



يذهب سُدًى، بل ستحفظ الأعمال جميعها، وسوف نراها في حياتنا الحقيقية، الآخرة ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(١) عندها، لو خسرنا هنا شيئاً في سبيل أداء التكليف والواجب، فلن نشعر بالخسارة حتّى لو كان ذلك الشيء هو أرواحنا أو أحبّاءنا وأبناءنا»^(٢).

٥. جوهره الإيمان

١٠١

الجهاد ليس مجرد انفعال طارئ، بل هو استثمار للطاقات ينبع من يقين راسخ.

يقول سماحته قدس سرّه: «إِنَّ الجهاد حراكٌ نابعٌ من عقيدة وقناعة قلبية وإيمان وتوظيف للطاقات والقدرات، إذا توفّر ذلك الإيمان وتلك القناعة القلبية»^(٣).

٦. مستقبل الشعوب

الجهاد هو الضمان الأكيد لنهضة الأمم ومحرّكها الأساسي نحو المجد، بعيداً عن التراخي والانبطاح.

يقول سماحته قدس سرّه: «إِنَّ الشيء الذي يقوّي الشعب من الداخل، هو هذا الجهاد، لن نصل إلى أيّ نتيجة بالوهن والتراخي، ولن نكسب

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٠/١٢/٠١ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٨/٠١ م.

أيّ مرتبة في مضمار السباق بين الشعوب، مع الرضوخ للتعسف والهيمنة»^(١).

ويشير سماحته: «الجهاد في سبيل الله، هو ما يحقق الرشد والنمو للشعب، ويمنحه الضراوة والتوثب، والحركة والأمل، ويتقدم به إلى الأمام»^(٢).

٧. لازمٌ على الدوام

لا يرتبط الجهاد بظرف زمني أو مكاني محدود، فهو حالة يقظة مستدامة تتجاوز مفهوم القتال العسكري اللحظي.

يتحدث سماحته في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣) عن ديمومة الجهاد، فيقول: «لا تسرّ وراءهم واحذرهم، ويقول في موضع آخر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾»^(٤) يقول تعالى «جاهد»، وليس «قاتل الكفار والمنافقين»، لأن القتال ليس واجباً ضرورياً دوماً، ولكن الجهاد ضروري ولازم على الدوام»^(٥).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٠٩/٠٥/١٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٠/١١/١٧ م.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ١.

(٤) سورة التوبة، الآية ٧٣.

(٥) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/١٢/٠٧ م.



١. الجهاد الكبير

يتخذ الصراع في عالمنا المعاصر أشكالاً معقدة تتجاوز الميادين العسكرية، لتتجلى المقاومة في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد ورفض التبعية، وهو ما أسماه القرآن بـ (الجهاد الكبير).

يفصل سماحته هذا المفهوم العميق قائلاً: «إنَّ الحرب العسكريَّة غير متوقَّعة حاليًّا، [أو فلنقل] إنَّ احتمال اندلاع حربٍ عسكريَّة تقليديَّة في بلادنا حاليًّا، ضعيف جدًّا جدًّا، لكنَّ الجهاد مستمرٌّ، الجهاد هو أمر آخر.

الجهاد لا ينحصر بالقتال فقط، الجهاد لا يقتصر على الحرب العسكريَّة، وإنَّما يشمل معنى أوسع بكثير بين حالات الجهاد، ثمَّة جهاد عبَّر الله تعالى عنه في كتابه بـ «الجهاد الكبير» ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾^(١)، كما في سورة الفرقان المباركة، وقوله: ﴿بِهِ﴾ يعني بالقرآن، ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي جاهدكم بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

التفتوا جيِّداً أيها الشباب الأعزَّاء! لم تكن في مكَّة حربٌ عسكريَّة، ولم يكلف النبيّ والمسلمون بشنِّ حربٍ عسكريَّة فيها، والمهمَّة التي كانوا يقومون بها مهمَّة أخرى، وهي التي أمر الله تعالى بها في

(١) سورة الفرقان، الآية ٥٢.



هذه الآية الشريفة قائلاً: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ فما هي تلك المهمة الأخرى؟ هي عمل آخر، إنها الصمود والمقاومة وعدم التبعية: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

إنَّ عدم إطاعة الكفار هو الذي عبّر الله تعالى عنه بالجهاد الكبير. وهذا التصنيف يختلف عن تقسيم الجهاد إلى جهاد أكبر وجهاد أصغر: فالجهاد الأكبر الذي يفوق أنواع الجهاد كلّها صعوبةً، هو جهاد النفس، ذلك الجهاد الذي يحافظ على هويتنا وباطننا والجهاد الأصغر هو مقاتلة العدو، ولكن، بين أقسام الجهاد الأصغر، هناك جهادٌ أطلق الله تعالى عليه «الجهاد الكبير»، وهو هذا الجهاد.

ولكن ماذا يعني «الجهاد الكبير»؟ يعني عدم إطاعة العدو والكافر والخصم الذي نواجهه في ساحة النزاع وماذا تعني الإطاعة؟ تعني التبعية ولا يجوز الاتّباع في أيّ المجالات؟ في مختلف الساحات والميادين، التبعية في مجال السياسة، في مجال الاقتصاد، في مجال الثقافة في مجال الفنّ، فلا تتّبع العدو في شتى الميادين والمجالات، هذا هو «الجهاد الكبير»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٣/٠٥/٢٠١٦ م.

٢. أنواع أخرى

وتتسع مظلة الجهاد لتشمل كل تفان يسهم في رفعة الأمة، سواء في مختبرات البحث العلمي، أو في ميادين البذل المالي والمشاركة السياسية الفاعلة.

يبين سماحته هذا التنوع بقوله: «إنَّ أحد أنواع الجهاد بالنفس هو أن تقضوا وقتكم من المساء وحتى الصباح على مشروع تحقيقي أو بحثي من دون أن تلتفتوا إلى مرور الوقت إنَّ الجهاد بالنفس هو أن تضحوا بأوقات ترفيهكم وراحة أجسامكم، وتعرضوا عن ذاك العمل الذي يدرّ الكثير من المال والمدخول وتقضوا وقتكم في هذا المحيط العلمي والبرحي حتى تستنبطوا حقيقة علمية حيّة وتقدّموها كباقة ورد إلى مجتمعكم هذا هو الجهاد بالنفس، وقسم صغير منه هو الجهاد بالمال»^(١).

ويضيف في سياق تنوع مصاديق الجهاد العملي: «يكون الجهاد أحياناً بالنفس، وأحياناً بالمال، وأحياناً بالفكر، وأحياناً برفع الشعارات، وأحياناً بالنزول إلى الشوارع، وأحياناً بالحضور عند صناديق الاقتراع»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٣/٦/٢٠١٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧/١١/٢٠١٠ م.

ويلخص سماحته هذا الشمول بعبارة جامعة: «الجهاد جهاد سياسيّ تارةً وجهاد ثقافيّ تارةً أخرى ومرةً جهاد ناعم وأخرى جهاد صلب وتارةً جهاد بالسلاح وأخرى جهاد بالعلم، هذا كلّ جهاد»^(١).

وفَضَّلَ اللهُ المَجاهدين

إن الرفعة التي منحها الباري عز وجل للمجاهدين في الدنيا والآخرة هي ثمرة إخلاصهم وتضحياتهم التي تبني الأمم وتصون كرامتها، وترسم طريق الخلود.

يتفياً سماحته ظلال الآيات الكريمة مفسراً هذا الفضل العظيم: «قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾»^(٢)، وهذا هو السبب الذي أدّى إلى أن يجعل الله تعالى للمجاهدين فضلاً ودرجة عالية يجاهد بعضهم في هذه المدة، ويوصلهم جهادهم هذا إلى المقامات العليا، ولا يبني لهم آخرتهم فحسب، بل يبني دنيا الآخرين ويصوغها ويقويها أيضاً.

وعندها فإن نصيب الجهاد ونصيب الشهداء، هو: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ ❀ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٢/١٧/٢٠١٦ م.

(٢) سورة النساء، الآية ٩٥.



خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١) هكذا هي القضية، هذا كلام الله، وهذه هي بشرى الله بأن هؤلاء أحياء عند ربهم، يحظون بلطف الله ورزقه، وهم في فرحة وسرور، ويقولون لي ولكم: إن المنزل الذي ستبلغونه إذا ما سرتم في هذا الطريق، لا خوف فيه ولا حزن: ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هذا هو الطريق»^(٢).

ولا ينحصر هذا التكريم الإلهي بمن رزقهم الله وسام الشهادة، بل يشمل أولئك الذين حملوا أرواحهم على أكفهم وبقوا أحياء يشهدون على التضحية والصبر، فهم جديرون بكل التبجيل.

يؤكد سماحته على مسؤولية الأمة تجاه جرحاها ومجاهديها: «المجاهدون الذين جاهدوا وكافحوا وناضلوا، فجرح بعضهم، وتحمل بعضهم الآخر مشكلات ومتاعب كبيرة، وصبروا الكثير منهم لا يلتفت إليهم، ولا يهتم بهم المجتمع إن تضحية هذا المجاهد لا تختلف عن تضحية ذلك الشهيد، فكلاهما توجه إلى جبهات القتال، لكن القذيفة التي انفجرت لم تصب شظاياها هذا المجاهد، وأصاب ذلك، هذا هو الفرق بينهما فقط.

وبالطبع فإن الشهداء يحظون بلطف خاص من قبل الله، وهذا اللطف لم يمنح بعد للذين لم يستشهدوا، وقد ينالون الشهادة

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٦/٢٠/٢٥٠٢م.

لاحقاً، لقاء العناء الذي تحمّلوه، إذًا، للمجاهد قيمة الجهاد، وينبغي
تثمين هذه القيمة وتكريمها»^(١).

عندما يكون جهادكم لله

لطالما سخر الأعداء ترساناتهم الإعلامية والمادية لكسر شوكة
النظام الإسلامي، إلا أن تحصنه بالإخلاص والعمل لله جعله بنياناً
مرصوفاً يستعصي على كل مكيدة ومؤامرة.

يقرأ سماحته سر هذه المناعة الاستثنائية قائلاً: «إنّ الذين عملوا في
سبيل الله، وجاهدوا، وبذلوا مساعيهم، بارك الله في عملهم لذلك
استطاعت الثورة والنظام الإسلاميّ الترسّخ في القلوب.

انظروا اليوم كم ألف وسيلة إعلاميّة مرئيّة ومسموعة، وأنواع
الوسائل الإعلاميّة وصنوفها بأحدث الأساليب تعمل ضدّ النظام
مئات الأدمغة والأفكار تجلس في الغرف السوداء وتبتكر كلّ يوم
كلاماً أو شعاراً أو فكرة أو حيلة ضدّ هذه الثورة، لكنّهم عاجزون
عن الإضرار بالثورة والنظام الإسلاميّ ما السبب في ذلك؟ متانة
هذا البناء وصلابته بسبب قيامه على مبدأ الإيمان بالله، الذين ساروا
في هذا الدرب إنّما قاموا بعمل إلهي»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٦/١٢/٢٠١٩م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٠٨/٠٢/٢٠١٠م.

بقاء الروح الجهادية

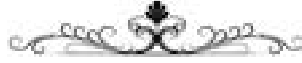
إن استدامة المنجزات الكبرى تتطلب حراسة دائمة لشعلة الجهاد في النفوس، كي لا تنطفئ في غمرة الرخاء أو تعقيدات الحياة المعاصرة. يوجه سماحته دعوة محورية للحفاظ على هذا الوهج: «اجعلوا العمل والجهاد والروح الجهادية نصباً أعينكم، في جميع الميادين المتنوعة لنشاطكم»^(١).

ويختتم ببعث روح الطمأنينة واليقين بحتمية الوعد الإلهي بالنصر: «واعلموا أن الجهاد في سبيل الله وعد إلهي بالنصر، فعندما تتحركون لله وفي سبيل الله ستصلون إلى النصر، ولا يمكن لأيّة قوة أن تغلب عليكم، هذا وعد الله»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٩/١٠/٠٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١١/٠٣/٢٨ م.





الشهادة لقاء الله

إن الإيمان بالآخرة في المنظومة الإسلامية ليس مجرد عقيدة غيبية ساكنة، بل هو طاقة محرّكة تعيد تشكيل نظرة الإنسان للحياة والموت.

فالإنسان الموحد لا يرى في آفاق المادة نهاية المطاف، ولا يرى في الموت فناءً، بل معبراً نحو عوالم أرحب وأكثر كمالاً.

ومن هذا اليقين تنبثق قيمة (الشهادة) كأرقى درجات العروج الروحي والتقرب إلى الله تعالى، وهي منحة إلهية لا ينالها إلا من تربّع على قمم الشرف والعزة.

يؤكد سماحة السيد الخامنئي قلبي على هذا السمو الإنساني قائلاً: «إنَّ الشهادة في سبيل الله وحمل الأرواح على الأكفِّ والتضحية في سبيل الله، هي قمم الشرف الإنساني»^(١).

ولا تُنال هذه المنزلة اعتباطاً، بل هي ثمرة مسيرة شاقة من تهذيب النفس والتقرب إلى الخالق.

يوضح سماحته هذه الملازمة الدقيقة: «أنَّ الشهادة بذاتها هي وسيلة للقرب إلى الله، يحتاج الإنسان إلى ذخيرة عالية من القرب الإلهي

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلبي، بتاريخ: ١٥/٠٨/٢٠١١ م.

للولوصول إلى الشهادة من دون هذه المقدّمة اللازمة، لن يصل أحدٌ إلى هذا المقام»^(١).

ويضيف قُلَيْشٌ: «الشهادة هبةٌ إلهيةٌ خاصّةٌ بالخواصّ، وعظمة هذه المنزلة الرفيعة متناسبةٌ مع عظمة الإيثار الخالص، الذي يدفع بالشهيد إلى ساحة الجهاد، ويسقيه شهد الشهادة»^(٢).

عظمة الشهادة

١. تجارة مع الله

يخرج مفهوم الشهادة من إطار الخسارة المادية المحضة ليدخل في مسار أربح تجارة يمكن للإنسان أن يعقدها؛ حيث المشتري هو الله، والتمن هو الخلود.

يقول سماحة القائد في شرح هذه الصفة الإلهية: «إنّ الشهادة تعني التجارة مع الله تعالى، تجارة ذات طرفين، لا قلق ولا خوف فيها مع الله المتعال، البضاعة فيها معلومة، وكذلك الثمن البضاعة هي النفس، النفس التي هي الرأسمال الأساسي لكل إنسان في هذا العالم الماديّ، هذه هي البضاعة وهذا ما تقدّمونه أنتم. علام ستحصلون في المقابل؟ ستحصلون على السعادة الأبدية، والحياة الخالدة في أفضل النعم الإلهية.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْشٍ، بتاريخ: ٢٣/٠٨/٢٠١٧م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْشٍ، بتاريخ: ٢٧/٠٩/٢٠١٧م.



هذا وعد إلهي، فالله يعدكم ويقول: سأشتري منكم هذه البضاعة مقابل الجنة، أي السعادة الأبدية، سعادة ليست كالثلج هنا، تذوب لحظة بلحظة، لا بل هي البقاء الدائم والأبدي واللذة الدائمة، والنعمة الدائمة، يأخذ منك هذا البدن الزائل، ويشتريه مقابل هذا الثمن هذا وعد الله.

هذا هو الوعد الحق الذي وعدكم الله تعالى به، وهو ليس مختصاً بدينكم، بل جاء في الكتب السماوية السابقة أيضاً: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾^(١)، هذه هي الشهادة^(٢).

٢. موتٌ مربح

إن الموت نهاية حتمية لكل حي، ولكن العظمة تكمن في تحويل هذا فقدان الحتمي إلى استثمار أبدي، حيث يقبض المجاهد ثمن روحه نقداً في محضر الله.

يبين سماحته هذا الفوز العظيم: «إِنَّ الْمَهْمَّ فِي قَضِيَّةِ الشَّهَادَةِ أَنْ يَسْتَعِدَّ الشَّخْصَ لِحَمْلِ رُوحِهِ عَلَى كَفِّهِ لِبَذْلِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمُضْحُونًا وَمَقَاتِلُونَ وَالَّذِينَ حَمَلُوا أَرْوَاحَهُمْ عَلَى أَكْفِهِمْ وَمَضَوْا، يَتَمَتَّعُونَ جَمِيعُهُمْ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَفَضَّلُ أحياناً عَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ تَفَضُّلاً خَاصّاً فَيَمْنَحُهُمْ ثَوَابَهُمْ أَوْ هُوَ الشَّهَادَةُ

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٨/٦/٢٠١٧م.

نقدًا عاجلاً لذلك تكون قيمتهم ومكانتهم مضاعفتين أضعافاً عدة، لأنهم نالوا ثواب هذا الجهاد من الله تعالى نقدًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾^(١)، أي إن الله تقبل منهم أرواحهم، تقبل منهم هذا المتاع ومنحهم في المقابل الجنة وهذه أرقى صفقة وأعلى ربح.

إن أرواحنا هي الرصيد الذي سوف يذهب على كل حال شئنا أم أبينا، فما من أحد يستطيع الاحتفاظ بهذه الروح وهذا العمر الذي هو أثمن رصيد لدى الإنسان، فهو موجود لفترة معينة ثم يؤخذ منا، يؤخذ بأشكال متعددة مختلفة، فقد يقع لشخص ما حادث سير في الشارع ويموت بحادث سير، وشخص آخر يموت بالمرض، ولكن هناك من يتاجر بهذه الروح مع الله، يتاجر بهذه الروح التي سوف تؤخذ منه على كل حال^(٢).

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/٠٥ م.

٣. قوّة غالبة

الشعب الذي يحمل أبنائه أرواحهم على أكفهم لا يمكن لأي قوة استكبارية أن تطوعه، فالشهادة هي الدرع الحصين أمام الهزيمة والانكسار.

يقول سماحته قدس سرّه: «قال الإمام الخمينيّ الجليل: «الشعب الذي يعرف الشهادة، لا يعرف الأسر» عندما تنظرون إلى التضحية في سبيل الله، على أنّها فوزٌ عظيم وتخوضون المخاطر من أجل الشهادة ولا تخافون شيئاً، فلن تستطيع أيّ قوّة في العالم الوقوف في وجهكم.

«إنّ الغلبة والقدرة هما من نصيب الشعب والأمة التي تؤمن بأنّها إذا ما تعرّضت في هذا الطريق لخطر وأذى واستشهاد ومفارقة للدنيا، فإنّها ستكون الفائزة وليست الخاسرة والشعب الذي يتمتّع بهذه الروحية وهذه العقيدة لن يهزم ولن يعرف الانكسار وسيقدّم إلى الأمام»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٢/١٢/٢٠١٨ م.

٤. تحرك بأمل

الشهادة تبث في أوصال الأمة روح الأمل وتطرد طيوف اليأس والخوف.

يقول سماحة القائد: «إنَّه لأمر مهم أن لا يصاب المجتمع بالخوف والحزن في مسيرة تقدّمه، وأن يسير ويتحرّك بأمل، هذه هي رسالة الشُّهداء لنا، وينبغي الاستماع إلى هذه الرسالة»^(١).

شهداؤنا

١. أفراد مميزون وبارزون

لم تكن الشهادة مجرد مصادفة عابرة في حياة هؤلاء الأبطال، بل كانت تتويجاً لمسار من التميز والنقاء والارتقاء الروحي المستمر. يقول سماحته مبيناً هذه الحقيقة: «إنّ الذين ذهبوا وجاهدوا واستشهدوا، كانوا أفراداً مميزين بارزين، ولا فرق بين أن تكون أعمارهم كبيرة أو صغيرة ولو لم يكونوا مميزين، لما من الله تعالى عليهم بموهبة الشهادة مجرد أن يكون الله تعالى قد منّ على هذا الشاب، أو هذا الحدث أو هذا الرجل أو هذا الكهل بالفوز بالشهادة في ميدان الجهاد في سبيل الله، فهذا دليل على ميزة وسمة يتمتع بها، وحين يقرأ المرء أحواله وسيرته ووضعه، إذا



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٦/٢/٢٠١٥ م.

كانت قد كَتَبَتْ بِدَقَّةٍ، يرى أَنَّ الأمر كما كان متوقَّعًا، فهناك مميَّزات وعلامات بروز في حياته وتصرفاته وكلماته وأقواله، يتعجَّب منها المرء بشدَّة أحيانًا، يتعجَّب من مستوى الحكمة الرفيع لدى أصحاب هذه المراتب السامية العالية، ومن الكلمات التي يقولونها، ومن أقوالهم وما يصدر عنهم^(١).

ويضيف قُلَيْشٌ: «إِنَّ صفوة المحضر الإلهيَّ وخاصَّته يصلون إلى مقام الشهادة، أي إنَّ ما أريد قوله، مضافًا إلى أنَّ الشهادة بذاتها هي وسيلة للقرب إلى الله، فإنَّ الإنسان يحتاج إلى ذخيرة عالية من القرب الإلهيَّ للوصول إلى الشهادة من دون هذه المقدِّمة اللَّازمة، لن يصل أحدٌ إلى مقام الشهادة»^(٢).

٢. خالصون من علائق الدنيا

إن بلوغ مرتبة الشهادة يتطلب تحرراً قاسياً من كل القيود الأرضية، حتى تلك العواطف النبيلة التي تشد الإنسان إلى أسرته. يقول سماحته قُلَيْشٌ: «إِنَّ شهداءنا الأعزَّاء وجرحانا هم أشخاصٌ قطعوا علاقتهم القلبيةَّ برغباتهم الشخصية كُلِّها، إنَّ هذا أمرٌ سهلٌ على اللسان ولم يكن هذا القطع للعلاقة بالمال فقط، بل بالعواطف

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْشٌ، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٩/٣٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْشٌ، بتاريخ: ٢٠١٧/٠٨/٢٣ م.

أيضاً، فالشهيد ينقطع بقلبه عن عاطفة الأم وظل الأب، وضحية
الطفل وعشق الزوجة ويتحرك نحو أداء التكليف»^(١).

٣. عاشقون للجهاد

تسري روح العشق للجهاد عبر الأجيال، متجاوزة حدود الزمان
والمكان، لتدفع بالشباب إلى سوح الوغى دفاعاً عن المقدسات.
يقول سماحته قدس سره: «إنّ الشابّ اليوم الذي لم يشهد فترة الحرب، ولا
فترة الإمام الخميني، وليست لديه ذكريات عن ذلك الزمن، حين
يعلم بأنّ هناك من يقاتلون الأعداء في مكان ما من الناحية الأخرى
من المنطقة، وعلى بعد آلاف الفراسخ، سيعشق السير إلى ساحة
الجهاد وسينهض ويذهب إلى حلب وإلى البوكمال وإلى الزينبيّة
ويقاتل ويستشهد»^(٢).

٤. يؤثرون على أنفسهم

تقف ثقافة الشهادة كجدار صد منيع أمام الثقافة الفردية المادية
التي تبتلع المجتمعات الغربية.
إنها ثقافة العطاء بلا حدود لأجل بقاء الأمة.
يقول سماحته قدس سره: «إذا ما تكرّست هذه الثقافة لدى شعب لأصبحت
في الجهة المقابلة تماماً لثقافة النزعة الفردية السائدة في الغرب،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣/١٠/٢٠١٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/٠٢/٢٠١٩ م.



والتي تقيس كل شيء بمعيار المصلحة الخاصة والنفع الشخصي، وتقيّم كل شيء بمعيار ماليّ وقيمة العملات النقدية، وكلّ هذا بهدف الحصول على المال والنفع الماديّ، وهذا مناقض لثقافة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١) فهؤلاء أفراد يعملون بالإيثار وبثقافة الإيثار والصفّح والتضحية بالنفس من أجل مصير المجتمع والشعب.

إذا ما انتشرت هذه الثقافة وعمّت، وإذا ما توقّرت لأيّ بلد وأيّ مجتمع فلن يتوقّف أبداً، ولن يتراجع إلى الوراء، بل سيتقدّم إلى الأمام»^(٢).

٥. لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون

الثبات في ساحات المواجهة يورث طمأنينة إلهية تبدد كل مخاوف الدنيا.

يقول سماحته عليه السلام: «إذا نزلنا إلى ساحة الكفاح - وهو ما يخافه أعداؤنا ويخشونه - فيجب أن نعلم أن الله سيبيد عنا الخوف والحزن والقلق»^(٣).

(١) سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٢/١٦ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٢/٢٥ م.

٦. يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم

صوت الشهداء لا ينقطع، فهم يرسلون البشائر لمن خلفهم بأن مسيرتهم محفوفة بالعناية الإلهية.

يقول سماحته عليه السلام: «إِنَّا نَعْلَمُ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّهْدَاءِ، أَنَّهُمْ رَاضُونَ مَسْرُورُونَ فَرِحُونَ، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وَفَوْقَ ذَلِكَ ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، أَيِ إِنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ مَعَنَا وَيَخَاطَبُونَنَا: ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾»^(١) هذا شيء مهم للغاية، يجب أن نوجد في أنفسنا هذه الأذن التي يمكنها أن تسمع نداء الشهداء الملكوتي، إِنَّهُمْ يَبْشِرُونَنَا وَيَخْبِرُونَنَا بِأَنْ لَا نَخَافُ وَلَا نَحْزَنُ، ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فنحن نصاب بالخوف نتيجة حالات الضعف عندنا، ونعاني من الحزن، وهم يقولون لنا يجب أن لا نخاف ولا نحزن، فهم إمَّا يَتَحَدَّثُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ أَوْ عَنَّا - حسب الاختلافات الموجودة بشأن تفسير هذه الآية الشريفة - وهم ينفون الخوف والحزن، سواء في هذه النشأة أو تلك النشأة»^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٢/١٦ م.

١. يعيشون أجواء الإخلاص والصفاء والمعنوية

في قلب المعارك وسط النيران والدمار، يجد المجاهدون جنة من الطمأنينة الروحية لا يعرفها المترفون في قصورهم. يصف سماحته هذه الحالة الفريدة: «أثناء فترة الدفاع المقدس، الذين كانوا يذهبون إلى الجبهات، ويبقون هناك مدة من الزمن، عندما كانوا يريدون العودة إلى أجواء العائلة والمدينة، كانت أجواء المدينة ثقيلة على قلوبهم، أي إنها، واقعاً، كانت تشكل ضغطاً عليهم، بينما كانت أجواء الجبهة كالجنة لهم.

فهناك كانوا يعيشون حالة معنوية وروحانية، وكانوا سعداء بالمعنى الروحي والمعنوي للكلمة، وغارقين في ذكر الله، هكذا كانوا. كان الشباب هناك يشعرون باللذة حقاً، وهم [يعيشون] تحت النيران والرصاص والقذائف والشظايا، وهذه من سمات التضحية والحضور في ساحة الكفاح من أجل الله والجهاد في سبيل الله. حينما كانوا يعودون إلى داخل المدينة، ويرون هذه العلاقات والنظم المدنية والعلاقات المختلفة السائدة في الأجواء، غالباً ما كانوا يشعرون بالضيق وانقباض القلب، وكانوا يخبروننا بذلك، وهذا هو الواقع والسبب هو أنهم كانوا يعيشون، في الجبهات،

أجواء الإخلاص والنقاء والصفاء والمعنوية والجنان، وكان الوضع هناك مصداقاً كاملاً لـ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)»^(٢).

٢. يكون لعدم التوفيق للشهادة

بلغ عشق هؤلاء الأبطال للقاء الله مبلغاً يجعلهم يبكون حزناً إذا ما تأخرت شهادتهم.

يقول سماحته عليه السلام: «يبكي الشاب من أبنائكم ويتمنى أن يستشهد في سبيل الله يتوسل إلى أبيه وأمه ويقول لهما: لقد ذهبت وشاركت في العمليات ولم أستشهد، لأنكما لم تكونا راضيين، فيتوسل إليهما بأن يرضيا، لكي ينال هو الشهادة.

يقول لزوجته - وقد قرأت هذا في سيرة أحد الشهداء المدافعين عن المراقدة المقدسة- يقول لزوجته: إنك لم تكوني راضية بأن أستشهد، وإنك لا تسمحين لي بالشهادة فيتوسل إلى زوجته بأن ترضى لينال هو الشهادة.

العالم المادي لا يفهم معنى هذا الكلام ولا يدركه، لكنه موجود وهذه الروح وهذه العقيدة هي التي تثبت شبابنا المؤمنين الثوريين وتبقيهم كالجبل الراسخ في مقابل الأحداث»^(٣).

(١) سورة يونس، الآية ٦٢.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٥/٠٢/٢٠١٩م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٢/١٢/٢٠١٨م.



فليكن هدفكم أداء التكليف

رغم القدسية العظمى للشهادة، إلا أنها لا ينبغي أن تكون الغاية النهائية التي ينزل لأجلها الإنسان عن واقع أمته، بل الغاية هي (أداء التكليف الإلهي) فالشهادة هي وسام يمنحه الله لمن أتم واجبه بصدق. يقول سماحته قدس سره: «لا تكن الشهادة هدفكم، فليكن هدفكم أداء التكليف الحالي وفي وقته المناسب، القيام به هكذا نوع من التكليف، ينتهي أحياناً بالشهادة وأحياناً لا ينتهي بالشهادة.

بالطبع فإن أمانة الشهادة جيدة ولكن لا تجعلوا الشهادة هدفاً لعملكم وحركتكم اجعلوا هدف العمل العمل الهدف هو العمل نفسه الذي يجب على الإنسان إنجازه والوصول إلى نتائجه المطلوبة»^(١).

ويستشهد بموقف الإمام الحسين عليه السلام لتأصيل هذه القاعدة: «ولقد تحدثت في بعض المناسبات، عن حركة أبي عبد الله عليه السلام، بالتفصيل.

قال بعضهم: إن الإمام الحسين عليه السلام سار وخرج وتحرك، لتسلم السلطة - وهذا ما كان يقوله حتى بعض المؤمنين المتدينين - لكنهم على خطأ، وبعضهم يقولون: إنه سار وتحرك، لكي ينال الشهادة.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٦/٣/١٣٩٧ م.

أنا أقول: إنّه تحرّك لأداء الواجب ولكن عند أداء الواجب، ثمّة احتمال أن يتسلّم الإنسان السلطة، فما الضير في ذلك، إذا حصل؟ وثمّة احتمال أن ينال الإنسان الشهادة، هنا أيضاً ما الضير؟ القصد هو أنّنا نستطيع القيام بهذا العمل وأداء هذا الواجب، هذه هي القضية، هذا هو السبب الذي يجعلنا لا نتنازل في مواجهتنا مع أميركا»^(١).

ويؤكد على ضرورة حفظ هذه الثقافة حية: «لماذا نقول: إنّه واجب؟ لأنّ هناك سياسة ترمي إلى إيداع رموز الثورة غياهب النسيان ومن هذه الرموز، ومن أهمّها وأرقاها، الجهاد والشهادة في سبيل الله، يريدون إنساء اسم الشهداء وذكراهم ونهجهم ومواقفهم وأعمالهم، وطمسها»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٣/١٠/٢٠١٩ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٦/١٢/٢٠١٩ م.



إحياء ذكرى الشهداء، استمرار وبقاء

إن تخليد سير الشهداء ليس مجرد وفاء للماضي، بل هو ضخ لدماء العزة في جسد الأمة وحاضرها ومستقبلها، لتبقى عصية على الانكسار.

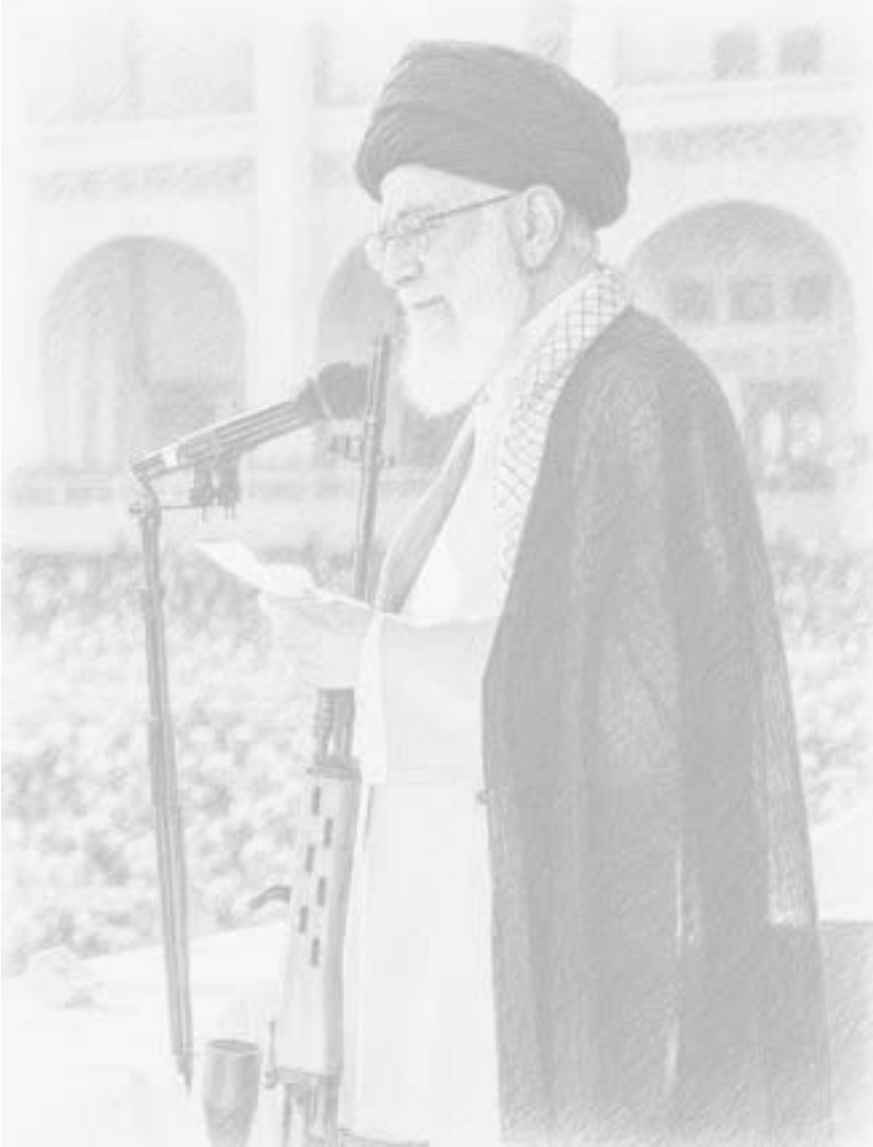
يقول سماحته قدس سره: «إن المؤتمرات التي تعقد إحياء لذكرى الشهداء هي استمرارٌ لمسيرة الجهاد والشهادة، لو لم يتكرر ذكر أسماء شهدائنا ويكرموا ويعظموا، ولو لم يتحول احترامهم واحترام أسرهم في مجتمعنا إلى ثقافة، لطوى النسيان الكثير من هذه الذكريات القيّمة والثرينة، وكان هذا التعظيم الكبير الذي يظهر في المجتمع بفضل مسيرة الشهادة، قد غاب في مطاوي النسيان لا تسمحوا بحدوث مثل هذا الأمر بعد الآن.

ينبغي أن تصبح ذكرى الشهداء وذكر أسمائهم والبحث في سيرهم والتدقيق في زوايا حياتهم يوماً بعد يوم أكثر رواجاً في أوساط المجتمع.

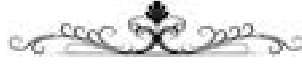
وإذا ما حصل هذا الشيء فستبقى قضية الشهادة قوية راسخة في مجتمعنا وإذا ما تحقّق هذا الأمر فلن يمتنى المجتمع بالهزيمة، ولن يعرف للهزيمة معنى بالنسبة إليه، بل سيتقدّم باستمرار.

وهذا الأمر هو تماماً كسيرة الإمام الحسين بن علي عليه السلام وما حدث له وما قد مضى اليوم ١٣٠٠ عام أو أكثر على استشهاد سيّدنا أبي

عبد الله الحسين عليه السلام، وما زالت قضية الحسين عليه السلام تتعاضم وتكبر يوماً بعد يوم»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنهى عليه السلام، بتاريخ: ١٦/٢/٢٠١٥ م.



حسن الظن بالله

أهمية حسن الظن بالله

إن استشعار حضور الله سبحانه في تفاصيل حياة الإنسان يعني استحضر القدرة المطلقة والعلم المحيط والحياة الدائمة. وهذا الالتفات الوجداني هو ما يجعل الهموم المادية والصعاب التي تعترض طريق الإنسان تبدو ضئيلة وغير مؤثرة أمام الغاية الكبرى والهدف الأقصى.

فارتباط الإنسان بمنبع القدرة الإلهية يورثه -بشكل طبيعي- حسن ظنٍ بخالقه، ليقينه بأن هذه القدرة محفوفة باللطف الإلهي والحكمة الربانية. وهذا التعزيز للروح الإيمانية يمثل حائط الصد الأول في مواجهة التحديات الكبرى، حيث يقول سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره: «إنَّ الإيمان بالله والتوكُّل عليه وحسن الظنَّ به، تجعل القلب مستعدًّا لخوض الميادين الصعبة وتثبت الأقدام للسير في الطرق الوعرة، فتصغُر المشاكل في الأعين وتحقِّق للإنسان أهدافًا كبيرةً أمام ناظره وتجعلها في صلب طموحاته، لذا علينا أن نعمل على تعزيز الروح الدينية والإيمان الحقيقي بالوعد الإلهي والتوكُّل على الله تعالى»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/١٠/٢٠٠٩ م.

الغفلة عن الحسابات المعنوية

يكن سر الانتصار في أي مسيرة نهضوية في التوكل الصادق وحسن الظن بالله، فهما وقود التلاحم والوحدة. ومع ذلك يقع البعض في فخ (الحسابات المادية المحضة)، متجاهلين الأبعاد المعنوية والمدد الإلهي الذي يغير موازين القوى. يُحذر سماحته من هذه الغفلة قائلاً: «إِنَّ لِلْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ وَالِاتِّصَالِ بِهِ دَوْرًا كَبِيرًا وَأَسَاسِيًّا فِي طَرِيقِ الْعِظَمَةِ وَالْعِزَّةِ بَعْضُهُمْ غَافِلُونَ يَعْمَدُونَ إِلَى الْحِسَابَاتِ الْمَادِيَّةِ الْمُحْضَةِ، لَا مَكَانَ لِلْحِسَابَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَلَا لِلْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ، أَوْ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِالْوَعْدِ الْإِلَهِيِّ فِي حِسَابَاتِهِمْ وَكَأَنَّهُ لَا طَرِيقَ آخَرَ. علينا اختيار الطريق الأنسب في مواجهة العدو الدوليّ وذلك بالاعتماد على الإرادة القويّة والشعور بالعزّة والاعتماد على هذا الشعب، بالتوكّل على الله العظيم وحسن الظنّ بالوعد الإلهيّ وأن نتقدّم بنظرة صائبة، عاقلة ومدبرة، عندها سيبارك الله -المتعالى- هذا العمل وتشملنا جميعاً العناية الإلهية»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٢/٠٦/٢٠١٣ م.

حسن الظنُّ بوعْدِ الله تعالى بالنصر

إنَّ مفهوم المقاومة في الفكر الإسلامي ليس مجرد فعلٍ ماديٍّ مجرد، بل هو حالة إيمانية متكاملة تركز في جوهرها على الثقة المطلقة بالسنن الإلهية.

فلا يمكن للمقاومة أن تستقيم أركانها أو تؤتي ثمارها ما لم تستند إلى ركيزة اليقين بالوعد الرباني، الذي يجعل من الثبات خياراً وحيداً أمام التحديات.

وهذا اليقين يتطلب أولاً إصلاح الذات وترقيتها لتكون لائقاً بنيل المدد الإلهي.

وفي تبيان هذه الملازمة بين النصر وحسن الظن، يقول سماحة السيد علي الخامنئي دامت له العزة: «إنَّ المقاومة بدورها غير ممكنة إلا في ظلِّ الإيمان بالله والتوكُّل عليه والثقة بالوعد الإلهي، فلقد وعد الله بالنصر تعالى وعداً مؤكداً: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾^(١)، وهذا الوعد سوف يتحقق، إذا أصلحنا أنفسنا، ونظرنا إلى الوعد الإلهي بحسن ظنٍّ، لا بسوء ظنٍّ، فسوف نتصر، إنَّ سوء الظنِّ بالله من فعل الكفار ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾^(٢).

(١) سورة الحج، الآية ٤٠.

(٢) سورة الفتح، الآية ٦.

من الواضح أنَّ الذين يسيئون الظنَّ بالوعد الإلهي، لن ينالوا شيئاً من [هذا] الوعد الإلهي، وقد أثبتَ الشعبُ الإيرانيُّ حسنَ ظنِّه بالوعد الإلهيِّ وقاوم وصمد لقد تعرَّضنا لهجوم عسكريٍّ، وتعرَّضنا للحظر، وتعرَّضنا لتغلغل الجواسيس، وقدَّمنا الشهداء، لكنَّ الشعب الإيرانيَّ قاوم كالجبل، واستطاع أن يثبتَ نفسه»^(١).

حسن الظنَّ بالله عنصر رئيس للاقتدار

لا يُختزل اقتدار الأمم في ترسانتها العسكرية وحجم قواتها المسلحة فحسب، بل هو منظومة متداخلة تبدأ من القوة المعنوية لتصل إلى التفوق العلمي والأخلاقي.

إنَّ حسن الظن بالله يمثل المحرك الأساسي لإرادة الشعب، فهو الذي يحوّل العقبات في عين المؤمن إلى محطات للعبور، ويجعل من الأهداف الكبرى حقائق قريبة المنال بفعل التوكل واليقين.

يشرح سماحة القائد أبعاد هذا الاقتدار المعنوي قائلاً: «إنَّ اقتدار الشعب لا يقتصر على القوَّات المسلَّحة، إنَّ اقتدار الشعب حقيقةٌ متعدّدة الجوانب، القوَّات المسلَّحة هي الخطُّ الأماميُّ للتحرك وعلامة اقتدار الشعب، لكنَّ الشعب يجب أن يكون متقدِّماً من حيث العلم ومن حيث الأخلاق ومن حيث الإيمان ومن حيث العزيمة والإرادة، حتّى يستطيع الحفاظ على اقتداره.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٨م.



إِنَّا نَشُدُّ عَلَى الْعُنَاصِرِ الْمَعْنَوِيَّةِ للاقتدار، إِنَّ الْعُنْصَرَ الْمَعْنَوِيَّ
الرئيس للاقتدار هو الإيمان بالله والتوكل عليه وحسن الظن به، هذا
ما يجعل القلب مستعداً لخوض الميادين الصعبة وما يثبت الأقدام
للسير في الطرق الوعرة وهذا ما يصغر المشاكل في الأعين ويحقق
للإنسان أهدافاً كبيرة أمام ناظره ويجعلها في صلب طموحاته، إِنَّهُ
الإيمان بالله»^(١).

وتتجسد هذه الرؤية عملياً في قدرة المجتمع المؤمن على تحويل
التحديات والضغوط إلى فرص حقيقية للإبداع والاعتماد على الذات.
فالحظر والمقاطعة اللذان أرادهما الأعداء وسيلة للإضعاف، تحولاً بفعل
الثقة بالله والروح الجهادية إلى منطلق لتحقيق الاكتفاء الذاتي والسيادة
التقنية.

يستعرض سماحته شواهد هذا التحول في القوة الجوية كمثال حي:
«وهذه الأمور ليست أموراً شخصية محضة، بل هي أمور اجتماعية
عامة، عندما يتحقق لدى المجتمع المؤمن والفئة المؤمنة مثل هذه
الثقة، عندئذ تتبدل التحديات بالعزم الراسخ إلى فرص.
على سبيل المثال: تصل إلينا التقارير بإجراء عمليات صيانة لعدد
معين من الطائرات المقاتلة أو المدنية وإنجاز تصليحات أساسية
فيها، ما وفر مبالغ كبيرة... متى تمكنت قوتنا الجوية من هذه
الإنجازات؟ عندما صرفت النظر عن الآخرين.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/١٠/٢٠٠٩م.

فالآخرون هددوا بالمقاطعة وقالوا لن نمدّكم ولن نساعدكم ولن نبيعكم ولن نسمح لكم ولا تزال بضائعنا العسكرية موجودة في مخازن الشركات العسكرية الأميركية... لا تزال موجودة هناك ولم يزودونا بها، ولا ندري ما الذي فعلوه بها.

والطريف أنّهم طالبونا قبل سنوات بتكاليف تخزينها في مخازنهم، البضائع التي قبضوا أثمانها ولم يسلموها، يطالبوننا بتكاليف تخزينها عندهم.

هذا معناه أنّه يجب ألاّ يمتلك نظام الجمهورية الإسلامية القدرة على إدارة قوة جويّة جديدة.

ولكن ماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أنّ قوّتنا الجويّة التي لم يكن بوسعها في ذلك العهد صيانة القطعة الفلانيّة من الطائرة المقاتلة أو الطائرة الكذائيّة، ولم يكن من حقّها صيانتها، باتت اليوم قادرة على صناعة الطائرة كلّها.

بمعنى أنّها بدلت التهديد إلى فرصة، وقلبت الحظر إلى منفعة وربح، هذه هي خصوصيّة الفئة المؤمنة»^(١).

عدم اليأس من روح الله

في الرؤية التربوية لسماحة السيد علي الخامنئي قُدس سرّه، يُمثّل (الأمل) ركيزةً أساسية في بناء الشخصية المؤمنة والتحرّك المجتمعي،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٢/٠٨ م.



حيث يُحذر من مغبة السقوط في فخ اليأس، مؤكداً على ضرورة الصمود والتمسك بحسن الظن المطلق بالوعد الإلهي.

إنَّ انتظار الفرج يتطلب يقيناً لا يزغزه تأخر النتائج المادية أو طول الأمد.

ويستعرض سماحته هذه الحقيقة من خلال تحليل تدبري لقصة نبي الله موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، مبيناً كيف أن استعجال القوم كان يمثل أذىً معنوياً وسوء ظن بالتدبير الإلهي: «يروى لنا القرآن الكريم قصة النبيِّ موسى عليه السلام حينما عاد ومعه الألواح، ورأى حادثة العجل قد وقعت، فيقول تعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدْآ حَسَنًا﴾^(١)، لقد وعدكم الله أن يحسن لكم حياتكم ويصلحها ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾، فهل طال عليكم الأمد؟ هل انقضى الزمن الذي كان ينبغي أن ينجز فيه الوعد الإلهي، حتى رحتم تتبرّمون هكذا؟ انتظروا إذًا، واصبروا، وسوف ينجز الله وعده.

إنَّ حسن الظنِّ بالله تعالى أمرٌ ضروريٌّ، وسوء الظنِّ بالوعد الإلهي، كما القول: «لماذا لم يحصل؟ ولماذا لم يحصل؟» أمرٌ مذمومٌ جداً. في الآيات ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ﴾ أنا أحتمل أن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ﴾

اللَّهُ مِمَّا قَالُوا»^(١) تشير إلى هذا الشيء: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾^(٢)، ربّما كانت إشارة إلى أنّهم كانوا يضغطون ويصرّون عليه دائماً، أن «لماذا لم يحصل كذا؟ ولماذا لم يحصل كذا؟».

«وهذا حتماً يعود إلى ما بعد النجاة من أيدي فرعون، لكن الأمر كان على هذا النحو حتّى قبل النجاة من أيدي فرعون: ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾»^(٣)، كانوا يعترضون على النبيّ موسى بأنّ الأذى لا يزال يطالنا، حتّى من بعد ما جئتنا، أي إنّ الاعتراضات والإشكالات الإسرائيليّة التي تردّ ويتكلّمون عنها، هي، حقيقةً، من هذا القبيل، فيجب أن نحذر من أن نصاب بها، ونفقد حسن ظنّنا بالله»^(٤).

وهذا اليقين يجب أن ينسحب على سائر حركة الإنسان وتاريخه المعاصر، تماماً كما تجسد في مسار الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخميني قدس سره الذي جعل من التوكل وقوداً للانتصار: «هذه الثورة قد جرّبت واختبرت، شعاراتها أثبتت صدقيّتها في ميدان العمل،

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦٩.

(٢) سورة الصف، الآية ٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٢٩.

(٤) من كلام للسيد الشهيد الخميني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٣/١٤ م.

الكفاح والإيمان بالله تعالى ووعد

١٣٥

تُعد الآية الكريمة ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ^(٣)، قانوناً تاريخياً وحتمية إيمانية تفيد بأن النصر الإلهي ليس صدفة، بل هو استحقاق لمن ينصر منهج الله. ويرى سماحة السيد الخامنئي قدس سره ضرورة اقتران الكفاح الشعبي بعنصر الإيمان، وإلا صار حراكاً هشاً: «إذا لم يكن الكفاح مصحوباً بعنصر الإيمان سيكون هشاً ضعيفاً، الكفاح ينجح حينما يشمل على الإيمان بالله والتوكل عليه، ينبغي تعزيز الروح الدينية والإيمان الحقيقي بالوعد الإلهي والتوكل على الله تعالى لدى الجماهير، ينبغي تقوية حسن الظن بالله تعالى وبوعده لدى الشعب، ونحن أيضاً يجب أن نحسن الظن بالله تعالى، الله تعالى أصدق القائلين،

(١) السيد الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٩٢، الخطبة ٥٦.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٧/٥/١٣٠١ م.

(٣) سورة الحج، الآية ٤٠.

وهو القائل: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾، وقد ورد أن «مَن كان الله كان الله له»^(١)، ويقول لا تخشوا الأعداء ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢)، هذا ما يبثه فينا ويبيّنه لنا الله تعالى صادق ونحن إذا عملنا بواجبنا في هذا السبيل وتحركنا في سبيل الله، وناضلنا من أجله، وجعلنا الهدف رضاه فسوف يكون النصر نصيبنا لا مرأى^(٣). إن الثقة بهذا الوعد الإلهي هي التي منعت مسيرة الثورة من التباطؤ في أخرج لحظاتها، كما حدث في (التاسع عشر من بهمن)، حيث كان الإمام الخميني قُلَيْبُ واثقاً بالنتائج رغم ضبابية المشهد عند البعض: «لقد وعد الله تعالى في مواضع عدة من القرآن -بوضوح وصراحة- أن الإنسان إذا سعى سعيه في سبيل الله وطريق الدين فسوف ينصره، إنه وعد إلهي، فيقول: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾»^(٤). وفي عبارة: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ﴾ أدوات تأكيد عدة بمعنى أن الله تعالى سوف ينصر الذين ينصرون الله وينصرون دين الله بشكل مؤكد جداً جداً إنه وعد وعد إلهي، ويجب الثقة بهذا الوعد.

(١) الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن، الشافي في العقائد والأخلاق والأحكام، تحقيق وتصحيح: مهدي الأنصاري القمي: ص ٥٤، دار اللوح المحفوظ، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٦.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبُ، بتاريخ: ٢٧/٠٢/٢٠١٠م.

(٤) سورة الحج، الآية ٤٠.



في يوم التاسع عشر من بهمن، ورغم وقوع تلك الحادثة، والناس شاهدوا أن فئة من الجيش قد جاءت وبايعت الثورة، ولكن كان لا يزال هناك أفراد غير مطمئنين وغير واثقين وغير متفائلين بأن يؤتي هذا الفعل نتائجه، لكن الإمام الخميني كان واثقاً من الوعد الإلهي. كان الإمام الخميني وأتباع فكره ورأيه ودربه يعلمون أن هذا الوعد سيتحقق حتماً، ولم يسمحوا لهذه المسيرة بأن تتباطأ.

عندما تتوفر الثقة والأمل بالمستقبل، لن يسمحوا بأن تبطؤ المسيرة. إنها لحسابات مهمة أن يعلم الإنسان أن الله تعالى يفي بوعدته، كما تقول الآية القرآنية: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾^(١)، ما من أحد أوفى بوعدته من الله تعالى حين يعد، لقد وعد الله تعالى وسوف يفي بوعدته، كانت النتيجة أن بدلت قوتنا الجويّة التهديد إلى فرصة!^(٢)

إيران النموذج التطبيقي حسن الظن بالله

يُقدّم سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره تجربة الجمهورية الإسلامية كبرهان ميداني على صدق الوعود الإلهية لمن أحسن الظن بخالقه وتوكل عليه حق التوكل.

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٨/٠٢/٢٠٢٠م.

ففي رؤيته لم تكن النجاحات التي تحققت وليدة حسابات مادية مجردة، بل كانت نتاجاً مباشراً للارتباط بمصدر القوة المطلقة في مواجهة أعقد المخططات الدولية.

ويستعرض سماحته محطات تاريخية أثبتت فيها الإرادة المؤمنة تفوقها قائلاً: «نحن نحسن الظن بالله وقد تعامل الله تعالى معنا طوال السنوات الماضية طبقاً لحسن ظننا به واجهتنا مشكلات عديدة وقد خرجنا منها جميعاً منتصرين.

إنّ الحظر الاقتصاديّ ليس شيئاً قليلاً ولم يكن كذلك، لكننا سحقنا الحظر بأقدامنا.

في الفترة الأخيرة قالوا إنّنا لن نبيعكم البنزين ونحن بلد ينتج النفط لكننا نستورد البنزين، لكن طاقاتنا سعت مؤمّلة بالله واستطعنا في ظرف أقلّ من سنة أن نستغني عن استيراد البنزين، هذا نموذج صغير جداً ولدينا المئات من النماذج الأخرى من هذا القبيل.

فرَضُوا علينا الحرب ثمانية أعوام وضعونا مقابل عدوّ عنيد، سيّئ خبيث جداً مثل صدام حسين ودافعوا عنه ودعموه بطاقاتهم كلّها واستطعنا - والحمد لله - التغلّب على تلك الحادثة.

تقدّمنا في جميع الميادين مؤمّلين بالله، ونتقدّم اليوم في الميدان العلميّ، وقد أشاروا إلى قضيتنا النووية.

لقد استطعنا بتوفيق من الله وبقدرته أن نحلّ قضيتنا النووية، ونتقدّم بها إلى الأمام.



اليوم يثير الغربيون الضجيج، لكنهم متخلفون عن القضية ويوجهون التهم، ويتكلمون ويثيرون الإعلام ويضغطون، لكنهم لا يستطيعون فعل شيء.

إنّ مضيّ الوقت لصالحنا، إنّنا نتقدّم باستمرار وهم يقرعون رؤوسهم باستمرار ويثيرون الضجيج، هكذا هو الحال حينما ندخل متوكّلين على الله^(١).

إنّ هذا المنهج القائم على (التعقّل المقترن بالشجاعة) يمثل السبيل الوحيد لاجتياز الأزمات المفتعلة، حيث يضيف سماحته: «من الممكن أن نتغلّب على هذه الموانع والآفات كلّها، وأن نجتازها بنجاح وانتصار، بالاتّكال على الله، والاعتماد عليه، وحسن ظنّنا بما ورد في كتابه العزيز من وعدٍ بالنصر، والتحليّ بالتعقّل والعزم والشجاعة»^(٢).

الثقة بالوعد الإلهي وصيانة الاستقلال

يرى سماحة القائد أنّ مواجهة (الإرهاب الاقتصادي) والحظر الشامل تتطلب بصيرةً تتجاوز ظاهر الأحداث لتثق بالوعد الإلهي بالنصرة. فالحظر في جوهره جريمة دولية تهدف إلى سلب الشعوب إرادتها، إلا أنّ الاستناد إلى (الرزق غير المحتسب) والحراك المستمر كفيلٌ بقلب السحر على الساحر.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠/٢/٢٠١١م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧/٩/٢٠١١م.

وفي استحضارٍ لدروس التاريخ، يشير سماحته إلى ملحمة التاسع عشر من بهمن كأنموذجٍ للثقة بالله: «لقد فرض علينا الحظر منذ بداية الثورة، وتواصل الحظر في الأعوام الأخيرة بدرجاتٍ أشدّ، وهم يفاخرون بأنهم فرضوا أشدّ أنواع الحظر ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة.

وهذا الحظر جريمة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة، إنّها جريمة يرتكبونها، أي إنّ تهديد مدان من وجهة نظر الرأي العامّ العالميّ، لأنّ الكلام ليس عن الحظر الأميركيّ نفسه، بل عن الحظر التعسّفيّ الذي يفرض على الآخرين من قبل أميركا، بمعنى أنّ الأجهزة الأميركيّة المختلفة تحاول الاتصال دائماً بالشركات والشخصيات والحكومات المختلفة لتقنعها بعدم التعامل مع إيران، أي إنّ حظر شامل، أمّا نجاحهم في ذلك فمسألة أخرى، هم يقومون بمساعيهم وهي - بحقّ - خطوة إجراميّة، إذّا درس المهمّ المستلهم من التاسع عشر من بهمن هو الثقة بالوعد الإلهيّ وانتظار «الرزق غير المحتسب»، والتشجيع على المشاركة والحراك المستمرّ المفضي إلى النصرّة الإلهيّة.

جاءت أميركا بإمكانيّاتها وطاقاتها كلّها إلى الساحة في أيّام التاسع عشر من بهمن وقبله بأيّام، وبعثت شخصيّة عسكريّة رفيعة المستوى (هايزر) إلى طهران، واتّصل بكبار المسؤولين عسى أن يستطيعوا فعل شيء من قبيل الانقلاب أو ما شاكل من أجل إيقاف تيّار الثورة، وقد فعلوا الكثير، لكنّ الشعب انتصر على الرغم



من مساعيهم كلّها، وكانت الهزيمة نصيبهم، كان هذا بفضل الثقة بالوعد الإلهي، والاعتماد عليه»^(١).

ويحذر سماحته من مغبة الانخداع بوعود القوى المستبدة، مؤكداً أنّ الركون إلى الظالمين هو المنطلق لكل إخفاق وتراجع في حياة الأمة، مستشهداً بالنهي القرآني الصريح: «في مقابل الثقة بالله تعالى، علينا أن لا نثق بالظالمين، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى

الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾»^(٢) ومعنى ذلك لا تثقوا بالمستبدّ، بالظالم ولا تميلوا نحوه -«الركون» يعني الميل إليه والتوجّه نحوه والوثوق به- لا تثقوا بالإنسان الظالم.

إنّ نتيجة الثقة بالظالم هي ما ترونه حالياً، حيث الدول والجماعات الإسلامية تثق بأكبر الظالمين وأشدّ المستبدّين في العالم، وهم يرون نتائجها، وترونها أيضاً»^(٣).

ويختتم سماحته هذه الرؤية بالتأكيد على أنّ التقوى والتوكل هما رأس المال الحقيقي لأي نهضة إنسانية: «لذا اجعلوا التقوى والتوكل والثقة بالله رأس مالكم اللامتناهي، وامضوا بقوة وجديّة في هذه الحياة»^(٤).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٢/٠٨م.

(٢) سورة هود، الآية ١١٣.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٤/٢٥م.

(٤) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٥/٢٧م.

المشكلة مع الغرب في التبعية

لا يكمن جوهر الصراع مع المنظومة الغربية في رفض أصل العلاقات الدولية أو الانفتاح الدبلوماسي، بل في رفض (التبعية) التي يسعى الغرب لفرضها على الشعوب، تلك التبعية التي تعمل كأداة لتحطيم الطموحات الوطنية ومصادرة المستقبل.

إن استبدال الاستقلال بالتبعية هو المسار الخفي الذي حذر منه سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره، مؤكداً أن الثقة المفرطة بوعود الغرب كانت منطلقاً لكثير من الأزمات.

يقول سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره موضحاً هذا الميزان الدقيق: «ربما كان الكثير أو بعض مشكلاتنا بالحد الأدنى، ناجماً من حصول الثقة بالغربيين، ففي المفاوضات المختلفة وفي الاتفاقيات المختلفة وفي القرارات السياسية المختلفة جرى الاعتماد على الغربيين والثقة بهم.

لا مانع من العلاقات ولتكن لكم علاقاتكم معهم، لكن اعرفوا الطرف المقابل ولا تضلّوا الطريق بفعل ابتساماتهم وأحاييلهم وأكاذيبهم، هذا ما أقوله، لا مانع من العلاقات إطلاقاً.

من حسن الحظّ أنّ مسؤولينا الحكوميين اليوم، قد توصّلوا إلى هذه النتيجة وهي أنّه لا يمكن السير مع الغربيين في مسار واحد تماماً، هذا ما باتوا يشعرون به وعسى أن تتغير السلوكيات



والتعامل في المستقبل، إن شاء الله، نتيجة هذا الفهم الجديد للأُمور»^(١).

ويضع سماحته قاعدة استراتيجية للتعامل مع المنجز الغربي، تفرق بين الانتفاع العلمي والتبعية السياسية: «لا يمكن الثقة بالغرب، لكن يجب إقامة علاقات معهم، والاستفادة من علومهم ومن إيجابياتهم، ولكن لا ينبغي أبداً أن نثق بهم، ولا ينبغي أن نطمئن إليهم»^(٢).

النصر سنّة إلهيّة

في ميزان الرؤية الكونية الإسلامية، لا يخضع النصر للمقاييس المادية وحدها، بل هو سنة إلهية مرتبطة بمدى استقامة الأمة وثباتها على الحق وحسن ظنها بخالقها.

إن التغلب على الآفات والموانع التي يضعها الأعداء في طريق الشعوب ليس أمراً مستحيلاً، بل هو ثمرة حتمية للتوكل الصادق والعمل بوعي وشجاعة.

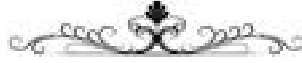
يُرسل سماحة السيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه لهذا اليقين بالنصر قائلاً: «إنّ التغلّب على الموانع والآفات كلّها التي تواجهنا أمر ممكن، نستطيع أن نجتازه بنجاح وانتصار، بالاتّكال على الله والاعتماد عليه وحسن ظنّنا به.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢١/٠٣/٢٠١٩م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢١/٠٣/٢٠١٩م.

لقد وعد الله بالنصر وعداً مؤكّداً وهذا الوعد سوف يتحقّق، إذا
أصلحنا أنفسنا ونظرنا إلى الوعد الإلهي بحسن ظنٍّ لا بسوء ظنٍّ،
فسوف نتصر»^(١).





العلم

محور البناء ومنطلق الاقتدار في الرؤية الحضارية

موقع قيمة العلم والفكر في البنية الحضارية

لا تنهض الحضارات بمجرد تكديس الأسلحة أو امتلاك المظاهر المادية للقوة، بل إن الاقتدار الحقيقي يكمن في توليفة ثلاثية الأركان: الاقتصاد، والثقافة، والعلم.

وفي الرؤية القيادية لسماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام، يمثل العلم والمعرفة العمود الفقري لهذا الاقتدار، فبدونهما تظل الدولة ومؤسساتها بلا بنية تحتية صلبة لنمط حياتها.

يحدد سماحته عناصر القوة الأساسية قائلاً: «أن يكون شعبٌ ما قوياً، لا يعني أن يمتلك أسلحة متطورة، بالتأكيد الأسلحة مطلوبة، ولكن لا يمكن لأي شعب أن يصبح قوياً فقط بامتلاك السلاح حين أنظر في هذا الأمر، أجد أن هناك ثلاثة عناصر أساسية للقوة والاقتدار، ويتضمن البيان الذي أعلنته بمناسبة أوّل السنة، عنصرين من هذه الثلاثة إذا أصبحت هذه العناصر الثلاثة أهدافاً لشعب ما، فإنه سيصبح قوياً: أحدها الاقتصاد، والآخر الثقافة، والثالث العلم والمعرفة»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢١/٣/٢٠١٤م.

إن قيام حضارة إسلامية معاصرة يرتكز على عمليتين متوازيتين: إنتاج الفكر وتربية الإنسان.

والفكر الإسلامي ليس قالباً جامداً، بل هو محيطٌ زاهرٌ يستوجب الغوص الدائم لاستخراج ما يلائم احتياجات كل عصر من معين الكتاب والسنة. يصف سماحته هذه العملية بقوله: «لإيجاد حضارة إسلامية -كأي حضارة أخرى- فإن الأمر يستلزم وجود عنصرين رئيسين: أحدهما «إنتاج الفكر»، والآخر «تربية الإنسان» والفكر الإسلامي كبحر عميق، أو يشبه المحيط... والغوص في هذا المحيط العظيم، وبلوغ أعماقه واستكشافه -وهذا كله مستفاد من الكتاب والسنة- هو عمل واجب على الجميع، وفعل ينبغي القيام به على مر الزمن وإن «إنتاج الفكر» في كل عصر، بما يتناسب مع احتياجات ذلك العصر من هذا المحيط المعرفي العظيم، لهو أمر ممكن وميسور»^(١).

ولذلك يرى سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره أن المعيار الذي يمكن على أساسه قياس تقدّم أو تقهقر أي حضارة، هو مقياس قوة البنية العلمية والفكرية لديها، أو ضعفها، ومن هذا المنطلق، قال في خصوص الحضارة الغربية: «إن هذه الحضارة، وحمّاة هذه الحضارة، قد تعرّضوا للهزيمة في مجال منطق الهوية أيضاً، لأنّ الأسس العلمية للحضارة الغربية المادية تنهار، واحدة بعد الأخرى.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٤/٠٧/١٣٧٩ هـ.ش.

لقد ظهر علماء وأبطالوا أفكارهم -سواء في مجال العلوم الإنسانية أو في مجال العلوم الأخرى- وهكذا، فإن تلك الأسس العلمية لهذه الحضارة تنزل الآن^(١).

ارتباط العلم ببعض القيم

١. ارتباط قيمة العلم بالحرية والعدالة

في ميزان القيم الإسلامية لا يُعد العلم قيمةً مطلقةً معزولةً عن الغايات الإنسانية الكبرى، بل هو قيمة محكومة بضابطي العدالة الاجتماعية والعبودية لله تعالى.

إن التفوق العلمي الذي لا يثمر عدلاً، ولا يوصل الإنسان إلى السكينة والارتباط بخالقه، هو تفوقٌ عاجزٌ عن تحقيق السعادة الحقيقية.

يوضح سماحته هذا الفراغ في الحضارة الليبرالية الغربية: «إن الحرية الحقيقية للناس والشعوب هي توظيف إرادتها وعزمها وقوتها وقدرتها من أجل سعادتها ورفاهيتها، وأن يكون رخاؤها في سبيل العبودية الحقّة لله تعالى، وهذا ما نسعى إلى القيام به.

إنّ هذا هو الفراغ الذي يثقل كاهل عالم الليبرالية والديمقراطية الغربية.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٤/٠٣/٠٦ م.

لقد أنشؤوا المصانع، وأداروا المحرّكات، ووسّعوا من رقعة العلم، ولكنهم عجزوا عن تحقيق العدالة الاجتماعيّة، لقد أخذوا بالأخلاق الإنسانيّة إلى هاوية الهبوط والانحطاط»^(١).

إن العلم في المنظور الإسلامي هو (وسيلة) للسعادة، وهذه السعادة لا تتحقق بمجرد التراكم المعرفي، بل باستتباب الأمن المعنوي والخلقي، فالعلم بلا عدالة هو مجرد محرك بلا بوصلة: «سعادة الإنسان لا تتحقّق بتطوّره العلميّ، على قاعدة العلم وسيلة للسعادة، بل تتحقّق بهدوء البال، وراحة الفكر، وصفاء الروح، وخلوّ الحياة من القلق والاضطراب، واستتباب الأمن الخلّقيّ والمعنويّ والماديّ، والشعور بتوفّر العدالة في المجتمع»^(٢).

٢. ارتباط العلم بالاعتدال

العلم هو المدخل الإلزامي لسيادة الأمم واستقلالها، ففي النظام العالمي المعاصر، الشعوب التي لا تمتلك ناصية العلم تظل تابعة في اقتصادها وقرارها السياسي وعظمتها الوطنية. فالعلم هو الذي يخلق الثروات، وهو الذي يؤسس للهيبة العسكرية والسياسية.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٠٨/١١/٠٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٠٨/١١/٠٢ م.

يستشهد سماحة السيد قدس سره بالقاعدة العلوية الخالدة ليؤصل لضرورة التفوق المعرفي: «فما هو مهمٌّ بالدرجة الأولى، في إيجاد القدرة الوطنية، هو بنظري شيان: أحدهما العلم، والثاني الإيمان، فالعلم أساس القدرة، سواء اليوم أو على مرّ التاريخ، وسوف يبقى الأمر كذلك في المستقبل، إنّ هذا العلم يؤديّ أحياناً إلى ابتكار أو اختراع ما، وفي بعض الأحيان لا يكون كذلك، وكذلك المعرفة، فإنّها أساس الاقتدار، وهي تخلق الثروات، وتؤديّ إلى الاقتدار العسكريّ والسياسيّ.

فقد ورد في رواية: «العلمُ سلْطانٌ، مَنْ وَجَدَهُ صَالَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْهُ صِيلَ عَلَيْهِ»^(١).

أي إنّ للقضيّة بعدَين: إذا كنتم تمتلكون العلم، يمكن أن تكون لكم الكلمة العليا واليد العليا، وإذا لم تمتلكوا ذلك، فلا تُوجد حالة وسطى، فالذي يمتلك العلم تكون له اليد العليا عليكم، وسوف يتدخل في ثرواتكم وفي مصيركم.

وإنّ كنوز المعارف الإسلاميّة مليئة بمثل هذه الكلمات.

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح: محمّد أبو الفضل إبراهيم: ج ٢٠ / ص ٣١٩، نشر مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

البعد الآخر هو الإيمان، إذ إنَّ بحث الإيمان له شأنٌ آخر، ويحتاج إلى بحث مفصّل، بناءً عليه، يجب الاعتماد على العلم^(١).

ويقول قُلَيْبٌ: «وإنَّ اعتمادنا على العلم لا ينحصر بالاحترام المبدئيّ للعلم - الأمر الذي يعدُّ بذاته نقطة مهمّة، وقد أوّلَى الإسلام العلم قيمةً ذاتيّة - بل بالإضافة إلى هذه القيمة الذاتيّة، فإنَّ العلم هو القدرة.

فإذا ما أراد شعب أن يعيش براحةٍ وعزّةٍ وكرامة، فإنّه بحاجة إلى القدرة فالعامل الأساس الذي يمنح الاقتدار لأيّ شعب هو العلم. العلم بإمكانه تحقيق الاقتدار الاقتصاديّ، وإيجاد الاقتدار السياسيّ أيضاً، وكذلك منَح السمعة والكرامة الوطنيّة لأيّ شعبٍ في نظر العالم^(٢).

العلم مقياس الثقة بالنفس

إنّ منزلة العلم في حياة الأمم والشعوب تضاهي منزلته في حياة الفرد تماماً، فكما أنّ العلم يمثل الغنى الحقيقي الذي لا فقر بعده، كما استُفيد من مضامين الروايات الشريفة، فإنّ المجتمع الذي يرسّخ قيمة العلم في نمط عيشه ومسار مؤسساته هو مجتمع يكتسب حصانةً من الثقة الاجتماعية.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبٌ، بتاريخ: ٢٠٢/٠٢/٢٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبٌ، بتاريخ: ١٣/٠٨/٠٦ م.

وهذه الثقة لا تقف عند حدود المعرفة، بل تتحول إلى منطلق لترسيخ قيم سيادية كبرى، على رأسها رفض الاستعمار والظلم والتمسك بالحرية.

ويبين سماحة السيد القائد قدس سره ضرورة اليقظة العلمية لمواجهة الأطماع الدولية قائلاً: «إنَّ من أهمِّ هواجس الاستعمار والاستكبار وأمريكا والصهاينة الصانعين للفساد في العالم اليوم، أن لا يسمحوا للبلدان ذات الأنظمة الثورية بالتقدُّم من الناحية العلميَّة، وهذه الحساسية تتضاعف لبلدنا، لأنَّ الحساسية التي يحملونها تجاه الإسلام والثورة الإسلامية لم يكن، ولن يكون، لهم مثلها تجاه أيِّ ثورة أخرى، اليوم، يجب على الذين يستطيعون أن يطوروا العلم في هذا البلد، أن يشعروا بمسؤوليتهم أكثر من ذي قبل، لأنَّ العدو لا يريد أن يسمح لنا بالوقوف على أرجلنا وهذا الاعتماد على النفس يتحقَّق فقط حين يكون العلم نابغاً من عندنا، وحين لا تكون أيدينا ممدودة للاستجداء من الأعداء»^(١).

وتغدو القفزات العلمية التي حققها الشعب الإيراني مؤشراً حيوياً على استعادة الثقة بالذات وتجاوز عقدة النقص أمام الآخر.

يؤكد سماحته على هذا الترابط بين المنجز العلمي والثبات النفسي بقوله: «إنَّ أحد دلائل هذه الثقة بالنفس دخول الشعب الإيراني إلى ميادين الاكتشافات العلميَّة على أعلى المستويات، ومن ذلك

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣٦٨/٠٩/٢٩ هـ.ش.

مشروع الطاقة النووية، الذي بات حديث الساعة في أوساط شعبنا، بل إن الأمر لا يقتصر على ذلك، فلقد أثبت شبابنا وجودهم في الكثير من المجالات الحساسة والدقيقة والحديثة جداً، ودخل علمائنا وخبرائنا الميدان بكل قوة، فأنجزوا الكثير من الأعمال الكبرى، من قبيل الخلايا التأسيسية واكتشاف الدواء لبعض الأمراض المستعصية»^(١).

ارتباط قيمة العلم بباقي فروع بناء المجتمع

إنّ بناء المجتمع في الرؤية الإسلامية هو بناءً عضوي متكامل، لا تنفصل فيه العناصر عن بعضها البعض. فإنّ المضي في طريق العلم لا يعني بحال من الأحوال تهميش الأبعاد الحضارية الأخرى كالآداب والفن، بل المطلوب هو إيجاد حالة من التكامل والانسجام بين مختلف الفروع المعرفية والجمالية. يوضح سماحة السيد القائد عليه السلام هذا المنهج التكاملي بقوله: «إنني لست من أولئك الذين ينكرون قيمة الشعر والفن، ويصادرونه لصالح العلم، فمع أنني أؤمن بأن العلم يحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية في تقدّم البلاد... إلّا أنني أعتقد بأن العلم لا ينفك عن الدين والفن والذوق والصناعة، وكافة أنواع البناء والزراعة والخدمات العامة والعلاقات الخارجية، فهي كلّها تشكّل مجموعة



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠٠٨/١٠/٢ م.

واحدة، ويجب أن تتقدّم الى الأمام معاً، كلٌّ منها على النحو المناسب»^(١).

علاوة على ذلك فإنّ التجارب التاريخية أثبتت مرارة الانفصال بين النهضة العلمية وبين المنظومة القيمية والأخلاقية.

لذا يبرز التلاحم بين نزعة العلم وبين المبادئ كأصل لا يمكن التنازل عنه، وهو ما ينتظر من الجامعة تجسيده كقطب ريادي.

يقول سماحته قدس سرّه: «من الجامعة دوماً وفي كل مكان، أن تكون قطباً لتدفّق وتألّق تيّارين حيويّين في البلاد: الأوّل تيار العلم والبحث العلميّ، والثاني تيار النزعة المبدئيّة المثل ورسم الأهداف السياسيّة والاجتماعيّة»^(٢).

الخطوة الأولى لتكريس قيمة العلم في المجتمع

لا يمكن فصل القيمة عن حاملها فالعلم ليس فكرةً مجردة تسكن الكتب، بل هو يتجسد في العلماء والأساتذة والمفكرين الذين يمثلون النماذج الحية لهذه القيمة، إنّ أي تهमيش لهذه الفئة أو لحقوقها يعني بالضرورة تراجع قيمة العلم في وجدان المجتمع. وعلى هذا فإنّ التكريم المعنوي والمادي للعلماء هو اللبنة الأولى لترسيخ التوجه العلمي لدى الناس.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٠٨/٠١/٠٥ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٠٨/١٢/١٤ م.

يقول سماحة السيد القائد في هذا الشأن: «الاحترام الذي أحمله في قلبي للأستاذ والعالم، أردت أن ينعكس على مستوى المجتمع. نحن بحاجة لأنّ يشعر علماؤنا وأساتذتنا بالكرامة والاحترام في المجتمع.

أفضل مشجّع على نشر العلم هو تكريم حامله. أساتذة جامعاتنا، والشخصيات البارزة، والنخبة في مراكز البحث العلمي، هم ممن يعدّون شخصيات علمية ونخبوية مميزة»^(١).

وظيفة المعلّم في نشر قيمة العلم

تقع على عاتق المعلّم والمشتغل في الحقول الفكرية مسؤولية جسيمة تتجاوز حدود التدريس التقليدي، إذ إنّ دوره يتمحور حول صياغة العقول وبناء شخصية الطالب بطريقة تجعله يحترم العلم ويتبناه كقيمة عليا.

ويمكن تلخيص أدوار المعلّم الجوهرية في أربع مساحات:

- نقل المعلومة بدقة
- تعليم منهجية التفكير المنطقي
- التزكية الأخلاقية التي تمنع طغيان العلم وفساده
- وأخيراً خلق بيئة إيجابية تزرع التفاؤل والثقة بالنفس.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٤/٩/٢٠٠٨م.

يفصل سماحة السيد القائد هذه المهام الرسالية للمعلم قائلاً: «على المعلم أن يعطي العلم، وعليه في الوقت نفسه أن يعلم منهج التفكير وعملية التفكير، وكذلك أن يشمل بعمله تعليم السلوك والأخلاق إذا أخذنا التعليم بمعناه الواسع، فإنه يشمل هذه الساحات الثلاث:

الأولى: تعليم العلم، أي تدريس محتويات الكتب والعلوم التي ينبغي لأولادنا - رجال بلادنا ونسائها في المستقبل - أن يتعلموها، هذا واحد من الأعمال.

العمل الثاني: وهو أهم من الأول: تعليم التفكير يجب أن يتعلم أطفالنا كيف يفكرون - الفكر الصحيح والمنطقي - وينبغي أن تتم هدايتهم نحو التفكير الصحيح.

إنّ النظرة السطحية وتعليم السطحية في قضايا الحياة، يشلّ المجتمع، ويسبب الفشل والشقاء للمجتمع على المدى البعيد... الأمر الثالث: هو السلوك والأخلاق، أي تعليم السلوك والأخلاق»^(١).

كما يؤكد سماحته على استثمار هيئة الأستاذ ومكانته في وجدان الطالب لتحقيق هذه الأهداف التربوية الكبرى: «لأستاذ مكانة مؤثرة في أذهان طلابه، وهذه هي خاصية «الأستاذية»، بمعنى أن تفوقكم العلمي على الطالب، والعلم والتعلم الذي تمنحونه إيّاه، يعطيكم

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٤/٠٥/٠٧ م.

موقعاً مؤثراً في ذهنه وفي شخصيته، فاستفيدوا من هذا الموقع لتربية الطلاب وتعليمهم، نحتاج اليوم إلى أن يكون شبابنا ذوي روحية متفائلة، ويتحلّون بالشجاعة والأمل، ولديهم ثقة بالنفس وإيمان، وروحية بعد النظر والتفكير في المستقبل، وروحية الخدمة، نحتاج إلى أن يصبح الطالب هكذا، حسناً، يمكنكم أن تؤمنوا هذا في البيئة العلمية وفي الصف الدراسي^(١).

الفرق بين اكتساب العلم وإنتاجه

إن رقي أي جماعة منوطٌ بما تحمله من هوية أصيلة تعكسها علومها وأفكارها المبتكرة، وعلى الرغم من أهمية الاستفادة من تجارب الآخرين وما يسمى بـ (اكتساب العلم)، إلا أن بناء حضارة حقيقية ومستقلة يتطلب العبور إلى مرحلة (إنتاج العلم) الذي يلبي احتياجات المجتمع من الداخل.

يحذر سماحة السيد القائد من الاكتفاء بالاستهلاك المعرفي، داعياً إلى الإبداع الذاتي: «يجب أن لا نقنع بالتحصيل العلمي فقط، بل يجب أن يكون الهدف من بحوثنا وتعليمنا إنتاج العلم، أي بلوغ النقطة التي تنطلق منها شرارة الإبداعات العلمية في العالم الإنساني اليوم، فنحن من ناحية الإمكانات، لا ينقصنا شيء، قياساً بالذين أنتجوا



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٤/٠٧/٠٢ م.

العلم في العالم، وعملوا على تنميته وتطويره، واستطاعوا إيجاد تقنيات معقدة بالاعتماد على علومهم»^(١).

كما يشدد سماحته على أن التبعية العلمية هي مقدمة للتبعية المعنوية والسياسية، وهو ما يجب تجنبه: «التقدم العلمي يحصل باكتساب العلم من البلدان والمراكز العلمية الأكثر تقدماً، لكن اكتساب العلم شيء وإنتاج العلم شيء آخر.

في قضية العلم يجب أن لا نربط عربتنا بقاطرة الغرب، طبعاً لو كانت هذه التبعية، لحصل تقدم معين... هذا مما لا شك فيه، بيد أن التبعية وعدم الإبداع والخضوع المعنوي، من التداعيات الحتمية لمثل هذه الحالة وهذا غير جائز.

إذاً علينا أن نتج العلم بأنفسنا ونفجره من أعماقنا. كل درجة يرتفع بها الإنسان في سلالم العلم، تعدّه للخطوة اللاحقة والارتفاع إلى درجة عليا. علينا مواصلة هذا التحرك من أنفسنا وفي دواخلنا، وباستخدام مصادرها الفكرية وكنوز تراثنا الثقافي»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣٨٢/٠٨/٠٨ هـ ش.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٤/٠٩/٢٠٠٨ م.

إنتاج العلم جهاد^١

في الرؤية الكونية الإسلامية لا يقتصر مفهوم (الجهاد) على الساحة العسكرية أو المواجهة المسلحة، بل هو ممارسةٌ حركية شاملة تستهدف تحقيق الغايات الإلهية في بناء المجتمع وتطويره. ومن هذا المنطلق يبرز (الإنتاج العلمي) كأحد أرقى مصاديق الجهاد المعاصر، إذ لا يمكن لأي أمة أن تنال سيادتها أو تخرج من دائرة التبعية دون امتلاك ناصية المعرفة وتوطئتها.

يؤصل سماحة السيد القائد لهذا المفهوم بوضوح، معتبراً الكسل العلمي خروجاً عن روح الجهاد فيقول: «لا يجوز في هذه الحركة، الركون إلى الكسل والتقاعس والنزعة الاتكالية، ينبغي العمل بطريقة جهادية، ليس الجهاد في سوح الحرب فقط، إنما لا بدّ من الجهاد في ميدان العلم أيضاً، كسائر ميادين الحياة، الجهاد معناه العمل بلا توقّف، وتقبُّل الأخطار - بالحدود المعقولة طبعاً - والتقدُّم والأمل بالمستقبل»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي رحمته الله، بتاريخ: ٢٤/٩/٢٠٠٨ م.

مراعاة الأولويات العلمية

إنّ فاعلية أي حراك علمي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى ملاسته للاحتياجات الواقعية للمجتمع. فإنّ العبث المعرفي أو الانشغال بقضايا ترفية لا ثمرة حضارية لها يُعد هدراً للطاقات.

إنّ الإدارة الرشيدة للبحث العلمي تقتضي تشخيص الثغرات في العلوم الإنسانية والتجريبية وتوجيه الموارد نحو سدّها.

يشير سماحة السيد الخامنئي عليه السلام إلى ضرورة البرمجة التعليمية الهادفة قائلاً: «أن نشخّص الاحتياجات والأولويات العلميّة، ونأخذها بنظر الاعتبار في البرمجة التعليميّة، بخصوص العلوم الإنسانيّة، والعلوم الأمّ، وبعض العلوم التجريبيّة، أو على مستويات مختلفة من البحث العلميّ، قد تظهر أولويّات معيّنة بعد الدراسة والنظر الدقيق... ينبغي ملاحظة هذه الأولويّات، وأخذها بنظر الاعتبار في عمليّات البرمجة، إنّنا بما لنا من إمكانيّات محدودة واحتياجات كثيرة، يجب أن لا نسمح لأنفسنا بالاستثمار الفكريّ والماليّ والوقتيّ والإنسانيّ في مشروع لا يتمتّع بالأولويّات»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٤/٠٩/٢٠٠٨ م.

واجب الجامعة تجاه طلابها

تمثل الجامعة المحضن الأساسي الذي يصيغ وعي الأجيال، فهي ليست مجرد (مصنع للمعلومات)، بل هي حصنٌ لحماية الهوية الوطنية والدينية.

وتتجلى وظيفة الجامعة في مسارين متلازمين:

١. الاهتمام بتربية الطلبة

يرى سماحته أن التركيز تسبق التعليم في الأهمية الوجودية اذ يقول: «على الجامعة الاهتمام بتربية الطلبة، من حيث الثقافة والأخلاق والهوية، أي إنَّ قضية التربية تفوق قضية التعليم، وطبعاً التربية ذات التوجّه الخلقى والمعنوي، والتلطيف الروحي، وبثّ روح الشعور بالهوية في شريحة الطلبة الجامعيين الشباب»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/٠٦/٢٠١٨ م.

٢. إعداد القوة العاقلة لقيادة المجتمع

إن الهدف النهائي للعملية الجامعية هو إعداد نُخبٍ مؤهلة قادرة على قيادة المجتمع برؤية إيمانية عاقلة. فـ (العقل) هنا يتجاوز الحسابات المادية الجافة ليكون أداةً للهداية والقرب الإلهي.

يوضح سماحة القائد أبعاد هذه القوة العاقلة وضرورة تربيتها معنوياً: «وفيما يتعلّق بتربية الطلبة الجامعيين، من حيث الأخلاق والثقافة والهويّة: إعداد القوة العاقلة، فما هي القوة العاقلة؟ وما هو العقل؟ العقل في الأدبيّات الإسلاميّة، ليس مجرد ذلك الجهاز الذي يَنجِز لنا الحسابات الماديّة، لا، «العَقْلُ مَا عَبْدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتَسَبَ بِهِ الْجَنَانَ»^(١).

هذا هو العقل «العَقْلُ يَهْدِي وَيُنْجِي»^(٢) هذا هو العقل، ينبغي للعقل أن يتسامى بالإنسان، العقل في مستوى من المستويات، هو ذلك العامل الذي يوصل الإنسان إلى مقام القرب ومقام التوحيد.

(١) الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب، الكافي، تحقيق وتصحيح عليّ أكبر الغفاريّ: ج ١/ ص ١١، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
(٢) التميميّ الأمديّ، عبد الواحد بن محمّد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح السيّد مهديّ رجائيّ: ص ١٢٤، نشر دار الكتاب الإسلاميّ، إيران - قم، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

وبمستوى أدنى منه، العقل هو ذلك الشيء الذي يوصل الإنسان إلى نمط الحياة الإسلاميّة، وبمستوى آخر، العقل هو ذلك الشيء الذي ينظّم العلاقات الماديّة للحياة الدنيا، هذا كلّه من عمل العقل. القوة العاقلة هي تلك القوة التي يمكن أن تتوفر على هذه الأشياء كلّها، لذا فهي بحاجة إلى التربية المعنويّة.

ربّوا الطلبة الجامعيّين تربيةً معنويّةً، هؤلاء شباب والشابّ لطيفٌ بنحو طبيعيٍّ، وظاهرٌ نسبيّاً، وله قابليّةٌ السير بالاتّجاه المعنويّ، وهذا ما يجب توفيره في الجامعة «لَا يَسْتَعَانُ عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا بِالْعَقْلِ»^(١).

الحياة غير ممكنة من دون العقل، لذا ينبغي أن يكون الجانب التربويّ لهذه القوة العاقلة قويّاً، وينبغي للجامعة أن تربّي شباباً ذوي إيمان وشرف ومبادرة، وغير كسالى، ومن أهل الجدّ والسعي والثقة بالنفس، وممنّ يقبلون الحقّ، ويطالبون به.

هذه خصال الإنسان السامي، هذا هو الإنسان الذي يريده الإسلام، وهذا هو الإنسان الذي لو تولّى إدارة المجتمع، لاستطاع توجيه المجتمع نحو الصلاح والفلاح، وإلّا افترضوا مثلاً أنّه من الشائع الآن في الفضاء الافتراضيّ، أن يسيء الناس بعضهم إلى بعض،

(١) المجلسي، العلّامة محمّد باقر بن محمّد تقيّ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ج ٧٥ / ص ٧ مؤسّسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



وَأَنْ يَتَّهَمُوا هَذَا ذَاكَ، وَذَاكَ يَتَّهَمُ هَذَا، وَأَنْ يَضَخَّمُوا نَقْطَةً ضَعْفَ صَغِيرَةٍ، وَيَرَيَقُوا مَاءَ وَجْهِ إِنْسَانٍ مُؤْمِنٍ، وَلَا يَعْلَمُ مَنْ هُوَ، طَبْعًا هَذَا شَيْءٌ سَيِّئٌ جَدًّا، ثَمَّةٌ مِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بَيْنَ شَبَابِنَا، وَيَجِبُ الْحَوُولُ دُونَهَا، وَهَذَا الشَّيْءُ مُمْكِنٌ بِالتَّرْبِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ^(١).

ثُمَّ يَضَعُ سَمَاحَةَ السَّيِّدِ عَلَيِ الْخَامِنِيِّ قَدِّسَ بَعْضَ النَّمَاذِجِ الَّتِي يَنْبَغِي تَسْلِيْطُ الضَّوْءِ عَلَيْهَا فِي الْعَمَلِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ فِي الْجَامِعَةِ، وَهِيَ كَالتَّالِي، حَسَبَ كَلِمَاتِهِ:

نماذج في العملية التربوية الجامعية

لتحقيق هذا السمو الإنساني داخل أسوار الجامعة، يقترح سماحة السيد القائد التركيز على عدة نماذج أخلاقية:

أ. التربية على أخلاق الحياة الإسلامية

إِنَّ نَمَطَ الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَرْكَزُ عَلَى الرَّحْمَةِ الْمَتَبَادَلَةِ وَصَوْنِ كِرَامَةِ الْمُؤْمِنِ، يَحْذَرُ سَمَاحَتَهُ مِنْ أَنْ غِيَابَ التَّهْذِيبِ فِي مَرَحَلَةِ الشَّبَابِ سَيُؤَدِّي حَتْمًا إِلَى فُسَادٍ فِي الْمَنَاصِبِ الْقِيَادِيَّةِ مُسْتَقْبَلًا: «فِي مَجْلَسِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَالَ شَخْصٌ مِنْ عَرْضِ مُؤْمِنٍ، وَأَرَاقَ مَاءٍ وَجْهَهُ - وَلَمْ تَذَكَرِ الرِّوَايَةَ بِأَيِّ شَكْلِ نَالَ مِنْهُ - وَدَافَعَ شَخْصٌ آخَرُ عَنْ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي جَرَى النَّيْلُ مِنْهُ، فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ - حَيْثُ دَافَعْتَ عَنْ حَرَمَةِ مُؤْمِنٍ - حِجَابٌ دُونَ نَارِ جَهَنَّمَ هَذَا

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قَدِّسَ، بتاريخ: ١٠/٦/٢٠١٨م.

حجاب دون نار جهنم! هذا هو نمط الحياة الإسلامية يعني «ارحم، ترحم»^(١).

«ارحم لكي يرحمك الله تعالى هذا ما يجب تعليمه ونشره بين شبابنا، ينبغي لشبابنا أن يكونوا ﴿أَشْدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾»^(٢) - هذه الآية التي تليت هنا - يجب أن يتربى [الشاب] بهذه الطريقة، أن يقف بوجه الظلم ويقف بوجه المعتدي، لكنه يتعامل بعطف وتسامح مع أخيه المؤمن، يجب أن نعلم شبابنا العفو والتجاوز، إذا لم يجر تهذيب هذا الشاب اليوم وأصبح غداً مسؤولاً عن قطاع ما، فسوف ينجز الأعمال بطريقة ضعيفة، أو غير موثوقة أو خاطئة.

الذي يكون اليوم على استعداد للنيل من شخص ما بدافع من المزاح، أو تمضية للوقت، أو لإشباع حسٍّ داخليٍّ، عندما يكون غداً في تنافس انتخابيٍّ مثلاً، سيكون على استعداد أن يسحق إنساناً مؤمناً بالكامل، من أجل الفوز! هذا ما سيصبح عليه [غداً] وسيكون لهذا أثره هناك أيضاً»^(٣).

(١) الصدوق، الشيخ محمد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة: ص ٢٠٩ مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/٦/٢٠١٨م.



ب. تربية خَلْقِيَّاتِ العِشْرَةِ

إنَّ جودة العلاقات الإنسانية هي معيار رقي المجتمع، ويقول سماحته في هذا الصدد: «بأن تكون علاقات الناس ومعاشرتهم خَلْقِيَّةً، وتتمثل في الرحمة والإيثار والتعاون والمساعدة وأمثالها، رُشد هذه الخَلْقِيَّات ونموها يرتبط بمعاشرة الناس بعضهم لبعض في المجتمع»^(١).

ج. إعداد الأجواء للسمو المعنوي

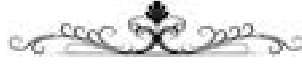
إنَّ الوظيفة الكبرى للجامعة هي تحرير العقل من (عبودية الشهوة والغضب)، وإيجاد المناخ الذي يسمح بظهور الشخصيات الراقية والمتسامية عن عالم المادة. يستعرض سماحته حكمة (ديوجانس) مع الإسكندر لبيان معنى الحرية الحقيقية: «إعداد الأجواء لرشد المعنويات والتحرر من عبودية الشهوة والغضب لدى الأفراد اللائقين، هذه من أعلى الأمنيات والآمال التي يتم الغفلة عنها غالباً! يجب أن تصل الأجواء إلى مستوى يمكن للأشخاص المستعدين، من ذوي اللياقة، أن يتحركوا في هذه الفضاءات، فينمو أمثال الحاج ميرزا علي القاضي وأمثال العلّامة الطباطبائي، والشخصيات البارزة بهذا الشكل

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي رحمته الله، بتاريخ: ٢٨/٥/١٤٠١ م.

[هؤلاء] من الأفراد المتعالين والراقين، الذين استطاعوا أن يتحرروا من هذا الجوِّ الماديِّ، ويتساموا ويحلّقوا للأعلى. يجب إعداد الأجواء لهذا الرشد والسموِّ المعنويِّ. بالطبع لا نمتلك كلنا مثل هذا الاستعداد، ولكن يوجد بيننا من لديهم اللياقة لهذه الحركة، وخاصّة في مرحلة الشباب. قال له: أنت عبدٌ عبيدي، فكيف أقف لك! في تلك الحادثة المعروفة عن «ديوجانس» الحكيم^(١)، حيث خاطب الإسكندر: أنت عبدٌ لعبيدي! كان الإسكندر يسير على طريق، وكان الحكيم جالساً، فلم يلتفت إليه، ولم يقدّر احتراماً انزعج الإسكندر، وقال لحراسه: انظروا من هو هذا؟ أحضروه. سأله: لماذا لم تقف احتراماً لي؟ قال: ليس عندي أيُّ سبب لأقوم لك، فأنت عبدٌ لعبيدي! قال الإسكندر: ماذا تعني؟ أنا الإسكندر عبدٌ؟ قال: نعم، الشهوة والغضب هما عبيدي، وتحت تصرفي، وأنت عبدٌ للشهوة والغضب، فأنت عبدٌ لعبد! الإنسان المطلوب [المنشود] هو الذي يتمكّن من النجاة من عبوديّة الشهوة والغضب، حسناً هذه مثلٌ عليا وأهداف كبرى^(٢).

(١) ديوجانس الكلبيّ، فيلسوف يونانيّ (٤٢١ - ٣٢٣ ق.م).

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٨/٥/١٤٠١ م.



التبيين

جهاد في سبيل تنوير الأفكار

إنَّ المواجهة الشاملة مع جبهة الخصوم لا تقتصر على الأدوات الدفاعية الصلبة أو تشييد القلاع المادية فحسب، بل تبرز ضرورة قصوى للعمل الدؤوب في ساحة الوعي، بهدف جلاء المفاهيم الإسلامية وفكِّ شفرات المبادئ التي يحاول العدو طمسها أو تحريفها.

فلسفة جهاد التبيين

١. أصل الدعوة

تتأسس بنية الفكر الإسلامي على (كشف الحقيقة) وإشاعة المعرفة كأداة مركزية لدحض الشبهات وإنارة العقول التي خيم عليها الجهل. ولقد كانت مسيرة الأنبياء عليهم السلام ومن بعدهم الأئمة الأطهار عليهم السلام رحلة تبيين متواصلة، غايتها صيانة الحق وإحباط محاولات التضليل الممنهج التي يمارسها الخصوم في شتى الميادين. يؤكد سماحة السيد القائد على هذه الجذور العقدية قائلاً: «من حيث الخلفيّة الدينيّة والعقائديّة، فإنَّ أصل الدعوة في صدر الإسلام

كانت تقوم على التبيين فالتبيين والتوضيح من أهم مهام الأنبياء عليهم السلام، بينما أعداء الأنبياء يستخدمون الجهل والطمس^(١).

وفي موضع آخر يبرز سماحته التبيين كنهج أصيل في الثورة الحسينية والسيرة العلوية: «إن التبيين هو أساس الفكر الإسلامي، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٢)، حيث يقول الله لرسوله إن واجبك هو الإبلاغ، يجب أن توصلوا الكلام والأفكار، يجب أن تبينوا كلماتكم وآراءكم، تكلّموا وعبروا عن مواقفكم وأفكاركم، وكان تبيين الحقائق بارزاً جداً في السيرة العلوية، ففي خطب نهج البلاغة الكثير من التبيين لحقائق كانت موجودة في المجتمع في تلك الأيام، وكان التبيين أيضاً المبدأ المهم للثورة الحسينية، يجب ألا يعرف الإمام الحسين عليه السلام فقط من خلال معركة يوم عاشوراء، فذلك جانب من جهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ينبغي معرفته من خطبه وكلماته، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وإيضاحه للقضايا والأمور في منى وعرفات، وخطابه للعلماء وللنخب -للإمام الحسين كلمات عجيبة ومهمة مسجلة في الكتب- ثم في الطريق إلى كربلاء وفي ساحة كربلاء نفسها.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٥/٠٥ م.

(٢) سورة الرعد، الآية ٤٠.

كان عَلَيْهِ السَّلَامُ، في ساحة كربلاء نفسها، صاحب تبيين وتنوير، فكان يذهب ويتحدث، مع أنها ساحة حرب والمتوقع إراقة الدماء، لكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ينتهز أي فرصة للتحدث إلى الطرف المقابل، عسى أن يستطيع إيقاظهم، بعض النيام استيقظوا طبعاً وبعض المتظاهرين بالنوم لم يستيقظوا حتى النهاية»^(١).

٢. أساس العمل

١٦٩

يمثل التبيين المحرك الجوهرى للفعل الإسلامى، كونه يستهدف مخاطبة الوجدان والقلب قبل القلب، فأقناع القلوب هو الذي يدفع الأجسام نحو النهوض والعمل المثمر. يقول سماحته قَدْ سَمِعْتُ: «إنَّ التبيين هو أساس عملنا الإسلامى، نحن نتعامل مع الأذهان، مع القلوب، ينبغي أن تقتنع القلوب، فإن لم تقتنع القلوب، فإنَّ الأجسام لا تتحرك، ولا تنهض للعمل، هذا هو الفرق بين الفكر الإسلامى والأفكار غير الإسلامىة»^(٢).

٣. توجيه البلاد باتجاه محدد

لا ينحصر التبيين في دائرة ضيقة، بل يجب أن يتغلغل في كافة مفاصل الدولة، ولا سيما المؤسسات التعليمية والمنابر الثقافية، نظراً

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئى قَدْ سَمِعْتُ، بتاريخ: ٢٧/٠٧/٢٠٠٩م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئى قَدْ سَمِعْتُ، بتاريخ: ٠٢/٠٧/٢٠١٦م.

لقدرتها الفائقة على صياغة (خطاب) عام يوجه دفة البلاد نحو غاياتها السامية.

يشير سماحة القائد في هذا الصدد: «إنَّ مسألة الثقافة هي إحدى المسائل المهمّة، اعملوا على تبينها، هذا التبين ينبغي أن يكون في أجواء الجامعة، وكذلك خارج الجامعة، في صلاة الجمعة وأمثالها، وهذا التبين يصنع «خطاباً»، ويوجد فكراً ومطالبة عند الرأي العام، وهذا ذو قيمة عالية، إنّه يوجّه البلاد باتجاه محدّد»^(١).

٤. رفع الجهل وإتمام الحجّة

إنَّ الغاية القصوى من وراء هذه الحركة هي جلاء المقاصد الإلهية، إذ إنّ معظم حالات الانحراف والضلال تنبع من عدم إدراك جوهر الحقيقة.

يقول سماحته قدس سرّه: «إنَّ الهدف الرئيس لأنبياء الله عليه السلام هو التبين، بيان الحقيقة، إذ ما يوجب ضلال الناس غالباً هو جهلهم بالحقيقة، هذا هو الأساس، ويوجد بالطبع من ينكر الحقيقة بعد معرفتها، إلّا أنّ أساس الانحرافات ناجم عن الجهل بالحقيقة، ولقد جاء أنبياء



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٧/٠٢ م.

الله ﷺ لبيان الحقيقة وتوضيحها وإظهارها وإتمام الحجة على الناس»^(١).

٥. بيان صواب العمل

يسهم التبيين في خلق قناعة مجتمعية بجدوى الخطوات المتخذة وصوابيتها، مما يحول الفعل القانوني أو الإداري إلى حقيقة مقبولة ومسندة شعبياً.

يؤكد سماحة السيد قزويني: «يجب أن يكون التصدي مصحوباً بالتبيين والتوضيح، وهذه إحدى الممارسات المهمة، والتي تعود إلى قضية التبليغ والإعلام، أي إنكم عندما تحاكمون فاسداً مثلاً، وتحكمون عليه بجزاء وعقوبة معينة، يجب تبين هذا الشيء للناس، بحيث يشعر الجميع بأن هذا العمل صائب، وكان يجب أن يتم على هذا النحو»^(٢).

وتزخر سيرة المعصومين ﷺ بشواهد تاريخية تثبت كيف استطاع التبيين تحويل الانكسارات الميدانية إلى وعي صلب، كما حدث في عهد الإمام الحسن عليه السلام: «ورد في سيرة الإمام الحسن عليه السلام أن عبيد الله بن عباس كان قائداً لقسم مهم جداً من جيش الإمام الحسن عليه السلام نام الجيش مساءً، واستيقظوا صباحاً، ليجدوا أن عبيد الله بن عباس غير

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قزويني، بتاريخ: ٢٠١٦/٠١/٠٤ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قزويني، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٦/٢٧ م.

موجود في خيمته، كان قد هرب والتحق بمعاوية، فقد جاؤوا إليه، ورشوه بأموال وأشياء، فذهب والتحق بمعاوية.

مثل هذا الحدث كان حدثاً قاصماً جداً لجيش الإمام الحسن عليه السلام هناك جاء أحد الصحابة المقربين وخطب بالناس وقدم بيانا وتوضيحا لما حدث، بعد كلمته تلك، فرح الجميع، وقالوا: الحمد لله أن ذهبَ هذا عنا! لاحظوا! هكذا يكون التوضيح والتبليغ بالمعنى الواقعي، يتقدم ويتكلم ويوضح بأن ما حدث هو لصالحنا وعلى حد التعبير الدارج اليوم: «تحويل التهديد إلى فرصة»^(١).

٦. نشر حقائق الإسلام

في زمن (الجهاد الكبير)، يبرز التبيين كضرورة وجودية لتعميق الوعي وإنارة الأفكار.

وهنا يقع على عاتق الجامعات دورٌ محوري في تحويل التبيين إلى برنامج عملي يتجاوز أسوارها ليصل إلى آفاق عالمية.

يشير سماحة القائد: «إنَّ جانباً كبيراً من الجهاد الكبير في هذا اليوم مرهونٌ بالتبيين، وبيان الحقائق وإنارة الأفكار، حاولوا بالتعمق إيصال الأذهان إلى أعماق الحقائق والمسائل.

الجامعات بوسعها أن تقوم بإنجازات كبرى في هذا المجال، وأن تجعل التبيين والتنوير واحداً من برامجها الأساسية، سواءً في

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٧/٠٦/٢٠١٨ م.



المنظومة التابعة لها، أو في نطاق أوسع، بحسب ما تسمح لها إمكانيّاتها»^(١).

إنَّ أسس الفكر الإسلاميّ وتبيين مصاديقه، مثل صمود الجمهوريّة الإسلاميّة، جذّابة بالنسبة إلى العالم، وهذه الجاذبيّة نابعة من صمود نظام مستقلٍّ أمام متغطرس، وهذا سبب غضب الأميركيين. يجب استغلال هذه الجاذبيّة من أجل نشر حقائق الإسلام والشعب الإيراني»^(٢).

٧. هداية المجتمع إلى التقوى

عند التأمل في تراث أمير المؤمنين عليه السلام، نجد أنَّ خطبه ورسائله كانت مدرسة في تبين الوقائع الاجتماعية وتوجيه الناس نحو (التقوى) كمعيار للنجاة وصلاح العمل.

يقول سماحة السيد قلندر: «انظروا إلى خطب نهج البلاغة، فإنَّ الكثير منها هو تبين للوقائع الجارية في المجتمع، في تلك الأيام، سواء الخطب أو الرسائل، تلك الرسائل كانت موجهة غالباً، للذين يعارضون الإمام أو يعاندونه، مثل معاوية وغيره، أو ولاية أمير المؤمنين والذين كان يوجّه إليهم الإمام اللوم والاعتراض، غالباً كان الأمر هكذا.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلندر، بتاريخ: ٢٣/٠٥/٢٠١٦ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلندر، بتاريخ: ٢٠/٠١/٢٠٢٠ م.

بعض الرسائل كذلك كانت توصيات وقوانين وأوامر، مثل عهد مالك الأشتر، كان الإمام يبين، في هذه الخطب والرسائل كلها، الحقائق للناس وكانت هذه سلسلة أعمال أمير المؤمنين عليه السلام، فلما توجد خطبة من خطبه ليس فيها أمرٌ بالتقوى^(١).

ويمتد أثر التبيين ليشمل أدق التفاصيل العبادية كالصلاة، التي تحتاج إلى جلاء معانيها لترتقي من حيز الحركة الآلية إلى فضاء السمو الروحي: «من الأعمال المهمة لأئمة الجماعات المحترمين في المساجد، تبين مسألة الصلاة للناس، كي نعرف قدر الصلاة، فإن تحقق هذا الأمر، فإن الصلاة سترتقي بشكل نوعي، في الواقع، إن صلواتنا إما أنها في حالات كثيرة ليست نوعية، أو أنها ذات نوعية متدنية أو ليست عالية، يجب الوصول إلى عمق أذكار الصلاة»^(٢).

التبيين واجب العلماء والمثقفين أولاً

إن مسؤولية تنوير العقول لا تقف عند حدود فردية، بل هي تكليف ملقى على عاتق الأمة بأسرها، وتتصدر هذه المسؤولية فئة العلماء والمثقفين.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٩/٢٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٨/٢١ م.

إنَّ التقاعس عن هذه الفريضة قد أدى تاريخياً إلى نشوء تيارات منحرفة، كالجماعات الإرهابية التي شوهت صورة الإسلام وعملت كأدوات بيد العدو.

يؤكد سماحة السيد القائد على هذا الواجب قائلاً: «إنَّ الواجب الملقى على أعناق المجتمع الإسلاميَّ أجمع والأُمَّة الإسلاميَّة جمعاء، في الدرجة الأولى، هو الجهاد في سبيل تنوير الأفكار وتوعيتها، والمسؤولية هذه تقع على عاتق العلماء والمثقفين والدارسين وكلِّ مَنْ له منبر، فليعملوا على إنارة الأفكار وتبيان حقائق العالم الإسلاميَّ للناس والتنوير هذا جهاد، إذ الجهاد لا يقتصر على رفع السلاح والنضال في ميدان القتال، وإنما يشمل الجهاد الفكريَّ، والجهاد العمليَّ، والجهاد التبينيَّ والتبليغيَّ، والجهاد الماليَّ أيضاً.

اليوم، وبسبب أننا لم نوذَّ فريضة التبيين بشكل صحيح، وقع بعضهم في ضلالة، وراحوا يعملون ضدَّ الإسلام، زاعمين أنَّ عملهم هذا يصبُّ في خدمة الإسلام، وهؤلاء هم الجماعات الإرهابية في منطقتنا، الذين سلبوا الأمن والاستقرار من الشعوب المسلمة، وأخذوا يحاربون المسلمين بالنيابة عن العدو، إنَّ هذه الجماعات الإرهابية المقربة من الوهاية، قد أخذت على عاتقها عناء العدو، وباتت تنفَّذ، بالنيابة عنه، ما كان يصبو إليه، وتثير الخلاف والشقاق بين المسلمين.

فلا بدّ من التبيين والتوعية والعمل، وعليكم أن تستثمروا المحافل والاجتماعات، قوموا بإرشاد شعوبكم وتوعيتها على أساس التعليمات القرآنيّة، والجهاد القرآنيّ، والتبيين الذي ينشده القرآن: ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(١) هذا ما يجب عليكم بيانه وإيضاحه لهم»^(٢).

التبيين نظريّة المقاومة مقابل العدوّ القويّ

لا ينبغي للتهويل العسكري أو التكنولوجي الذي يمارسه العدو أن يدفعنا نحو التراجع، فنظرية المقاومة هي طرح أصيل يتطلب تبييناً نظرياً وعملياً عميقاً لكشف أطماع الاستكبار في الهيمنة على مقدرات الشعوب.

يؤكد سماحته قدس سرّه: «لا يتصورنّ بعضهم أنّه علينا التراجع، لكون العدوّ يمتلك قنابل وصواريخ، ولديه أجهزة إعلاميّة وما شابه، لا، أبداً، فنظرية المقاومة نظريّة أصيلة وصحيحة، سواء على المستوى النظريّ، أو على المستوى العمليّ، ويجب أن يروّج لها على كلا المستويين.

على المستوى النظريّ، عليكم أن تبيّنوا وتوضحوا نظريّة المقاومة بشكلٍ جيّد جداً، سواء فيما بينكم، أو في البيئة والأجواء التي

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٧.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سرّه، بتاريخ: ١٦/٥/١٨٠٥ م.



تعيشون فيها، أو حتّى في العلاقات مع البلدان الأخرى، والشباب الآخرين.

يبنّوا للجميع نظريّة المقاومة، وأنّ هدف الاستكبار هو السيطرة والهيمنة والتسلّط على الشعوب، ولتعلم الجميع بأنّ هذا هو هدف الاستكبار»^(١).

ميادين التبيين

لا ينحصر فضاء التبيين في زاوية ضيقة، بل هو حركة شاملة تستهدف اختراق كافة الساحات التي يتواجد فيها الوعي الإنساني. إن تعدد الميادين يفرض تنوعاً في الأدوات، مع الحفاظ على وحدة الهدف المتمثلة في جلاء الحقيقة.

١. الفضاء المجازي (العالم الرقمي)

في عصرنا تحول الفضاء الافتراضي إلى ساحة اشتباك كبرى بين الحق والباطل.

ولم يعد التواجد فيه ترفاً، بل ضرورة جهادية تتطلب إعداداً معرفياً وتقنياً عالياً لنشر الأفكار الأصيلة وتحصين العقول من الشبهات الممنهجة. يؤكد سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه على هذه الأهمية قائلاً: «إنّ الفضاء المجازي هو ساحة للتبيين، جهّزوا أنفسكم بالمعنى الحقيقي للكلمة، وادخلوا هذا الميدان، ميدان التبيين والكشف...»

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٨/١١/٠٣ م.

يمكنكم نشر الأفكار الصائبة والصحيحة، والإجابة عن الإشكالات والإبهامات المختلقة في هذا الفضاء، يمكنكم الجهاد في هذا المجال بالمعنى الحقيقي للكلمة»^(١).

٢. الحضور المباشر (صلاة الجمعة ومجالس العزاء)

رغم الانتشار الواسع لوسائل التواصل الحديثة، تظل اللقاءات المباشرة وجهاً لوجه تمتلك تأثيراً روحياً ونفسياً استثنائياً لا يمكن تعويضه.

إن صلاة الجمعة ومنابر العزاء الحسيني تمثل فرصة فريدة للتواصل الجماهيري الصادق بعيداً عن صخب البروباغندا المادية.

يشرح سماحته الفارق الجوهرى في أثر اللقاءات المباشرة: «إن صلاة الجمعة، كما هو ظاهر من اسمها، مكانٌ للتجمع ومحلٌ للاجتماع. وهي تشكل فرصة كبيرة للتبيين، فإنكم أحياناً تضطرون إلى أن تطرقوا باب هذا المنزل وذاك المنزل، أو أن تستخدموا أساليب غير مباشرة، مثل وسائل التواصل الاجتماعي المتاحة اليوم وغيرها، هي واسعة النطاق، غير أن الرؤية المباشرة والنظرات المتبادلة، والجلوس وجهاً لوجه، والإحساس بالحضور، والشعور بالأنفاس المتبادلة ما بين المتكلم والمستمع، والاجتماع مع بعضهم بعضاً شيء آخر، فقد تصل كلمة أو رسالة عبر المواقع الإلكترونية أو

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٧/٠٩/٢٠٢١ م.



الهواتف الجوّالة لبضع مئات الآلاف من الناس، ولكن شتان ما هذا وأن يجتمع هذا العدد نفسه في مكان واحد للاستماع إلى مَنْ يحدثهم ويخاطبهم، إنّ للحضور وجهاً لوجه تأثيراً استثنائياً آخر، وهذه الفرصة في تناول أيديكم»^(١).

ويضيف قُلاسي مبنياً خصوصية المنابر الحسينية: «إنّ مجالس العزاء وهذه المنابر، هذه اللقاءات الشعبيّة والجماهيرية ليست رائجة في العالم، أن يتمّ دعوة شخص إلى مكان ومنبر ما، فيأتي ألف أو ألفان أو خمسة آلاف شخص بدون أن توجّه لهم دعوة، يجتمعون بطيب خاطر، وبكلّ شوق، يجلسون ساعة مثلاً، ويستمعون إلى كلام قارئ العزاء ومدائح، لا يوجد شيء في العالم كهذا، حيث يستخدمون غالباً البروباغاندا والإعلانات الباهرة، والجذب الجنسيّ، وأنواع الجذب والاستدراج وأشكالها لشدّ الناس إلى الحفلات واللقاءات.

نحن نملك هذا، أمّا الآخرون فليس لديهم ظاهرة كهذه، إنّها نعمة، وعليّنا أن نقدّرها، وأن نستغلّ هذه الفرصة»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلاسي، بتاريخ: ٢٠١٦/٠١/٠٤ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلاسي، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٧/١٤ م.

٣. الإبداع الفني والأدبي

يعد الفن بألوانه كافة لغة عالمية قادرة على نفاذ القلوب والعقول بيسر وجمال، وهنا تبرز مسؤولية الفنان الملتزم في تجسيد المفاهيم الإسلامية والوقائع التاريخية بأسلوب بليغ يتعد عن التعقيد أو المبالغة. يوجه سماحته دعوة لأصحاب الأقلام والمبدعين: «على فنّانينا أن ينزلوا إلى الميدان -فنّ الكتابة، فنّ التجسيد في النصّ والكتابة، هذه أمور بالغة الأهميّة-، ولا يسعوا فقط لإنتاج الأفلام، الأفلام جيّدة، وهي من الأمور الضروريّة جدّاً، ولطالما أكّدت أنا العبد عليها وأوصيت بها، واليوم أيضاً أوصي مجدّداً بإنتاج الأفلام، غير أنّ هذا التأكيد على الأفلام ينبغي ألا يجعلنا نغفل عن الكتاب. فليقم من هم من أهل الكتابة وأصحاب الأقلام المبدعة والذوق الرفيع بتصوير مفاهيمنا وتجسيدها، وليؤلّفوا كتباً قصيرة، بحيث يتمكن الشباب من قراءتها بسهولة، لينتجوا وينشروا الكتب، لا داعي للمبالغة أصلاً، ولا لكتابة أشياء غير واقعيّة، فليقوموا بتبيين ما حدث في الواقع بشكل صحيح، فليبيّنوا بكلّ جمال وبلاغة، فإنّ هذا ما يجذب القلوب، هذا ما يترك تأثيراً في الناس»^(١).

كما يسلط الضوء على القوة التعبيرية للمسرح الهادف، مستشهداً بتجربة شخصية: «من الأساليب الأخرى أن تستفيدوا من الوسائل الفنيّة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٩/٢٦م.



والتي قلّما جرى استخدامها، المسرح على سبيل المثال، المسرح الجامعي، مع الأسف في أجوائنا الفنيّة، فإنّ المسرح كان سيّئاً منذ ولادته، أي إنّ مسرحنا كان إمّا مسرحاً لغويّاً لا معنى له ولا فائدة، مثل فرق «الزفة» وما شابه، وإمّا مسرحاً اعتراضياً ليس له توجّه وهدف واضح وسليم، مضافاً إلى استخدامه لغة الإبهام والغموض، حيث كانوا يتخيّلون أنّ من شروط المسرح أن يكون بلغة مبهمّة ورمزيّة غامضة.

والحال أنّ الأمر ليس كذلك، هنا يمكن للكثير من الأمور أن يكون مؤثراً وبنّاءً.

المسرح، المسرحيّات الطالبيّة، فليجلس أعضاء المجموعات الفنيّة، ويقوموا بتبيين المفاهيم الإسلاميّة الحقيقيّة بشكل واقعيّ.

هنا في هذه الحسينيّة، ومنذ سنوات طويلة -لعلّها عشرون سنة- قدّمت مسرحيّة حول قصّة النبيّ أيّوب واستمرّت نحو ساعتين، حين انتهت قلتُ لذلك المخرج^(١): إنّني قد قرأت قصّة النبيّ أيّوب في القرآن أكثر من مئة مرّة أو لعلّه مئات المرّات، ولكنّي لم أصل إلى هذا الفهم حول هذه القصّة والذي شاهدته اليوم في هذه المسرحيّة وفهمته منها، فهل هذا بالأمر البسيط؟^(٢).

(١) فرج الله سلحشور، كاتب وممثّل، مخرج مسلسل النبيّ يوسف عليه السلام، ومخرج مسرحيّة النبيّ أيّوب عليه السلام.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٧/١١ م.

٤. سيرة الشهداء (مخزن القيم والمثل العليا)

تمثل سيرة الشهداء أرقى مادة للتبيين، فهي ليست مجرد قصص حروب، بل هي ملحمة إنسانية وعقدية تكشف أبعاد الصراع العالمي ضد الإسلام، وتجلي عظمة الإرادة التي هزمت الطاغوت. يؤكد سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره على ضرورة هذا الاستحضار: «علينا أن نرسم ونصور ونعرض لشبابنا وأجيالنا الصاعدة سيرة الشهداء، ونمط حياة الشهداء ليروا كيف كانوا، وإلى أين وصلوا، إنّ الحرب المفروضة، التي كانت في الواقع دفاعاً مقدساً، لم تكن بالأمر البسيط، فنحن لا نزال، ورغم مرور هذه السنوات كلّها، عاجزين عن شرح أبعادها المهمّة وتحليلها لمخاطبيننا بشكل صحيح، لقد كانت حرباً عالميّة ضدّ الإسلام، وضدّ حكم الإسلام، وضدّ الإمام العظيم، كانت حرباً كهذه مع أنّهم وضعوا قمّتها وما يسمّى برأس حربتها، ذلك السيّ الحظّ العديم العقل البعثيّ صدام، ولكنّ الآخرين كانوا يقفون وراءه ويدعمونه.

من الذين كانوا يساعدونه، يدلّونه على الطريق، البعض يزوده بالذخائر والتجهيزات وبعضهم يقوّيه إذا ما أصيب بالضعف والوهن ويحول دون سقوطه، كنّا نواجه حرباً كهذه، فمن هم أولئك الذين استطاعوا إنقاذ البلاد من مثل هذا البلاء الكبير؟ هذه قضية مهمّة لشبابنا اليوم، من هم هؤلاء الذين تمكّنوا من إنقاذ



البلد والنزول إلى وسط الميدان؟ هذه أمورٌ مهمّةٌ يجب تبيان سلوكات هؤلاء الشباب، وتوضيحها للجمهور الحاليّ.

هذا، مضافاً إلى بيان المثل العليا والأهداف الكبرى للشهداء، ما هي المثل العليا لهؤلاء الشباب؟ ما هي الأهداف السامية التي قاتلوا من أجلها؟ هل كانت القضية فقط مسألة حرب على الأرض، وترسيم الحدود وما شابه، بحيث إنّ هناك عدوّاً قد اعتدى على حدودنا، ونريد طرده وإخراجه من أرضنا، هل كان الأمر يقتصر على ذلك؟ ما كانت المثل العليا للآباء والأمّهات؟ هذا الأب وهذه الأمّ اللذان ربّيا هذا الشاب، ولم يقبلا أدنى أذى لشوكة في قدمه، أو أن يصاب بأي مرض طفيف، فإذا بهما يرسلانه هكذا إلى جبهات القتال، على الرغم من أنّهما غير متأكّدين كثيراً من أنّه سيعود إليهما سالمًا، هذا أمرٌ بالغ الأهميّة، على أيّ أساس أرسل هؤلاء الآباء والأمّهات هذا الشابّ للحرب؟ هذه مسائل مهمّة، فالتفتوا إليها واهتمّوا بها.

لقد حاول الكثيرون من الأشخاص إخفاء هذه الحقائق وكتمانها. كانت المثل العليا عبارة عن الإسلام، والله والحكم الدينيّ والإسلاميّ، هذه المثل كانت تشدّ ذلك الشابّ إلى الجبهة، ومن لا يصدّق ذلك فلينظر إلى وصاياهم، أيّ جاذبيّة وأيّ مغناطيس شدّه وحرّكه، وما الذي دفعه ليتجاوز أهواء الشباب، ويترك دراسته وجامعته، ويتخلّى عن أجواء حياته المريحة قرب أمّه وأبيه،

ويتوجّه إلى صقيع المناطق الغربيّة، أو حرارة منطقة خوزستان،
ليقاتل العدو، حاملاً روحه على كَفِّهِ»^(١).

غياب التبيين (ثغرةٌ ينفذ منها العدو)

يُحذّر سماحة السيد علي الخامنئي قُلَيْبٍ من أن الركون إلى الصمت المعرفي ليس مجرد تقاعس فكري، بل هو إخلاءٌ متعمدٌ للساحة أمام ما كينة التضليل الاستكبارية، إذ إنَّ الفراغ الذي يتركه أهل الحق سيمتلئ حتماً بأكاذيب أهل الباطل، إنَّ أخطر تداعيات غياب التبيين هو حرف البوصلة، بحيث يُستدرج البعض لخدمة أعداء الأمة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

يشرح سماحته هذه الآثار المترتبة على ترك هذا الواجب قائلاً: «في حال غياب التبيين، فإنَّ الفرصة ستفتح للعدوِّ لإغواء الناس وتضليلهم في مختلف المجالات، وكان إنتاج تنظيم «داعش» أحد الأمثلة على هذه المسألة في السنوات، اليوم، لأننا لم نقوم بواجب التبيين بنحو صحيح، هناك مجموعة من الناس أصيبوا بالضلال، ويتصورون أنَّهم يعملون من أجل الإسلام، لكنَّهم يعملون ضدَّ الإسلام... إنَّهم يحاربون المسلمين بدلاً من العدو»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبٍ، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٩/٢٦ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبٍ، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٥/١٨ م.

ضوابط التبيين

لكي يحقق جهاد التبيين غاياته الكبرى، ولا يتحول إلى فعلٍ عشوائي يؤدي لنتائج عكسية، حدّد سماحة القائد مجموعة من الركائز والمبادئ التي تضمن سلامة المسار وقوة التأثير، وهي كالتالي:

١. صيانة الوحدة والابتعاد عن الفتن

يجب أن يكون الهدف من التبيين هو البناء وزيادة الوعي، وليس هدم الجسور الداخلية أو إثارة النزاعات الجانبية التي لا تخدم سوى الخصوم.

يؤكد سماحته عليه السلام: «إنّ تكليفنا الأساس هو التبيين، ولا بدّ لنا من التصديّ لذلك بيد أنّ هذا التبيين قد يتمّ بأشكال مختلفة، فإن كان بالشكل الذي يؤول إلى تأجيج الفتنة وإثارة الصراع، فهو مرفوض، وإن كان بالشكل الذي يؤدّي إلى توعية الناس، وتنبيه المسؤولين إلى طرق الحلّ، فهو مطلوب للغاية، ولا يوجد فيه إشكال»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٠/٣/٢٠١٦ م.

٢. ملازمة قضايا العصر بالاحترافية والإبداع

إنَّ لغة التبيين يجب أن تكون حية، تواكب تحديات اليوم وتخطب عقول الشباب بلغة يفهمونها، بعيداً عن الجمود أو القضايا الهامشية.

يقول سماحته قدس سره: «يجب أن تبينوا للناس القضايا الجارية في البلاد، وهي من الواجبات المهمة لطلاب الجامعات، قولوا موافقكم وآراءكم بشأن القضايا المهمة للبلاد، وبينوا ما يتعلق بقضية الاقتصاد المقاوم، وقضية التقدم العلمي، والعلاقة بأميركا، هي ليست قضايا واضحة للكثيرين»^(١).

ويضيف قدس سره: «في ميدان جهاد التبيين، إنَّ الاهتمام باحتياجات اليوم، والإبداع في الأدب والأساليب بما يرضي قلوب المخاطبين وعقولهم، هو من الشروط اللازمة»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٧/٠٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٨/١٩ م.

٣. الالتزام بالمنظومة الأخلاقية

إنَّ الدفاع عن الحق لا يُشرَّع استخدام أدوات الباطل، فالتبيين الإسلامي ينتزه عن الكذب والافتراء، ويعتمد الصدق ميزاناً حاسماً. يقول سماحة القائد: «إنَّ للتبيين التزاماته، والتي يعدُّ مراعاتها شرطاً لفاعليَّة الكلام الحقِّ، والمبدأ الحاسم في هذا الشأن هو ضرورة اتباع نهج خلقِيٍّ في أداء هذا العمل.

علينا أن نجتنب بشدَّة ما يفعله بعضهم في الفضاء المجازي أو المطبوعات والمقالات وهنا وهناك من مواجهة للرأي العامِّ بالسَّبَاب والافتراء والخداع والكذب»^(١).

٤. الحكمة والابتعاد عن الاستعراض

التبيين الحقيقي هو الذي يترك أثراً مستداماً في النفوس عبر العمل العميق والواعي، لا عبر الصراخ المفرغ من المحتوى. يؤكد سماحته قُلَيْبِيٍّ: «إنَّ تبيين الحقائق لا يتحقَّق بالضجَّة والصخب، بل بالعمل السليم المتَّسم بالذكاء والوعي، وهذا ما يحقِّق النفع والفائدة»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِيٍّ، بتاريخ: ٢٧/٠٩/٢٠٢١ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِيٍّ، بتاريخ: ٢٣/٠٥/٢٠١٦ م.

٥. العقلانية وتظافر الجهود

إنَّ معركة الوعي تتطلب تكاملاً بين العقل والعاطفة، وتكاتفاً بين كافة الشرائح المجتمعية لصناعة جبهة صلبة في وجه التزييف. يقول سماحته قدس سره: «إذا كان التبيين هو أساس العمل الإسلامي، فلا بدّ من أن يستند إلى الوعي والعقلانيّة، ولا بدّ من نشر الحقائق بمنطق قويّ، وخطاب متين، وعقلانيّة تامّة، مع تزيينه بالعاطفة والمشاعر الإنسانيّة وتطبيق الأخلاق.

علينا جميعاً أن نتحرّك في ميدان التبيين، كلّ واحد بطريقته وفي مجال عمله، حتّى نكون شركاء في صناعة النصر على الجهل والأكاذيب التي تبثُّ هنا وهناك، متسلّحين بسلاح المعرفة والوعي والعلم، والحققة المقرونة بالدلائل والأسباب»^(١).

الحذر من التحريف الإعلامي الممنهج

يختتم سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره بتشخيص دقيق لسياسة (الإرهاب الإعلامي) التي يمارسها الاستكبار، والتي تهدف إلى قلب الحقائق وتجميل صورة الأنظمة الطاغوتية الفاسدة، مما يجعل من جهاد التبيين (فريضة فورية) لا تحتمل التأجيل.

يقول سماحته قدس سره: «إنَّ السياسة القاطعة لوسائل الإعلام المعادية للجمهوريّة الإسلاميّة وللإسلام هي تحريف الحقائق، إنَّهم يعملون

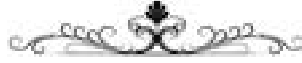
(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٧/٠٩/٢٠٢١ م.



باستمرار على تحريفها، وبث الأكاذيب، يخلطون الأخبار المرتبطة بالجمهورية الإسلامية، ويمزجونها بأنواع الأكاذيب وأقسامها - الأكاذيب الاحترافية التي جلسوا، وعملوا من أجلها، وعولوا عليها - ويزينون ويحملون الوجه القبيح والفساد لنظام الطاغوت، ويتسترون على آلاف الجرائم والخيانات التي ارتكبوها... لهذا، إن «جهاد التبين» فريضة «جهاد التبين» فريضة حتمية وفورية، وكل من يستطيع عليه ذلك»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٢/٠٢/٠٨ م.





الوسائل الثقافية الأهمية والأنواع والدور

أولاً: الكتاب والكتابة

تعريف الكتاب وأهميته الحضارية

١٩١

تنهض الحضارات الكبرى على دعائم شتى، يتربع على رأسها المكون الثقافي والفكري بوصفه البنية التحتية والمحرك الأساس لكل بناء اجتماعي.

وإلى جانب هذا الجوهر الفكري، تبرز (الأدوات الحضارية) وهي جملة الوسائل والمبتكرات التي تُسخرها الأمة لنشر هويتها وترسيخ قيمها في وجدان الأفراد، ويأتي (الكتاب) في طليعة هذه الأدوات وأكثرها تجذراً.

فالكتاب في جوهره هو، كما يصفه سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره: «نتاج فكر ودماغ وتجربة وفن شخص ما أو عدة أشخاص قاموا بإعداده وإنتاجه»^(١).

وهو أن «يقوم الإنسان بتنضيج ما في ذهنه وتنميته وتصفيته من الاخطاء والأغلاط، ومن ثمَّ صبّه في قالب الألفاظ، وإنَّ من

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠/٧/١١٠١١م.

العناصر المهمة في باب الكتابة، أن يرفع الإنسان كَيْفِيَّتَهَا ونَوْعِيَّتَهَا يوماً بعد يوم»^(١).

يؤكد سماحته على ديمومة هذه الوسيلة قائلاً: «إذا كان هذا الفكر المنتج للكتاب نابعاً من هويّة حضاريّة ويحاول نقلها عبر الألفاظ، فعندها، سيكون الكتاب وسيلة وأداة لصناعة الذهنيّة العامّة عند الناس تجاه الثقافة التي تنتهجها الحضارة.

قد يتصور بعض الناس والمشتغلين بأمور الثقافة أننا قد نصل إلى مرحلة نستغني فيها عن الكتاب، بسبب وجود مصادر أو آليات أخرى تحلُّ محلَّ الكتاب، ولكننا في الحقيقة كلّما تقدّمنا ازداد احتياجنا إلى الكتاب.

ومن يتصور أنّه بظهور وسائل الاتصال الحديثة سيعزل الكتاب فهو مخطئٌ، فالكتاب يوماً بعد يوم، يزداد أهميّة في المجتمع الإنسانيّ، والوسائل الحديثة مهارتها الأساس هي في نقل مضامين الكتب ومحتوياتها والكتب ذاتها بسهولة ويسر، فلا يمكن لأيّ شيء آخر أن يحلَّ محلَّ الكتاب»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٧/٢/١٩٩٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠/٧/٢٠١١ م.



المسؤوليات تجاه الكتاب

ينظر الإسلام إلى العمل الثقافي بوصفه أمانة كبرى، فالمسلم الحق لا يعيش بمعزل عن قضايا أمته، بل يتحمل نصيبه من المسؤولية تجاه (الغذاء الفكري) الذي يقدم للناس. ويبرز التحذير القيادي من التهاون في الكلمة المكتوبة أو المنطوقة، نظراً لأثرها العميق والمتعدي للفرد إلى المجتمع.

يقول سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره في تشخيص هذه المسؤولية: «ليعرف الخطباء والكتاب، ومن يتوجّه نحو الرأي العام، ما هم صانعون وماذا يقولون، فالمسؤولية فادحة، ومن ارتكب خطيئة في هذا المجال — لا سمح الله — فإن الله لن يغفر له خطيئته، وليس من السهولة التوبة عن مثل هذه الخطايا، لأنها ليست قضايا شخصية»^(١).

ولترجمة هذه المسؤولية إلى مسارات عمل واضحة في إطار الحضارة الإسلامية، يمكن تقسيم الوظائف الملقاة على عاتق النخبة والمفكرين إلى ثلاث شعب رئيسة حددها سماحته بقوله: «في مجال الكتاب نتحمل عدة مسؤوليات وتكاليف: الأول هو أن ننتج الكتب في المجالات الفكرية المختلفة.. والتكليف الثاني هو أن تتحوّل

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٨ شوال ١٤٢٢ هـ.

المطالعة إلى عادة رائجة.. والتكليف الثالث هو نقد الكتاب وتحليله»^(١).

المسؤولية الأولى (استراتيجية إنتاج الكتاب)

إنَّ عملية إنتاج الكتاب في الرؤية الإسلامية ليست مجرد نشاطٍ تدويني عابر، بل هي فعلٌ استراتيجي تحكمه (فقه الأولويات) الحضارية. وتأتي التوعية السياسية في طليعة هذه الأولويات، نظراً لكونها حجر الزاوية في بناء الاستقلال والتحرر من هيمنة المستكبرين. إنَّ غياب الوعي السياسي كفيلٌ بإسقاط المجتمعات في هاوية التبعية، بينما يمثل الوعي حصناً لصيانة الهوية الدينية والوطنية. وبالتوازي مع ذلك تبرز الحاجة إلى مؤلفات تلامس ذائقة الشباب وتحاكي تطلعاتهم بأساليب عصرية ومضامين حيوية. يحدد سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره مراتب هذه الأولويات قائلاً: «بالنسبة إلى الأولوية، ففي الدرجة الأولى، فتشوا عن الكتب السياسية، والكتب الأدبية، والكتب الفنية والكتب التي تجذب أفكار الشباب»^(٢).

ولا ينفصل هذا المسار العام عن ضرورة ترسيخ الدراسات التخصصية في الحوزات العلمية والمحافل الفكرية، حيث يقع على عاتق النخبة



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/٥/١٩٩٣م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٥/٤/١٩٨٧م.

واجب تأصيل المفاهيم استناداً إلى الوحي والسنة، لخلق بنية نظرية متكاملة للحياة الاجتماعية والسياسية.

ويخاطب سماحته المشتغلين في هذا الحقل التأسيسي بقوله: «قوموا بالكتابة حول قوانين الإسلام وآثارها الاجتماعية وفوائدها وانشروا ذلك، سيروا في طريقة عملكم التوجيهي ونمطه وأنشطتكم نحو التكامل، وتذكروا أنكم مكلفون بتأسيس الحكومة الإسلامية، اعتمدوا على أنفسكم، واعلموا أنكم ستنجحون في هذا العمل، لقد هبّ المستعمرون الأرضية منذ ثلاثة أو أربعة قرون، شرعوا من الصفر حتّى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن، لنشرع نحن من الصفر أيضاً، لا تسمحوا لضجيج بعض المتغربين والمستسلمين لخدم الاستعمار أن يخيفكم، عرفّوا الناس على الإسلام»^(١).

المسؤولية الثانية (تحويل المطالعة إلى عادة راجعة)

تتجاوز القيمة الحضارية للكتاب كونه وعاءً من ورق وحبر، لتتجلى في قدرته على صياغة الخطاب الفكري وبناء الهوية الثقافية، وهو ما لا يتحقق إلا بتحويل المطالعة من ممارسة نخبوية إلى (سيرة شعبية) وعادة راسخة في وجدان المجتمع. إنَّ مرحلة الشباب هي الحقل الخصيب لادخار المعارف وتنمية الذاكرة العلمية.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧ جمادى الثانية ١٤٢٢هـ.

يؤكد سماحته قدس سره على استثمار هذه المرحلة العمرية قائلاً: «لا ينبغي للطالب أن يدع الكتاب جانباً، فليقرأ، وليطالع في مرحلة الشباب، وليكن حاله هكذا دائماً، املؤوا وعاء الذاكرة هذا، الذي ليس له حدُّ قدر المستطاع في مرحلة الشباب، فكلُّ ما أودعناه في ذاكرتنا في مرحلة الشباب، ما زال موجوداً اليوم، وكلُّ ما نحصل عليه في مرحلة الشيخوخة - حيث إنني أنا العبد الآن في هذه الأيام مع كلِّ ابتلاءاتي أطالع أكثر من الشباب - فإنَّه لا يبقى، أنتم الآن شبابٌ، فادّخروا ما أمكنكم من المعلومات القيِّمة والمفيدة والضرورية في المجالات المختلفة التي تحتاجون إليها للتبليغ، فسوف تستفيدون منها»^(١).

إنَّ محاربة (الكسل الفكري) هي معركة حضارية بامتياز، فالنهضة الشاملة مرهونةٌ بقدرة المجتمع على استيعاب نتائج العقول وتجارب الآخرين، وهو ما يفرضه ترويج عادة المطالعة كفعلٍ يومي. يقول سماحة القائد: «الاهتمام بالكتاب في الواقع، قوامه الاهتمام بالمطالعة، فيجب ترويج عادة المطالعة في المجتمع، وهذه هي فائدة التعلم.

فالآثار الناجمة عن التحرك والنهضة التي تجري في البلاد من أجل اقتلاع جذور الأمية هي عبارة عن هذا الأمر: التمكن من

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ١٠/١٠/٢٠١٢ م.



الاستفادة من مجموع ما يعرضه فكر الآخرين وذائقتهم وقدراتهم، ومثل هذا لا يمكن أن يتحقق بدون المطالعة، وأظنُّ أن من أسوأ أنواع الكسل وأشدّها خسارة هو الكسل في مطالعة الكتاب، وكلّما فسح الإنسان المجال لهذا الكسل فإنّه سيزداد، فيجب ترويج المطالعة في المجتمع»^(١).

ولتحقيق هذا التحول الثقافي، يقترح سماحة السيد مسارات عملية تبدأ من التربية الطفولية والترويج الإعلامي وصولاً إلى التنظيم المنهجي للقراءة:

البداية من الطفولة: «ينبغي أن تكون البرامج متوجّهة نحو أبنائنا ابتداءً من مرحلة الطفولة على مطالعة الكتاب، المطالعة بالتدبّر والتأمّل والتحقيق»^(٢).

التسويق الإعلامي للكتاب: يرى سماحته ضرورة أن يضاهاى الترويج للكتاب ترويج السلع التجارية: «من الأعمال الكبرى والمهمّة على صعيد المجتمع أن تتّسع رقعة الدعاية والترويج المتعلّقة بالمطالعة، نحن نرى اليوم كيف أنّ أصحاب البضائع القليلة الأهميّة التي لا تأثير لها في حياة البشر يروّجون لبضائعهم بطريقة مبهرجة عجيبة ومدهشة، فأجهزة الاتّصال العامّ والمطبوعات والتلفزيون والإذاعة تبثّ تلك الدعايات، في حين أنّ تلك المنتجات ليست ضروريّة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠/٧/١١٠٢٠١١م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠/٧/١١٠٢٠١١م.

إطلاقاً ولا لزوم لها، بل هي إضافة إلى حياة الإنسان، فأحياناً وجودها يكون مفيداً وأحياناً لا يكون مفيداً البتة، بل لعلّه يكون مضرّاً، ونتاجُ بعظمة الكتاب وقيمته جديرٌ بأن يروج له ويرغب به من يمكنه مطالعته، هذا ما ينبغي أن نحوِّله إلى عادة... ويجب العمل بحيث يصبح الكتاب شريكاً مقبولاً في سلّة مشتريات العائلة، وذلك لكي يقرأ، لا لأجل تزيين غرفة المكتبة وعرضها على هذا وذاك، وهذه نقطة ترتبط بقضية المطالعة في المجتمع^(١). المنهجية والتنظيم: «ومن الأعمال المهمة تعويد أذهاننا على التنظيم في المطالعة، فأحياناً لو كان الرجوع إلى كتاب ما بشكل صحيح، بمعنى أن يتمّ قبل الشروع بقراءته مطالعة كتب أخرى متناسبة مع موضوعه، ومن بعدها نشرع بمطالعته، فإنّ التأثير سيكون أعلى بكثير وأعمق مما لو اكتفينا بهذا الكتاب بدون ملاحظة ما يرتبط به، حسناً، هذا ما يتطلّب إرشاداً، بعض الذهنيّات هي من أهل الكتاب، أي الكتاب السهل، الكتاب الذي لا يحتاج إلى أعمال الفكر.

لا عيب في ذلك، فهذه مطالعة ونحن لا نرفضها، لكنّ ما هو أفضل من هذا الأسلوب في المطالعة هو أن يمزج الإنسان في مجموع مطالعاته بين الكتاب السهل، على سبيل المثال، رواية أو مذكرات



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠/٧/١١٠٢٠م.

أو كتب تاريخية سهلة، والكتب التي تحتاج إلى التفكير والمطالعة، فمثل هذا النوع من الكتب يجب إدراجه ضمن عملية المطالعة، فنعود الذهن على أن يصبح متأملاً ومدققاً، وحينها ينشط عند تعامله مع الكتاب، وهذا ما يحتاج إلى إرشاد.

ومن الأمور التي ينبغي التخطيط لها لترويج عادة المطالعة: وضع برامج مطالعة خاصة بالشرائح المختلفة «فغالباً ما يحصل أن نرغب الشباب والأحداث بالمطالعة فيراجعوننا ويقولون: «أيها السيد ماذا نقرأ؟» وهذا السؤال ليس له جواب واحد، فمن المحتمل أن تكون له أجوبة متعددة، والمتصدون لأمر الكتاب، سواء في وزارة الإرشاد أم في عالم المكتبات، عليهم أن ينهضوا بجديّة للعمل على هذه القضية في القطاعات المختلفة ولأجل الشرائح المختلفة بأنواع مختلفة وأشكال مناسبة ليعرضوا مساراً للمطالعة، فهذا الكتاب في البداية وذاك الكتاب يليه وهكذا، فعندما يأتي هذا الشاب أو ذاك الحدث أو من لم يأنس بالكتاب حتى الآن، ويتحرك ويسير، ففي الأغلب سيكتشف مسيره»^(١).

الإرشاد المكتبي: يبرز سماحة السيد دور أمين المكتبة كمرشد فكري وليس مجرد موظف إداري: «قضية أخرى ترتبط بالمكتبات، حسناً، أمناء المكتبات المحترمون يبذلون جهوداً أساساً في هذا المجال ويتصدون للأمر ويباشرونه.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠/٧/٢٠١١م.

وأنا العبد، ومنذ حدثتي، شاهدت عن قرب دور أمناء المكتبات عند مراجعتي للمكتبات، كنت أذهب إلى مكتبة العتبة الرضوية المقدسة وأشاهد ما يقوم به أمناء المكتبات وما يبذلونه من جهود وما يصدر عنهم من حرص واهتمام، فأمانة المكتبات تعدّ عملاً إنسانياً ثقافياً ممتازاً، غاية الأمر أنّ أمين المكتبة ليس مجرد من يقدم الكتاب ويسترجه، فأمين المكتبة يمكنه أن يكون مصدراً ومنشأً ومرجعاً مرشداً للمراجعين^(١).

المسؤولية الثالثة (نقد الكتب وحراسة الفكر)

تقتضي المسؤولية الحضارية عدم ترك الساحة الثقافية عرضةً لكل ما يُنشر دون تمحيص، فكما تُراقب الأدوية المادية لحماية الأبدان، يجب مراقبة (الغذاء المعنوي) لحماية العقول من السموم الفكرية. إنّ النقد والتحليل هما الأداة لضمان جودة المنتج الثقافي وتوجيهه نحو سد الاحتياجات الحقيقية للمجتمع.

يوضح سماحة السيد القائد عليه السلام هذا الدور الرقابي قائلاً: «ترك الآخرين يختارون بحريتهم» أن ينزلوا كل كتاب مضرّ إلى سوق المطالعة، مثلما أنّ المهتمين بالأدوية لا يسمحون بجعل الأدوية المسّمة والخطرة والمخدّرة في متناول الجميع، بل يبعدونها عنهم وأحياناً يحذرون منها، وهذا غذاء معنويّ لو فسد وأصبح ساماً أو مضرّاً،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠/٧/١١٠٢٠١ م.



المطالعة»^(١).

إنَّ النشر الواعي يقتضي تشخيص الفراغات المعرفية والعمل على سدها، والحذر من المؤلفات والترجمات التي تُبثُّ لأغراض سياسية تحت غطاء ثقافي مضلل.

يقول سماحته عليه السلام: «ففي إنتاج الكتاب سواء بمعنى إيجاده أم ترجمته أم بمعنى نشره وعرضه على هذا وذاك يجب النظر إلى الاحتياجات والفراغات الموجودة في المجتمع، تلك الفراغات والاحتياجات الفكرية ينبغي أن تُحدد ويختار منها ما ينبغي سدّه وتأمينه، نحن نرى في ما يتعلّق بالكتاب وسوقه

أنّه أحياناً، يتمّ اتباع خطوات متلازمة مع الانحراف، وخصوصاً فيما يتعلّق بالقضايا المضرةً لذهنية المجتمع والبلد سواء من الناحية الخلقية أو الدينية والاعتقادية أم السياسية، يشاهد المرء بوضوح

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠/٧/٢٠١١ م.

في سوق الكتاب وفي عالمه أيادي ناشطة، تجلب أشياء وترجمات لأغراض سياسيّة، وإن كانت في ظاهرها ثقافيّة، لكنّها في باطنها سياسيّة»^(١)

كما يشدد سماحته على معايير الجودة اللغوية والأصالة العلمية، داعياً إلى استخدام اللغة العربية الفصحى كوعاء عالمي للفكر الإسلامي الرصين: «الكتاب العلميُّ الجيّد والذي يَطْرَحُ على المجامع العلميّة الإسلاميّة باعتباره كتاباً متميّزاً، يجب أن يكتب بلغة عربيّة جيّدة، ويكون خالياً من الإشكالات اللفظيّة واللغويّة، لأنّ اللغة العربيّة تمثّل لغتنا العلميّة، التي يمكن أن يستفيد الجميع منها»^(٢).

ويذكر سماحته أهمية (الكتابة الجهادية) التي تعزز الروح المعنوية في القضايا المصيرية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، لمواجهة الأعلام المسمومة التي تحاول بث اليأس والهزيمة النفسية: «إنّ ما نحتاج إليه اليوم، هو رفع الروح المعنويّة لدى المجاهدين، وإشعارهم بأنّ مستقبلهم يبعث على الأمل، ولكن ما يؤسف له هو مشاهدة عكس ذلك أحياناً، فوسائل الإعلام الغربيّة تسعى إلى تحطيم هذا الأمل، وفي غضون الأشهر الأخيرة، حيث مرّت الانتفاضة بغاية حاجتها إلى الدعم، شوّهت بعض الأعلام في العالم الإسلاميّ، وهي تخطّ



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلبيّ، بتاريخ: ٢٠/٧/٢٠١١م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلبيّ، بتاريخ: ٢٩/١١/٢٠٠٧م.

ما كان يمثّل سمّاً زعافاً بالنسبة إلى الانتفاضة، إذ تكلموا عن ضعف الانتفاضة ووهنها، وهذا بمثابة السمّ، فهذه الكتابات إنّما تعني: ليس ثمة سبيل أمام الشعب الفلسطيني سوى الاستسلام والخنوع أمام الصهاينة! ^(١).

نصيحة للشباب

تمثّل مرحلة الشباب والطفولة (العمر الذهبي) لبناء المخزون المعرفي، حيث تكون الذاكرة في أوج قدرتها على الاستيعاب والاحتفاظ بالمعلومات.

إنّ القراءة في هذا السن ليست مجرد تزجية للوقت، بل هي استثمار طويل الأمد يبقى أثره حياً في نفس الإنسان وعقله طوال حياته، بخلاف القراءة في مراحل العمر المتأخرة التي قد تضعف فيها القدرة على الحفظ تحت وطأة الانشغالات والابتلاءات.

وتبرز ضرورة توجيه الجيل الصاعد نحو (الكتاب الجيد) لضمان عدم ضياع العمر في ما لا ينفع.

يخاطب سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره الشباب والناشئة بهذا الصدد قائلاً: «يشاهد المرء أحياناً في التلفاز سؤالاً يوجّه إلى هذا أو ذاك: كم ساعة تقرأ في اليوم؟ أو كم تعطي للمطالعة من وقت؟ فواحد يقول خمس دقائق وآخر يقول نصف ساعة! يتعجّب الإنسان! يجب علينا أن نعوّد الشباب على المطالعة، وكذلك الأطفال بحيث

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧ ذي القعدة ١٤٢٢هـ.

ترافقهم إلى آخر العمر، إنّ تأثير المطالعة في مثل سنّي -أنا العبد- وأنا العبد أقرأ من الكتب ما هو أضعاف ما يقرؤه الشباب، هو في الأغلب أقلّ بدرجات من المطالعة في سنّي الشباب، أو في عمر كم أيّها الأعزّاء الموجودون هنا، إنّ ما يبقى للإنسان دوماً هو المطالعة في السنوات الأولى، فليطالع تلامذتكم من الشباب والأطفال ما أمكن، وليتعلّموا كلّ ما يمكنهم في مختلف الحقول، وبالطرق والأساليب المختلفة، بالطبع يجب اجتناب الاستهتار في بيئة الكتاب، وإن كانت هذه القضية لاحقة، إنّما القضية الأولى هي أن يتعلّموا ويعتادوا على الرجوع إلى الكتاب من الأساس والنظر فيه، وبالطبع يجب على الأجهزة أن تراقب، وكذلك الأشخاص، ويتولّوا التوجيه نحو الكتاب الجيد، حتّى لا يضيع العمر في الكتب السيئة»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١١/١٠/٢٠١٢ م.

١. دورها وأهميتها في جبهة الوعي

تعدُّ الصحافة ركناً أساسياً في منظومة الإعلام المقاوم، خاصة في ظل المعركة الثقافية الشرسة التي يقودها الاستكبار العالمي لسلخ الأمم عن هويتها.

إنَّ الصحيفة في النظام الثوري ليست مجرد ناقل للأخبار، بل هي جبهة مواجهة واعية تهدف إلى صيانة القيم والمبادئ، ونشر التوعية التي تُحصِّن الرأي العام من الانحراف والتبعية.

يوضح سماحة السيد علي الخامنئي قُلَيْبٍ هذه المكانة قائلاً: «لطالما كانت صفحات الصحف المسؤولة والعارفة بوظائفها، في هذه السنوات الأخيرة، ساحة مواجهة واعية من قبل أصحاب الأقلام الملتزمة والواعية للمشكلة ضدَّ الهجوم الثقافي الذي يشنه الاستكبار والعناصر الممسوخة والمسلوبة الهوية... الوظيفة الأهم للصحف في النظام الإسلامي هي الدور الثقافي في التعريف والدفاع عن القيم والمبادئ التي هي موضع رضا هذه الأمة الثورية، ورفع مستوى وعيها ومعرفتها»^(١).

وانطلاقاً من الإيمان بضرورة تعدد المنابر المعرفية، يرحب سماحته باتساع رقعة الصحافة الملتزمة: «إذا ما صدر بدل العشرين صحيفة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبٍ، بتاريخ: ١٩٩١/٠٩/٢٤ م.

مئتا صحيفة، فسأكون أكثر سروراً، فأنا لا أشعر بالسوء لزيادة أعداد الصحف، وإذا ما كانت الصحف مصدراً للتنوير والوعي، وكانت تكتب لمصلحة الناس والدين، كما جاء في الدستور، فكلما زاد عدد هذه الصحف، كان أفضل»^(١).

٢. الأمانة في المضمون والاحتراز من التحريف

إنَّ حرية الصحافة لا تعني إباحة تضليل العقول أو العبث بإيمان الناس؛ فالمسؤولية الأخلاقية تفرض التمييز الدقيق بين طرح الآراء المتنوعة وبين الكذب والتحريف الذي يخدم أجندات العدو. إنَّ الصحيفة التي تستمد إمكاناتها من مقدرات الشعب لا يجوز أن تتحول إلى (بوق إعلامي) يث سموم الإحباط والافتراء ضد مصالح الوطن والدين.

يُحذر سماحته من الانزلاق في هذا المنزلق الخطير: «أن تكون الصحف ركناً من أركان الحرية وحقوق الناس وحسب، فهذا لا يحتمُّ القبول بكلِّ ما يمرُّ في الصحف وميدان العمل الصحفي، وتجاهل الأخطار الثقافية الواضحة التي تعمل ضدَّ عقل الناس ودينهم وإيمانهم، وهي دائماً في حال استحكام وتقوية»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠/٠٤/٢٠٠٠م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٠٦/٠١/١٩٩٩م.

ويضيف ﷺ: «يجب أن تطرح الأفكار والآراء والأذواق المختلفة في البلاد، بصورة صحيحة وصائبة، لكنّ طرح المعارف المختلفة شيء، والكذب على الناس وكتابة الكذب وتحريف الحقائق والصيرورة بوقاً للعدوّ شيء آخر... إن كان البناء أن تكتب الصحيفة المنتشرة، وهي التي تستفيد من إمكانات هذا الشعب، ومن بيت مال هذا الشعب، ومن مساعدات هذا الشعب، ضدّ مصالح هذا الشعب، وعلى نحو الكذب والافتراء، لا عن عقيدة واقتناع أيضاً، والبناء أن تصبح بوقاً لإذاعة إسرائيل أو إذاعة أميركا في هذا البلد، فهذا ليس مقبولاً أبداً»^(١).

٣. تصنيف الصحافة في الفضاء الوطني

- يضع سماحة القائد ميزاناً موضوعياً لتصنيف الصحف بناءً على موقفها من الثوابت والنظام القائم، مقسماً إياها إلى ثلاث فئات:
- الفئة الأولى: الصحافة الملتزمة التي تتبنى أهداف النظام وتتفاعل معه نقداً وتأييداً لمصلحة البناء.
 - الفئة الثانية: الصحافة المتخصصة (العلمية والفنية) التي تنأى بنفسها عن السجال السياسي المباشر.
 - الفئة الثالثة: الصحافة المعاندة التي تتخذ من المعارضة غطاءً لتمرير أجندات تدميرية.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ١٩٩٩/٠٩/٠٢ م.

يوضح سماحته هذا التصنيف بقوله: «من هذه الناحية، يمكن تقسيم الصحافة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يرتضي النظام ويتفق معه، لا بمعنى الاتفاق معه في جميع الأمور، وهم شريحة كبيرة، تنقد الحكومة كما تنتصر لها، وتعرض على الوزارة الكذائبة ومن يدافع عنها من اللجان والأجهزة...

القسم الثاني: الصحف التي لا شأن لها بالنظام، فلا تبدي أيّ مساندة للنظام، ولو بذكر خبر واحد، وكذلك في المقابل لا تمسُّ النظام، كالمجلات العلمية والثقافية المحضة والمجلات المتخصصة وأمثال ذلك.

القسم الثالث: الصحف التي نطلق عليها بالصحف المعاندة، وهي ليست كثيرة، ومن جملة الأخطاء الشائعة هي أن بعضهم يسمي هؤلاء بأصحاب الفكر الآخر، وهو كلام خاطئ، فأيّ فكر آخر؟ وأولئك السادة يفرحون أيضاً بهذه التسمية، ويقولون: إنّ النظام ساخط علينا لأنّ لنا فكراً آخر، لكنّ الكلام ليس في الفكر والفكر الآخر، إذ إنّ جميع الأفكار حرة في الجمهورية الإسلامية^(١).



٤. الصحف المعاندة (سمات التحريف والتبعية)

تمتلك الصحافة المعاندة خصائص تخرجها من دائرة النقد البناء إلى دائرة (التآمر الثقافي)، ومن أبرز سماتها:

- الاعتماد على عناصر غير موثوقة
- والافتقار للصدق
- والتشكيك الممنهج في منجزات الأمة ومسؤوليها
- وتحويل صفحاتها إلى صدى لتهم الاستكبار العالمي

يصف سماحته حالة الصبر الطويل تجاه هذه الفئة وعجبه من تبعيتها المطلقة للغرب: «إن سميت صحف الصنف الثالث معاندة، فليس معنى ذلك أننا سنحمل السيف بيدنا وننهال عليها. لا، فهذا لن يغير وضعها في الغد عن وضع الأمس».

ويضيف عليه السلام: «صبرنا كبير جداً، حقيقةً، ففي النظام الإسلاميّ، تحمّلنا لسماع الكلام المخالف كبير جداً... لكنّ للغرضية والإجحاف حدوداً! هؤلاء مغرضون ومجحفون، وكلّما ساق أعداؤنا خارج البلاد تهمةً ضدّ الجمهوريّة الإسلاميّة، فإنّها تكرر في هذه الصحف نفسها بالأسلوب نفسه أو بأساليب أخرى... لم يتعاون إنسان مع العدوّ إلى هذا الحدّ؟! لم يشمّر إنسان ويعرض إلى هذه الدرجة عن وطنه وعن الأشخاص الذين يعملون

بإخلاص من أجل هذا الوطن؟! حقاً لم؟! بأيّ مرض مبتلون هؤلاء؟! أنا أعجب!»^(١).

ثالثاً: الشعر

١. الدور الريادي والأثر التوجيهي

يحتل الشعر في المنظومة الفكرية لسماحة السيد الشهيد الخامنئي عليه السلام مكانة استثنائية؛ كونه أداةً تعبيرية تتجاوز في تأثيرها حدود النثر والبيان المجرد.

فهو يمتلك قدرةً فائقةً على شحذ الهمم وتوجيه البوصلة الأخلاقية والاجتماعية، وهو سلاح ذو حدين، إذ يمكنه أن يكون منطلقاً للهداية والرشاد، أو وسيلة للانحراف والسقوط إن حاد عن جادة الحق.

يؤكد سماحته عليه السلام على هذه الخصوصية قائلاً: «إنّ الشعر عنصر مؤثّر، وله بين مجموعة الأنواع البيانية والكلامية تأثير مضاعف، فليس لأيّ قول، مهما بلغ من الفصاحة والجمال وجودة المضمون، ما للشعر من أثر الشعر وسيلة كهذه»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٩٩٩/٠٥/٠٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٧/٠١ م.

«بالإمكان هداية المخاطب عبر الشعر إلى الطريق الصحيح والصرط المستقيم. وبالإمكان أيضاً سوجه إلى الانحراف وإلى التسافل والسقوط»^(١).

٢. شعر الثورة: نضوج الكلمة ورقى المضمون

يرصد سماحة السيد الشهيد قدس سره تطوراً ملحوظاً في (شعر الثورة)، معتبراً إياه ثمرةً يانعةً امتازت بجودة السبك وقوة الخيال وعمق المضامين (الثورية، والاجتماعية، والعرفانية). هذا الرقي الجمالي والمعنوي يعكس نموّ مدرسة شعرية هادية ومواكبة لتطلعات الأمة الإسلامية.

يصف سماحته قدس سره هذه الحالة بقوله: «عندما أقارن شعر الشباب اليوم بشعرهم قبل عشر سنوات أو خمس عشرة سنة، تتابني حالة من الشوق والشكر لرؤية هذا التقدم»^(٢).

ويؤكد في موضع آخر: «إنني أعبر هنا عن رضاي وارتياحي المتزايد لتقدم الشعر في البلد في مرحلة ما بعد الثورة الإسلامية، فالحقيقة أن الشعر بلغ من الجودة مرتبة رفيعة»^(٣).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٧/٠١ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٦/٢٠ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٧/٠١ م.

توصياته فُتِيح للشعراء

دأبَ سماحة السيد علي الخامنئي فُتِيح في لقاءاته الدورية مع أرباب الكلمة وصنّاع الأدب على رسم خارطة طريق منهجية تهدف إلى توظيف الشعر في خدمة الغايات الكبرى للأمة. ولم تكن توصياته مجرد نصائح عابرة، بل هي رؤية شاملة تدمج بين الأصالة الفنية والمسؤولية الرسالية، ويمكن بلورة أهم هذه التوصيات في النقاط الآتية:

- إثراء المضمون: التأكيد على ضرورة شحن القصيدة بالمضامين الغنية للمعارف الإسلامية الأصيلة.
- الاستمداد من المنابع: العودة إلى المعاني العميقة والكنوز المعرفية المودعة في القرآن الكريم، ونهج البلاغة، والصحيفة السجادية.
- حراسة المبادئ: جعل القصيدة حصناً لحماية القيم الأخلاقية والاجتماعية.
- الالتزام الرسالي: وضع القالب الشعري في خدمة أهداف الثورة وتبني خطابها التحرري.
- صيانة المنجزات: توظيف الفن الشعري في حراسة المكتسبات التاريخية للثورة الإسلامية.
- تخليد الملاحم: نقل ثقافة (الدفاع المقدس) وقيم الشهادة للأجيال الصاعدة بأسلوب إبداعي مؤثر.



- الارتقاء الفني: الاهتمام الفائق بالجوانب الأدبية والجمالية لضمان قوة تأثير القصيدة.
- الأصالة اللغوية: المراعاة الدقيقة لمعايير اللغة والأدب وحماية الهوية البيانية.
- الهداية الاجتماعية: تحويل الشعر إلى وسيلة فعالة لإرشاد الناس نحو مسارات الخير والصلاح.
- المواجهة الإعلامية: وقوف الشعراء بكلماتهم في وجه تزييف الباطل والماكنة الإعلامية للاستكبار العالمي.
- السمو بالذوق العام: رفع مستوى وعي المخاطبين وتطوير ذائقتهم عبر المزوجة بين اللفظ الأنيق والمضمون العالي.
- التربية السلوكية: التركيز على صياغة نمط الحياة الإسلامي، وإعلاء قيم الطهارة، وحسن العاقبة.
- الأناشيد الهادفة: العناية بالأناشيد الجماعية وترويجها باستخدام الوسائل الفنية المعاصرة.
- المواكبة السياسية: بذل الجهد في تدوين وترويج الأشعار التي تعالج القضايا الراهنة للبلاد والعالم الإسلامي.
- الإحياء الديني: التوسع في إنشاد الأشعار العقدية والدينية التي تقوي الارتباط بالمقدس.
- العالمية: السعي لترجمة أشعار الثورة وهموم العالم الإسلامي إلى اللغات الحية لإيصال الرسالة إلى أوسع نطاق بشري.

ويؤصل سماحته لهذه الأهمية الاستثنائية للشعر، معتبراً إياه الفن (الأساس) الذي تنهض على أكتافه باقي الفنون، وذلك نظراً لجذوره الضاربة في أعماق التاريخ والهوية: «إذا ما دار الأمر بين أن نختار من بين عدة فنون، كالفنون المسرحية والفن التجسدي، فنأ لنصرف عليه هذه الميزانية المحدودة، برأيي يجب أن نختار الشعر، لأنه إذا ما توفّر الشعر في المجتمع، فإنّ ذلك سيمهّد الأرضية للفنون الأخرى.

لا يمكن مقارنة الشعر ببعض الفنون الأخرى، هكذا هو الأمر في بلدنا ومجتمعنا وتجاربنا التاريخية بالحد الأدنى.

نحن تاريخ بحيث أصبحنا أساتذة في الشعر، أي لدينا تاريخ قديم مهمّ جداً من الميراث الشعري... إنّنا من حيث تطوّر الشعر ومن حيث تجذّر هذا الفنّ في مجتمعنا، في عداد البلدان المتقدّمة في هذا المجال.

حسناً هذا الفنّ بارز، لذا مهما فعلنا من أجل الشعر، وأجرينا الدراسات والأبحاث ومهما أنجزنا من الأعمال الإدارية من قبيل التنظيم والجمع والتقسيم، فليس بالكثير.

أنا هنا أرجو من قدامى الشعراء والمتمرسين في الشعر... ومن المسؤولين الرسميين والمرتبطين بالأجهزة الحكومية أن يجتمعوا ويناقشوا مسألة إدارة الشعر في البلد، ويعملوا ويفكّروا ويضعوا



التصاميم والخطط، فثمة الكثير من الاستعدادات والقابليات الموجدة»^(١).

رابعاً: الفنّ

١. الدور والرسالة الحضارية

لا ينفصل الفن في جوهره عن مسار الثورة وحركتها البنائية، بل إنه يشكل اليوم ركيزة أساسية أكثر حضوراً وفاعلية من أي وقت مضى، فالفن في الرؤية القيادية لسماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام، يمثل الأداة الأقوى لتخليد الأفكار والقيم ومضاعفة أثر المنجزات الإنسانية عبر الزمن.

لقد تحول الفن من أداة للتضليل والانحطاط في عهود السلطات الجائرة إلى منطلق للتعبير عن الإيمان واستعادة الذات، حيث ولد جيل من الفنانين الملتزمين من رحم الميادين وسوح المواجهة.

يشرح سماحته عليه السلام هذا التحول التاريخي ودور الجيل الثوري قائلاً: «مع الأسف، في النظام السابق، كان الفن في يد أصحاب السلطة، وقد ابتلي حقاً بالانحطاط، ولم يكن له حضور في الساحة، لكن منذ اللحظة الأولى لانتصار الثورة دخل الفن الساحة... وترون الآن أنّ كثيرين من فنّانينا المعروفين، هم من شباب مرحلة ما بعد الثورة، هؤلاء أشخاص، من خلال تحليهم بالإيمان، آمنوا بأنفسهم، إمّا في

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٥/٠٨/٢٠١٠م.

جبهات الحرب، وإمّا في ميادين الثورة، واتّجهوا نحو فنّ من الفنون، على سبيل المثال، حملوا آلة التصوير وذهبوا إلى الجبهات لالتقاط الصور، هذه الأعمال هي التي ساقّت هؤلاء نحو الفنّ... منذ انتصار الثورة إلى الآن، كان للفنّ دور كبير، فدخلت الميدان أنواع كثيرة من الفنون، وفي الحقول المختلفة، وأنجزت أعمال مهمّة وعظيمة، ونشأ وتربّى الفنانون الشباب^(١).

يقول سماحته: «إنّ استفيد من الوسائل الفنيّة في الأعمال والدروس العلميّة والفكريّة التي تبثّ في الإذاعة والتلفزيون، فستخلّد هذه الأعمال وسيضاعف تأثيرها»^(٢).

٢. آفات العمل الفني وضرورة الاستقامة

على الرغم من القوة التأثيرية للفن، إلّا أنه يظل عرضة لآفات خطيرة قد تحرفه عن مساره الإنساني والرسالي، وأبرزها الانزلاق نحو الانحطاط والتحلل من الضوابط الأخلاقية، وضياع البوصلة الفكرية. يبرز التحذير من الخطأ في (الاتجاه) الذي يحمل الفكرة، فالفن بلا استقامة هو وسيلة للهدم لا للبناء.

يؤصل سماحته عليه السلام لضرورة الدقة في التوجه الفني قائلاً: «يجب في استخدام الفنّ وكما كلّ الوسائل الأخرى الحاملة لفكرٍ ما، أن

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٩٩٩/٠٢/٠٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠٠٤/٠٥/١٧ م.



يكون اتّجاهه في غاية الدقّة والوضوح والاستقامة، وأن لا يقع الخطأ في الاتّجاه»^(١).

٣. المسؤولية تجاه الفن الملتزم

إن الفنان في المنظور الإسلامي ليس مجرد تقني بارع، بل هو صاحب رسالة تفرض عليه التزاماً مزدوجاً تجاه (القلب الفني) وجمالياته من جهة، وتجاه (المضمون القيمي) وسموه من جهة أخرى. فالفن المطلوب هو الفن الذي يصنع الفضيلة ويرتقي بالإنسان نحو مراتب الكمال.

يحدد سماحته عليه السلام هذا الواجب الأخلاقي للفنان بقوله: «الفنان ملتزم إزاء شكل فنّه وقالبه، وإزاء المضمون أيضاً»^(٢)، «ينبغي تقديم العمل بإبداع فنيّ كامل، وملؤه تماماً بالمضمون العالي والمرتقي [بالإنسان] والمتقدّم به إلى الأمام والصانع للفضيلة»^(٣).

وانطلاقاً من هذه الرؤية، يغدو الفن (دينياً وثورياً) متى ما اتسم بالخصائص اللازمة التي تخدم أهداف الأمة. ولتحقيق هذه النهضة الفنية، تقع على عاتق الفنانين والمسؤولين والمجتمع جملة من المسؤوليات والواجبات، يمكن بلورتها في النقاط التالية:

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٩٨٩/١١/١٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠٠١/٠٧/٢٣ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠٠١/٠٧/٢٣ م.

- العمل الدؤوب على ارتقاء المستويات الفنية وتطوير الأدوات الجمالية.
- الإدراك العميق لحدود الفن ومسؤولياته الأخلاقية.
- توظيف الطاقات الإبداعية في خدمة المنهج والاتجاه الإسلامي.
- صيانة الفن والفنانين من التجاذبات الحزبية والسياسية الضيقة.
- الثبات والاستقرار في المسار الفني والابتعاد عن التذبذب.
- تقدير المكانة الحقيقية للفن كرسالة سامية لا كمجرد وسيلة ترفيه.
- رعاية الأوضاع المعيشية والاقتصادية للفنانين لضمان استقرار إبداعهم.
- الالتفات إلى الجدوى الاقتصادية والمردود المالي لضمان استدامة الإنتاج الفني.
- تحصين الشباب من الانحراف والفساد الذي قد يث عبر الوسائل الفنية المنحرفة.
- الدقة في اختيار الرسائل التي تحملها الآثار الفنية للجمهور.
- انتقاء النماذج الفنية التي تكتنز بالمعاني السامية والمضامين العميقة.
- مؤسسة وتنظيم الشؤون النقابية والمهنية للفنانين.
- توفير الإمكانيات والموارد اللازمة للمجموعات الفنية الجادة والملتزمة.



- الاستثمار الأمثل لكافة الأدوات والوسائل الفنية المعاصرة لنشر قيم الحق والخير.

خامساً: الأدب

يُعدُّ الأدب بألوانه وفنونه كافة أحد الركائز الأساسية التي تنهض عليها ثقافة الأمم، والوسيلة الأكثر فاعلية في تخليد ونشر قيم الثورة. ومن هذا المنطلق يولي سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره اهتماماً فائقاً بالأدب، بوصفه الوعاء الحافظ للهوية والناقل الحي للأصالة عبر العصور، حيث يقول: «الأدب، في الحقيقة، هو ناقل الميراث الثقافي لبلد ما من جيل إلى جيل... الأدب، كالجينات الناقلة للخصائص التي تحفظ الوراثة والنسل»^(١).

وفي سياق القراءة النقدية للآداب العالمية، يبيّن سماحته كيف يعكس الأدب النظرة الثقافية العميقة للمجتمعات تجاه القضايا الإنسانية، مستشهداً بما كشفه الميراث الأدبي الغربي من رؤية قاصرة تجاه المرأة: «المطلعون على الأدب الأوروبي، الشعر الأوروبي، الرواية والقصة والمسرحيات الأوروبية، يعرفون أنّ المرأة كانت، بنظر الثقافة الأوروبية، منذ القرون الوسطى إلى أواسط القرن الحالي [القرن العشرين]، موجوداً من الدرجة الثانية!»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٩٧/٠٢/٢٤ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩٩٧/١٠/٢٢ م.

كما يستحضر سماعته التجارب الأدبية العالمية كشاهد على دور الإبداع في توثيق الملاحم الكبرى، لافتاً إلى التجربة الفرنسية في تخليد بطولات الحرب ونضالات الشعوب، وما خلفته تلك الحقبة من آثار باقية في وجدان الأمة: «انظروا إلى الأدب الفرنسي، من المؤكد أنّ قسماً من هذا الأدب يحكي عن بطولات مرحلة الحرب، فقد امتدّت الحرب أربع سنوات، تعرّض الفرنسيون فيها مدّة سنتين أو ثلاث لضغوط وهزّموا، لكنّهم بينوا مختلف أنواع البطولات سواء في ميدان الحرب، أو في النضالات الشعبيّة داخل باريس، أو في العلاقات الإنسانيّة وأمّثالها، انظروا كم تتكرّر هذه الأمور في الروايات الفرنسيّة، إنّ آثار تلك الأيام وعلاقتها تبقى في أفضل الروايات وفي أهمّ الأعمال الأدبيّة»^(١).

وانطلاقاً من هذه القاعدة التاريخية، يرى سماعته أنّ الأحداث الجسيمة وعلى رأسها الحروب - تمثل بيئة خصبة لتفجير الطاقات الإبداعية وازدهار الفنون، وهو ما تجسد بوضوح في ملحمة الدفاع المقدس التي خاضها الشعب الإيراني: «كانت الحرب حقلاً خصباً لبروز مثل هذه الطاقات. وأنتم تعلمون أنّ الأحداث الكبرى والعصيبة التي تمرُّ بكلّ بلد، ومن ضمنها الحرب، تؤدّي عادة إلى ازدهار الآداب والفنون فيه، ومن المعروف أنّ أجمل الروايات وأفضل الأفلام،



وربما أطول الأشعار هي تلك التي ألّفت وأعدّت وأُنْتُجَت
وأُنْشِدت للحروب وفي أيّام الحروب، وهكذا كانت الحال في
حربنا أيضاً^(١).

على صعيد أدب الصمود والحرب، ألّفت كتب يمكنها نقل ثقافتنا إلى
العالم.

إن نتاج أدب الصمود والحرب لم يقتصر أثره على الداخل، بل بات
يمتلك القدرة على نقل القيم الثقافية الإسلامية إلى آفاق عالمية.

٢٢١

وفي هذا الصدد يشيد سماحته بالتميز الفائق للإصدارات المعنية بهذا
الشأن، معتبراً إياها أداة استراتيجية لتصدير مفاهيم الثورة: «تقريباً قرأت
كلّ هذه الكتب التي نشرتموها في مكتب الأدب والفنّ المقاوم،
ووجدت بعضها فائناً للعادة... عندما كنت أقرأ هذه الكتب، كانت
تخطر في بالي هذه الفكرة وهي، لو كنّا ننشر هذه الكراسات
والكتب بغية تصدير مفاهيم الثورة، لما كان هذا بالشيء القليل، بل
لأنجزنا بذلك عملاً كبيراً»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٢/٥/١٩٩٨م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٦/٧/١٩٩١م.

سادساً: الإنشاد وقراءة المراثي والمدائح

١. الشرف الرسالي لمهنة المدّاحين

يحتل الإنشاد الديني وقراءة المراثي مكانة رفيعة في وجدان الأمة الإسلامية، وهي في نظر سماحة السيد علي الخامنئي قُدس سرّه ليست مجرد أداء فني، بل هي (مهنة شريفة) تكتسب قدسيتها من قدسية الممدوح.

إنها عملية تسخير للملكات الإنسانية من صوت ولحن وحجرة في سبيل إعلاء الفضيلة المتجسدة في أهل بيت النبوة عليه السلام.
يصف سماحته هذا الشرف بقوله: «إن مهنة المدح مهنة شريفة جداً... سخرتم ألسنتكم وأنفاسكم وحناجرکم وقدراتکم الفنیّة لمدح الفضائل، إن أهل بيت الرسول هم أهل الفضيلة، وجودهم ينضح بالفضيلة... أنتم تحملون كتاب مدح الفضائل في أيديكم، هذا شرف كبير»^(١).

٢. فريدة الظاهرة وضرورة التأصيل العلمي

تمثل مجالس العزاء ومنصات المدح ظاهرة اجتماعية وثقافية فريدة لا نجد لها نظيراً في الثقافات الأخرى، لقدرتها العالية على الجذب الطوعي للجماهير دون الحاجة لوسائل الاستدراج المادية.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٤/٠٩ م.



ويدعو سماحة القائد النخب الأكاديمية والباحثين إلى إخراج هذه الظاهرة من حيز الانطباع العفوي إلى فضاء الدراسة العلمية والتحليل المنهجي لاستكشاف طرائق تطويرها.

يؤكد سماحته على هذه الأهمية قائلاً: «هذه الظاهرة بما تشمل من إنشاد الأشعار في المدح والثناء وذكر مصائب أهل البيت عليه السلام وما إلى ذلك، من المميّزات الخاصّة التي لا نجد لها نظيراً عند الآخرين في أيّ مكان... إنّها ظاهرةٌ جديرةٌ ومناسبةٌ للعمل العلميّ. الحقيقة أنّه يجدر بطلّاب جامعاتنا وأساتذتنا وباحثينا أن يتناولوا هذه الظاهرة بالتدبّر والتفكّر والبحث والتفسير والتحليل، كما عليهم أن يحدّدوا لنا الطرائق العلميّة لنشرها وترويجها، ويعلمونا تلك الأساليب»^(١).

٣. القوة الإعلامية والتواصل الوجداني

يُصنّف سماحة السيد قدس سرّه الإنشاد والثناء كأحد أقوى الوسائل الإعلامية تأثيراً، لقدرته على النفاذ المباشر إلى القلوب والعقول في مختلف الساحات.

إنّ الحضور الميداني للمداحين واجتماع الناس حولهم يضاعف من جسامّة المسؤولية الملقاة على عاتقهم في صياغة الوعي الشعبي.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٣/٣٠ م.

يخاطب سماحته جماعة المنشدين موضعاً ثقل أمانتهم: «وأنتم وسيلة إعلام مهمة جداً، إنَّ مسؤوليَّة جماعة المدّاحين مسؤوليَّة خطيرة، أنتم تذهبون إلى كلِّ مكان وتلتقون مختلف أصناف الناس وفئاتهم، ولديكم ميادينكم وساحاتكم للتكلُّم والحديث، هناك آذان مستعدَّة لسماع أصواتكم، وهذا ما يضاعف جسامه مسؤوليتكم»^(١).

مسؤوليَّة قرّاء المراثي والمدائح

لكي تؤدي هذه الوسيلة الثقافية دورها المنشود في بناء المجتمع، حدّد سماحة السيد علي الخامنئي قُدس سرّه مجموعة من الوظائف والالتزامات التي يجب أن يضطلع بها الرواديد والمنشدون، وهي:

- استثمار منبر الغزاء لنشر المعارف الدينية الرصينة وتعزيز البناء الإيماني للناس.
- تقديم النماذج السلوكية والعملية المستقاة من سيرة الأئمة الأطهار والسيدة الزهراء عليها السلام.
- الربط الواعي بين الشعائر وبين أحداث الأمة الراهنة وتحديات العالم الإسلامي.
- الارتقاء بمستوى المخاطبين عبر اختيار النصوص الشعرية والخطابية ذات المضامين العالية.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٣/٠٨ م.



- مواكبة الاحتياجات الفكرية المتجددة للعصر والرد على شبهاته.
 - توجيه طاقة الإنشاد لخدمة مصالح الإسلام والمسلمين العليا.
 - ترسيخ نهج وفكر أهل البيت (عليهم السلام) كمنهج حياة عملي في المجتمع.
 - المساهمة في صناعة الرأي العام ونشر الأفكار البناءة.
 - إخلاص النية وجعل جلب الرضا الإلهي هو الغاية القصوى.
 - الوعي بالآفات التي قد تشوب هذه المهنة والحذر من الانزلاق فيها.
 - الالتزام بالأشعار المتينة أسلوباً والموثوقة مضموناً.
 - أن يكون القارئ مثلاً للمحبة والمعرفة العميقة.
 - العمل على ردم الثغرات المعرفية لدى جيل الشباب وتحسينهم.
 - إدراك تعقيدات جبهة التبليغ الحديثة وتطوير الأدوات بما يناسبها.
- ويختتم سماحته بالتأكيد على أن هذا الفن هو (أمانة) ومفتاح للتغيير الاجتماعي الكبير إذا ما أُدي حقّه: «أنتم القادرون على مخاطبة الناس، بالفنّ والشعر، بالصوت واللحن، تستطيعون التواصل مع الناس، هذا يستدعي المسؤولية، إنّ امتلاك هذه الفرص كلّها والإمكانات، بحدّ ذاته مسؤولية، وهي مسؤولية عليكم تأديتها على

أكمل وجهه، إذا استطاع مدّاحو البلاد اللائقون لهذه المرتبة وهذا المقام، القيام بمسؤوليتهم، فسينتج من ذلك تحوّل في البلاد»^(١).

سابعاً: الوعظ واللقاء المباشر

يمثل الوعظ المباشر أحد الركائز الأصيلة في منظومة التبليغ الإسلامي، فالتواصل الوجداني واللقاء الحيّ بين المبلّغ والجمهور يتجاوز حدود نقل المعلومة الجافة إلى فضاء التأثير الروحي العميق.

وفي الرؤية القيادية لسماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه، يمتلك الحضور الشخصي (سراً) لا يمكن للوسائل التقنية الحديثة -مهما بلغت دقتها- أن تعوّضه، إذ إن حرارة اللقاء ونبرة الصوت وملامح الوجود هي التي تمنح الرسالة الدينية زخمها وتأثيرها المضاعف.

يؤصل سماحته لهذه القيمة التبليغية قائلاً: «إنّ هناك فرقاً بين ما تحدّثون به الناس في جلسة عن المنبر، وما سوف تحدّثهم به الإذاعة، حتّى لو صدر هذا الكلام عنكم أنتم.

ولقد قلت مرّات عديدة إنّ هناك أثراً للجلوس معاً ومشاهدة كلّ منّا الآخر والاستماع إلى نفسه وصوته والإحساس بحضوره وحرارة وجوده، وهذا الأثر تخلو منه الرسالة القادمة من بعيد، فلنعرف نحن المعمّمين، قيمة ذلك، لقد كرّرت هذا الموضوع مرّات عديدة في لقاءاتي أهل العلم والوعاظ، وقلت إنّ هذه الميزة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠/٤/١٤٠٢ م.



المتوافرة في لقاءات الناس، ونحن نتحدّث إليهم مباشرة وجهاً لوجه، لا عبر الأمواج الصوتيّة وحسب، بل إنَّهم يلمسون وجودنا، هي ميزة تخصُّنا نحن، وهذا أمر عظيم الفائدة وذو تأثير مضاعف»^(١).

إنَّ هذا النمط من التبليغ التقليدي لا يزال يمثل المحضن الأكثر أماناً وقوةً لنشر المعارف، كونه يعتمد على التفاعل المباشر الذي تُبنى من خلاله القنوات الراسخة.

يقول سماحته في هذا الصدد: «تبليغ الدين بالنحو التقليديّ، أي حضور عالم الدين في جموع الناس المختلفة والاستفادة من المنبر الدينيّ والتبليغ، هو من أهمِّ الوسائل والنعم التي منحكم الله إيّاها»^(٢).

ضوابط ومنهجية عمل الوعاظ

لكي يؤدي المنبر الديني دوره في صيانة الهوية وبناء المجتمع، حدّد النظام الفكري لسماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه مجموعة من القواعد والضوابط التي ترسم ملامح الوعظ الناجح، وهي:

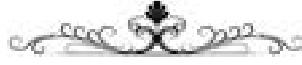
- المواءمة المعرفية: الالتفات الدقيق لحاجة الجمهور إلى التكامل بين البعد الأخلاقي وعمق التفكير الثوري.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٩٨٩/٠٨/٠٢ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٩٩٨/٠٤/٢٢ م.

- الاتزان السياسي: مراعاة مبدأ الاعتدال والحكمة عند استعراض القضايا السياسية وتبيينها.
- الدقة والمصداقية: رعاية مقتضى الحال، والحرص على تقديم المطالب المسندة والموثقة.
- تعزيز التلاحم: العمل على نشر روح المحبة والوحدة الوثيقة بين المسؤولين وجماهير الشعب.
- البصيرة الأمنية: اليقظة الدائمة لتوعية الناس وتحذيرهم من مخططات وأخطار العدو.
- بعث التفاؤل: التركيز على بث روح الأمل في النفوس وجعل المجتمع متطلعاً بموثوقية نحو المستقبل.
- ترسيخ الانتماء: تعزيز ثقة الناس بمنجزات النظام الإسلامي ودوام الأمل في خيراته.
- الجودة الفنية: صياغة المواضيع المتقنة والخالصة بأساليب شائقة ومزيج من الشروح الفنية الجاذبة.
- تعميق الولاء: السعي المستمر لترسيخ محبة أهل البيت عليهم السلام وتأجيج العاطفة تجاه أولياء الله.
- الارتقاء الإيماني: جعل الغاية النهائية هي الزيادة المستمرة في إيمان الناس ومعارفهم الدينية.





الأسرة

النواة التأسيسية للبنيان الحضاري

إنَّ تشييد صرح الحضارة الإسلامية المعاصرة، وفق القراءة الاستراتيجية لسماحة السيد علي الخامنئي قدس سره، لا يمكن أن يستقيم دون ترسيخ مركزية (الأسرة) في وجدان الأمة، فهي ليست مجرد وحدة اجتماعية عابرة، بل هي المختبر الأول لصناعة الإنسان والخلية الحيوية التي يتقرر بموجها مصير الجسد الاجتماعي ككل. فصلاح هذه الخلية يضمن المجتمع سلامة أجهزته كافة، وبفسادها يتداعى البناء الحضاري من أساسه.

يؤصل سماحته لهذه الأهمية البنيوية قائلاً: «إنَّ مسألة الأسرة هي مسألة مهمة جداً، القاعدة الأساس للمجتمع، الخلية الأساس في المجتمع وليس بمعنى أنه إذا كانت هذه الخلية سليمة، فإنَّ السلامة ستري في بقية الأجزاء، أو أنها إذا فسدت، فإنَّ باقي الأجزاء ستفسد بتبعيتها، بل إنها إذا كانت سليمة، فإنَّ الجسم سالم، لأنَّ الجسم ليس شيئاً آخر غير الخلايا، كلَّ جهاز هو عبارة عن مجموعة من الخلايا، إذا استطعنا أن نحفظ هذه الخلايا سالمة، فسيكون الجهاز سليماً، المسألة مهمة لهذه الدرجة»^(١).

(١) من كلامٍ للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره في اللقاء الثالث للأفكار الاستراتيجية حول موضوع المرأة والأسرة.

ومن هذا المنطلق يغدو امتلاك (رؤية ثقافية أصيلة) تجاه الأسرة هو الحجر الأساس لكل السياسات والأنشطة الرامية لتحسين المجتمع. فالبناء الأسري في جوهره هو فعلٌ ثقافي يحدد ملامح الحياة ونوعيتها، فمتى ما كانت التصورات المحركة للزواج والإنجاب سليمة ومستمدة من القيم الإلهية، أخذت الحياة شكلها المتوازن والمستقر. يؤكد سماحته قدس سره على هذا البعد الثقافي بقوله: «بناء الأسرة والزواج ثقافة، عدد الأطفال ثقافة، فإذا كانت التوجهات والرؤى سليمة لدى الناس في هذه الأمور، فإن الحياة في المجتمع ستأخذ شكلاً محدداً، وإذا كانت خاطئة -لا سمح الله - فإن الحياة سيكون لها شكلٌ آخر مختلف»^(١).

رؤية الإسلام لإنسانية الرجل والمرأة في التكوين الأسري

يقوم التكوين الأسري في المنظور الإسلامي على مبدأ التوازن الدقيق بين (الوحدة الإنسانية) و(التمايز الوظيفي). ففي حين يشترك الرجل والمرأة في الجوهر الإنساني الذي يمثل المرتبة الأولى والأسمى في الرؤية الكونية الإسلامية، يأتي التمايز الجنسي في مرتبة لاحقة ليخدم غاية التكامل لا الصراع. إن الإسلام ينظر إلى الإنسان ككائن مكرم قبل النظر إليه كذكر أو أنثى.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ١٣٩٣/٠١/٠١ هـ.ش.

يوضح سماحة القائد هذه النظرة التقديرية قائلاً: «في مسألة المرأة نفسها وكذلك في مسألة الأسرة والإسلام لديه أفكار جذابة وبارزة ومهمّة، أولًا: إنّ نظرة الإسلام إلى الجنس، هي نظرة من الدرجة الثانية، النظرة الأولى وذات الدرجة الأولى هي البعد الإنساني، والتي لا دور فيها للجنس»^(١).

وبناءً على هذه القاعدة، تصبح المسؤولية داخل الأسرة تضامنية، تهدف إلى تحقيق غايات الخلق عبر استثمار الخصائص المتباينة لكل من الزوجين.

فالرجل والمرأة في المحضن الأسري ليسا خصمين، بل هما رفيقا كفاح وشريكان في مسيرة التكامل الروحي والمادي، حيث يكمل نقص أحدهما كمال الآخر ضمن حدود الموازين الشرعية التي تضمن ديمومة المودة والرحمة.

يصف سماحته عليه السلام هذا التناغم التصويري بقوله: «لكلٌّ من المرأة والرجل خصائص وطباع وغرائز خاصّة به.

ولو استثمرت تلك الطباع الخاصّة بالرجل والمرأة بشكل سليم، فإنّهما يشكّلان في الأسرة ثنائياً متكاملًا ومتجانسًا ومنسجمًا، ولكنّ التوازن يختلّ إذا تمادى الرجل، وكذا الحال إذا تمادت المرأة، الإسلام جعل في الأسرة جزءين شبيهين بمصراعي الباب، أو

(١) من كلامٍ للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام في اللقاء الثالث للأفكار الاستراتيجية حول موضوع المرأة والأسرة.

كالعينين في وجه الإنسان، أو كرفيقي السلاح في خندق صراع الحياة، أو كشريكين في دكان واحد.

لكل واحد منهما خصائصه وطباعه وخصاله ولكل منهما جسمه وروحه، وفكره، وغرائزه، وعواطفه الخاصة به، للمرأة خصائصها، وللرجل خصائصه، ولو عاش هذان الجزآن بتلك الحدود والموازن نفسها التي عيّنها الإسلام، فسيشكّان أسرة خالدة وعطوفة ومباركة ونافعة»^(١).

اختلاف وظيفة كل من الرجل والمرأة داخل الأسرة

إنّ تباين الأدوار المنوطة بكل من الرجل والمرأة داخل المحضن الأسري ليس نتاجاً لتفاضلٍ روحي أو تفاوتٍ في القيمة الإنسانية، بل هو انعكاسٌ طبيعي لما أودعه الله في كل منهما من خصائص تكوينية وقدرات فطرية تنسجم مع وظيفته.

فالرؤية الإسلامية تنظر إلى هذا التباين بوصفه (توزيعاً للمهام) يحقق التكامل الوجودي، دون أن يخل بمبدأ المساواة في ساحة العبودية والارتقاء المعنوي.

يشرح سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره هذه الهندسة الإلهية للأدوار قائلاً: «وهذه عوامل أخرى في نهاية الأمر داخل الأسرة، الرجل هو الواجهة الخارجية، والمرأة هي الواجهة الداخلية».

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٤ جمادى الأولى ١٤١٧هـ.ق.



وإن شئتم أن تعبروا بلطف أكثر، فإنَّ الرجل هو غلاف اللوز، بينما المرأة هي لبّ اللوز، ويمكن استخدام مثل هذه التعابير، الرجل هو أكثر ظهوراً، بُنِيَتْ هي هكذا، لقد خلقه الله وجعله لهذا العمل، وخلق المرأة لعمل آخر.

بناءً على هذا فإنَّ البروز والظهور والعرض والإطلاقة عند الرجل أكثر لأجل هذه الخصائص، وليس بمعنى الأفضلية في المسائل الأساسية للإنسان، والتي تتعلق بالإنسان، فلا فرق بين الرجل والمرأة.

حسنًا انظروا إلى مسألة التقرب من الله، هناك نساء فوق قدرة أمثالنا على التصور، في الآية الشريفة من سورة الأحزاب، لا فرق بين المرأة والرجل، ولعلَّ المقصود ضرب التصورات الجاهلية حول المرأة: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَائِتِينَ وَالْقَائِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

حيثما وُجد الرجل، هناك امرأة، رجل خاشع، امرأة خاشعة، رجل متصدق، امرأة متصدقة، لا فرق بينهما أبداً^(١).

الأسرة تتطلب دور الزوجية للمرأة قبل الأمومية

تنطلق الرؤية الإسلامية في تعريف الأسرة من رابطة (الزوجية) بوصفها الحجر الأساس قبل أن تكون رابطة (أبوة وأمومة) فالوفاق بين الزوجين هو المناخ الذي يحدد فاعلية الرجل في المجتمع وسكينة المرأة في منزلها.

ولما تقدم فإن دور المرأة كشريكة ورفيقة درب يمتلك استقلالته وأهميته القصوى حتى في غياب الأبناء.

يؤكد سماحته عليه السلام على هذا البعد قائلاً: «لدى المرأة في الأسرة دور الزوجية، دور الزوجية هذا هو دور استثنائي، حتى لو لم يكن هناك دور أمومة.

افرضوا أن هناك امرأة، إما أنها لم ترغب في الإنجاب، أو أنها ولأي سبب آخر لم تنجب، ولكنها زوجة، لا ينبغي الاستخفاف بدور الزوجية.

إذا أردنا أن يكون الرجل شخصاً مفيداً في المجتمع، ينبغي لهذه المرأة أن تكون امرأة جيدة في المنزل، وإلا فلن يحصل هذا... وبالتأكيد فإن للرجال هذا الدور أيضاً، في مجال الأسرة، لا ينبغي

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني عليه السلام، بتاريخ: ٤ جمادى الأولى ١٤١٧هـ.ق.



تجاهل دور الرجال كذلك، بناءً على هذا، إن دور الزوجية هو دور بالغ الأهمية^(١).

محورية دور المرأة في الأسرة

لقد بوأ الإسلام المرأة موقع السيادة والريادة داخل البيت، فجعلها المحور الذي يدور حوله انتظام الحياة العاطفية والتربوية. إن وصف المرأة بـ (الريحانة) يخرجها من إطار العمالة الميكانيكية (القهرمانة) إلى فضاء التكريم الجمالي والمعنوي، فالأسرة في المنظور الإسلامي لا يمكن فك ارتباطها بموقعية المرأة، والبحث في أحدهما يستلزم بالضرورة البحث في الآخر.

يبين سماحة السيد القائد هذا التلازم المفاهيمي: «إن نظرة الإسلام إلى ما يختص بالأسرة وموقعية المرأة فيها، هي رؤية واضحة جداً «المرأة سيّدة بيتها»^(٢)، وهذا مروي عن النبي الأكرم ﷺ.

إن موقعية المرأة في الأسرة هي ما ورد في العديد من الروايات عن الأئمة عليهم السلام: «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»^(٣)، وفي تعبير اللغة العربية، القهرمان هو العامل، الخادم المحترم، يقولون: إن المرأة داخل البيت ليست قهرمانة، بل هي ريحانة، هي وردة البيت.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٤ جمادى الأولى ١٤١٧ هـ.ق.

(٢) إبراهيم، أبو القاسم پاينده، نهج الفصاحة الكلمات القصار للنبي ﷺ دنياى دانش: ص ٦١٤، إيران - طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤ هـ.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق: ج ٥/ ص ٥١٠.

والخطاب للرجال: خيركم من يكون صاحب أفضل سلوك مع زوجته، هذه هي رؤى الإسلام، ويوجد من هذا القبيل إلى ما شاء الله»^(١).

وفإن قضية المرأة والأسرة متداخلتان، لا يمكن فصل إحداهما عن الأخرى، فالإسلام يرى أن ركن الأسرة الأساسي هو المرأة، ولما تقدم لا يمكن امتلاك رؤية حول الأسرة بدون المرأة، «مسألة المرأة ومسألة الأسرة، وبالطبع فإن مسألة المرأة لا يمكن فصلها ولا تفكيكها عن مسألة الأسرة، وهذا ما سنشير إليه، إن أراد أحد أن يبحث في قضية المرأة منفصلة عن قضية الأسرة، فإنه سيتعرض لاختلال في فهمها، وكذلك في تشخيص العلاج والحلول المناسبة لها، يجب النظر في هاتين المسألتين جنباً إلى جنب، على أنهما مسألتان»^(٢).

من آثار الثقافة الغربية تهमيش قضية الأسرة

في المقابل تبرز الثقافة الغربية المعاصرة كعامل هدم لكيان الأسرة، نظراً لارتكازها على (فلسفة اللذة) وأصالة الحس. إن تحويل (اللذة) إلى غاية قصوى أدى بالضرورة إلى استصغار مؤسسة الزواج وتهميش الالتزامات الأسرية، مما خلق حالة من التسيب القيمي التي تهدد ببيان المجتمع.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلبي، بتاريخ: ٢٢/٥/٢٠١١م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلبي، بتاريخ: ١٩/٤/٢٠١٤م.

يحذر سماحته ﷺ من هذا الانحراف الثقافي المستورد: «أولئك الذين يطرحون «الأسرة» كمؤسسة لا قيمة لها، ويروجون أن الزواج بلا معنى - هؤلاء موجودون في مجتمعنا ويقومون بهذه الأعمال - أولئك الذين يعدّون «اللذة» هدفاً مطلوباً وقيمة، اللذة و«أصالة اللذة» هي تلك الهوية المستوردة من الثقافة الغربيّة، حيث إنّ كلّ ما يؤدّي إلى اللذة هو أمرٌ جيّد، واحدٌ يلتذّ بالإدمان، وآخر بالشهوات الجنسيّة، وثالثٌ يحقق لذّته بضرب الآخرين، كلّ ما يؤدّي إلى اللذة يعدّونه أمراً مباحاً! لا يمكن التساهل واللامبالاة تجاه الأشخاص الذين يروجون لهذه الأفكار»^(١).

قيمة الحرّية لا تتعارض مع قيمة تشكّل الأسرة

إنّ مفهوم (الحرية) في الإسلام لا يعني التحلل من العهد الأسري أو التنكر للفطرة، بل هو الفضاء الذي يسمح بنمو كمالات الإنسان. فإنّ محاولات الربط بين (تحرر المرأة) وبين تفكيك الالتزامات العائلية - كما يروج له في الغرب - هو تشويهٌ لحقيقة الحرية؛ فالحرية الحقيقية للمرأة تتكامل مع تشكيل الأسرة ولا تتناقض معه.

يشخص سماحته ﷺ هذا الخلل في الفهم الغربي للحرية: «من المؤسف أن أكثر ما يفهم من الحرّية في العالم الغربي هو معناها المغلوطة والضار، أي التحرّر من القيود العائليّة، ومن الهيمنة المطلقة للزوج،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢١/٣/٢٠١٤م.

والتحرُّر حتَّى من التزامات الزواج وتشكيل الأسرة وتربية الأولاد في الموارد التي تحصل فيها حالات الشهوة العابرة، وليس هذا معناها السليم، ولهذا يلاحظ أنَّ من جملة ما يثار في العالم الغربي، مسألة الإجهاض، وهي مسألة خطيرة، رغم ما تتسم به ظاهرياً من بساطة أو عدم أهميَّة، هذه هي الشعارات والمطالب التي غالباً ما تُثار في الغرب»^(١).

السكينة الغاية السامية والمقصد الوجودي للأسرة

يمثل نمو الطاقات الروحية وتكامل القوى الإيمانية أحد المرتكزات الجوهرية التي أولاها الإسلام عناية فائقة. وفي الرؤية الكونية الإسلامية، تُعد الأسرة المحضن الطبيعي الذي يحقق هذا التكامل؛ فهي ليست مجرد مؤسسة اجتماعية لتلبية الاحتياجات المادية، بل هي فضاءٌ معنوي يستهدف بلوغ (السكينة) التي تمنح الإنسان الاستقرار والوقاية من اضطرابات الحياة.

يوضح سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره هذا العمق القرآني في تفسير آية السكن قائلاً: «انظروا إلى هذه الآية الشريفة وما فيها عن المرأة والرجل، في أجواء الأسرة على وجه الخصوص، تقول الآية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(٢)، أي جعل

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩ جمادى الثانية ١٤١٨ هـ.ق.

(٢) سورة الروم، الآية ٢١.



لكم أيّها الرجال نساءً، وجعل لکنّ أيّتها النسوة رجالاً، ﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، أي ليس من جنس آخر، ولا من مرتبتين متفاوتتين، بل من حقيقة واحدة، ومن جوهر واحد، ومن ذات واحدة، ومن الطبيعيّ أنّهما يختلفان في بعض الخصائص، بسبب تفاوت وظائفهما.

ثمّ يقول تعالى: ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ أي جعلت الزوجيّة في الطبيعة البشريّة لهدف أكبر، وذلك هو الاستقرار والسكينة إلى جانب الزوج، ذكراً كان أو أنثى، فالرجل حينما يأوي إلى داره، يجد جواً آمناً وزوجة عطوفاً وأمينة إلى جانبه، وكذا يمثّل الرجل للمرأة ملاذاً تعشقه، فتركن إليه وتحتمي به، لأنّه أقوى منها بدنياً، والأسرة تضمّن هذه الأجواء لكلّ الجنسين، الرجل يحتاج إلى المرأة ضمن إطار الأسرة من أجل توفير السكينة والاستقرار لنفسه، والمرأة بحاجة إلى الرجل ضمن إطار الأسرة من أجل الحصول على الاستقرار والأمن، وكلاهما بحاجة إلى بعضهما من أجل تحقيق السكينة والاستقرار.

إنّ أهمّ ما يحتاج إليه الإنسان في حياته هو الاستقرار، وسعادته تكمن في أن يكون بمأمن من الاضطراب والقلق، وهذه الأجواء الأمنيّة تتوفّر له في ظلّ محيط الأسرة، رجلاً كان أو امرأة، المقطع الآخر من الآية له معنى جميل أيضاً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، وهذه المودة لا يكتمل معناها بدون المحبة، ولا الرحمة تصدق في ما إذا رافقها العنف»^(١).

إنَّ بلوغ هذه المرتبة من السكينة يستلزم بالضرورة قيام العلاقة الأسرية على ركيزتي (المودة) و(الرحمة) فالمحبة العميقة والتعامل الرقيق هما الضمان الوحيد لتلاشي القلق وصناعة بيئة أسرية صلبة ومستقرة، تكون منطلقاً لبناء مجتمع آمنٍ ومطمئن.

السياسات العامة للأسرة: ميثاق البناء والتحصين الحضاري

تتويجاً للرؤية الفكرية التي تنظر إلى الأسرة بوصفها النواة الأولى للاقتدار الوطني، وفي خطوة استراتيجية تهدف إلى تحويل القيم الإسلامية إلى واقع مؤسساتي ملموس، أبلغ سماحة السيد القائد الخامنئي قدس سره في الثالث من أيلول عام ٢٠١٦م، وثيقة (السياسات العامة للأسرة).

جاء هذا الإبلاغ استناداً إلى البند الأول من المادة ١١٠ من الدستور، وبعد مشاورات معمقة مع مجمع تشخيص مصلحة النظام، ليكون بمثابة خريطة طريق للسلطات الثلاث وللمجتمع ككل. وتعد هذه الوثيقة الأسرة (الوحدة البنيوية والحجر الأساس للمجتمع الإسلامي)، والمركز الحيوي لرشد الإنسان وتساميه المعنوي.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٩ جمادى الثانية ١٤١٨ هـ.ق.

السياسات العامة للأسرة

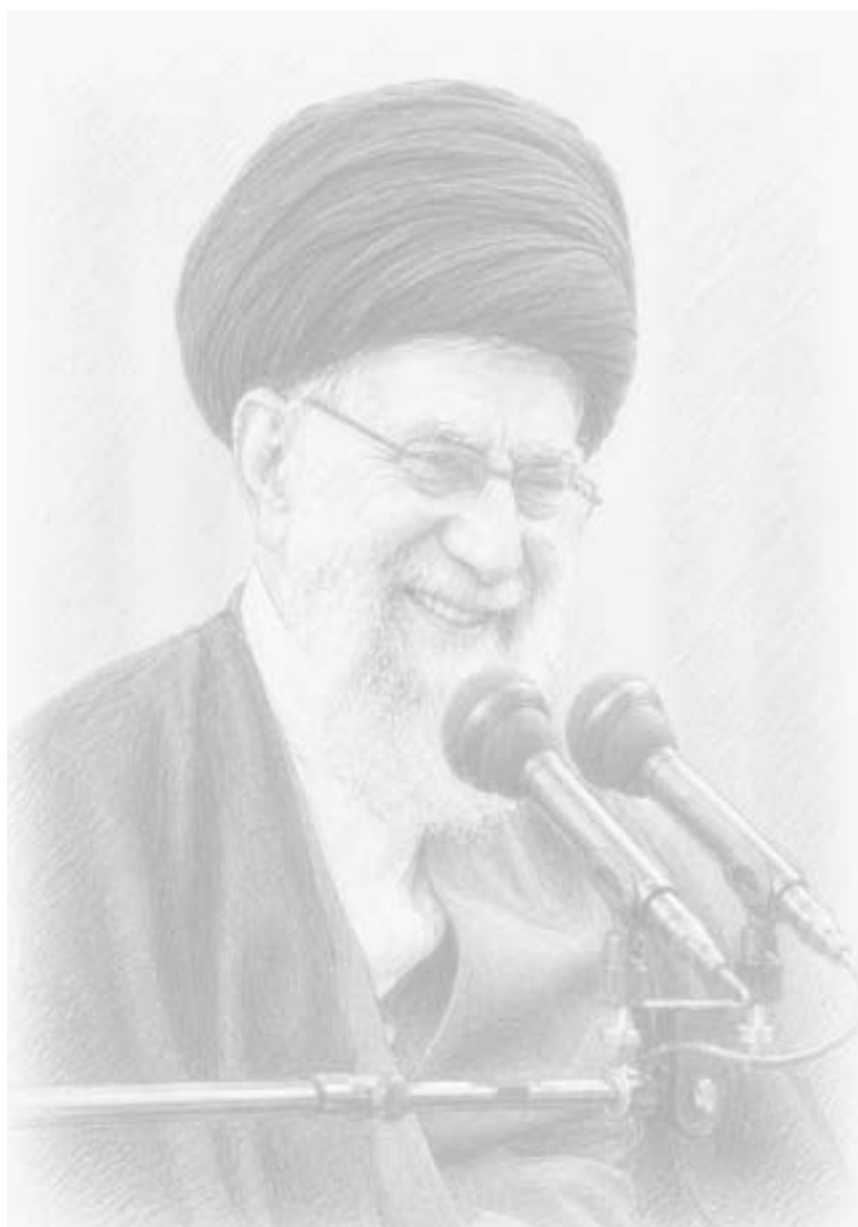
تتجه حركة النظام ومسيرته بموجب هذه السياسات نحو الأهداف الآتية:

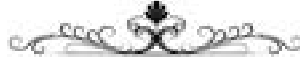
- إيجاد مجتمع بمحورية الأسرة: تقوية وظائف الأسرة وتمتينها وفق النموذج الإسلامي، بوصفها مركزاً للتربية الإسلامية ومكاناً للهدوء والسكينة.
- الأسرة كمعيار في التشريع: وضع الأسرة محوراً في سنّ القوانين والبرامج والسياسات التنفيذية، وخاصةً في أنظمة السكن والتخطيط العمراني والتعليم.
- تكامل الأدوار بين الأسرة والمسجد: صيانة الهوية الإسلامية والوطنية عبر تفعيل العلاقة العملية بين الأسرة والمسجد.
- النهضة الوطنية لتيسير الزواج: ترويج الزواج الناجح والبسيط، ورفض العزوبية عبر قوانين مشجعة وبناء ثقافة تؤصل لتشكيل الأسرة على أساس السنن الإلهية.
- تمكين الرصيد الاجتماعي للأسرة: ترسيخ قيم الرضا، والإنصاف، والموودة والرحمة، عبر:
 - التوظيف المتكامل للطاقات التعليمية والإعلامية لتمتين العلاقات العائلية.
 - المواجهة المؤثرة لحرب الأعداء الناعمة الهادفة إلى تفكيك الأسرة.

- منع نشر البرامج المخلّة بالقيم الأسرية وتوفير فرص الاجتماع العائلي المفيد.
- ترويج نمط الحياة الإسلامي الإيراني: من خلال مكافحة النزعة الأرستقراطية والكماليّات، وإصلاح سلوك الجهات المرجعية (القدوات)، والحيولة دون بروز نماذج فاسدة.
- إعادة النظر في النظام الحقوقي والقضائي: تكميل القوانين بما يتناسب مع الحاجات الجديدة، وتفعيل التحكيم لتسوية النزاعات العائلية في مراحلها الأولى.
- رعاية العلاقات الإسلامية: تهيئة أجواء سليمة للعلاقات بين المرأة والرجل في المجتمع.
- رفع المستوى المعيشي: تعزيز القدرات الاقتصادية للأسر للتخفيف من هواجس العمل والزواج والسكن.
- تفعيل النظام الإرشادي: توفير إرشاد تعليمي واستشاري ميسر قبل تأسيس الأسرة وأثناءها وبعدها، استناداً إلى المباني الإسلامية.
- المشاركة الوطنية: تشجيع الأسر على المساهمة في أهداف البلاد الثقافية والاقتصادية والسياسية والدفاعية.
- صيانة كرامة الأدوار الأسرية: الدفاع عن دور الأم وربّة المنزل، والدور الأبوي والاقتصادي للرجل، وتعزيز المسؤولية التربوية المشتركة.



- الوقاية من الآفات الاجتماعية: مكافحة عوامل تزلزل الأسرة، وخاصة الطلاق، عبر البحث في أسبابه والتثقيف على كراهته شرعياً واجتماعياً.
- دعم الأسر التي تعيلها النساء: توفير الرعاية الحقوقية والاقتصادية لهنّ وتشجيعهنّ على الزواج وتسهيله.
- تكريم كبار السن: إيجاد آليات لتعزيز العناية الصحية والروحية والعاطفية بالمسنين داخل محيط الأسرة.
- الارتقاء الصحي وزيادة الإنجاب: دعم صحة الحمل وزيادة النسل لضمان تمتع البلاد بمجتمع شاب، حيوي، ونشط.





الشباب الأمَل والمستقبل

أهمية الشباب في الميزان الحضاري

يُمثِّل الشباب العنصر الحيوي والمحرك الأساسي في كافَّة المجتمعات الإنسانيَّة، فبهم تُقاس حيوية الأمة وقدرتها على التجدد، وبدونهم يغرق المجتمع في ركود الكسل والتبعية. إنَّ الطبيعة الشبابية المَجبولة على المبادرة والجرأة هي الضمانة الوحيدة لتجاوز المشكلات الهيكلية التي قد يعاني منها المجتمع نتيجة الإحباط أو الافتقار إلى الإصرار.

يُرْصَل سماحة السيد الشهيد الخامنئي عليه السلام لهذه الحقيقة قائلاً: «إنَّ طبيعة الشباب مفعمةٌ بالأمَل والمبادرة والجرأة والمخاطرة والإصرار... هذه العناصر ذات قيمة لإدارة المجتمع، بعض مشكلاتنا ناتج من غياب المخاطرة، أو من الكلل، أو الافتقار إلى المبادرة، أو فقدان الجرأة، أو من الإحباط... هذه [الخصال] ليست موجودة عند الشباب»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٧/٠٥/٢٠٢٠ م.

ومن منطلق آخر يبرز الشباب بوصفهم (مستودع الأمل) لكل شعب يطمح للرفعة، فرغم أن التكليف يشمل جميع الشرائح العمرية، إلا أن الطاقة المحركة والدافعة تبقى رهينة هذا القطاع الحيوي.

يقول سماحته عليه السلام: «الأمل معقودٌ على الشباب، لا أن غير الشباب لا واجب عليهم في هذا الدرب، بلى، غير الشباب أيضاً تقع على عاتقهم واجبات، والشيوخ أيضاً لديهم واجباتهم، لقد لاحظتم أن إمامنا الخميني الجليل تحرّك في كهولته وشيخوخته، كالشباب، وتكلّم كما يتكلّم الشباب، وفكّر مثل الشباب، لكن «الدينامو» المحرّك في كل مجتمع، هو الشباب»^(١).

وهذا الأمل ليس مجرد شعار، بل هو مرتكزٌ على طاقات موهوبة وكفاءات تكتسب قوتها من جذور إيمانية عميقة: «إنّ الطاقة الأهمّ والباعثة على الأمل هي الطاقات الإنسانية الموهوبة والكفوءة، التي تتحلّى ببنية تحيّة إيمانية ودينيّة عميقة وأصيلة»^(٢).

محاوّر بناء الشخصية والتوصيات السلوكية

انطلاقاً من هذا الدور المحوري، حدد سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام ملامح الشخصية الإنسانية والإسلامية للشباب عبر جملة من التوصيات التكاملية:



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٣/١٠/٢٠١٩ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١١/٠٢/٢٠١٩ م.

١. نواحي بناء شخصية الشباب

إنَّ بناءَ شخصيَّةِ الشباب يجب أن تتكامل من نواحٍ ثلاثٍ أكَّدَ عليها سماحته، وهذه النواحي، هي:

- الناحية الروحية.
- والناحية الجسمانية.
- والناحية العلمية.
- والناحية الإدارية والعملية.

قال سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره: «وليعدّوا أنفسهم من الناحية الروحية، ومن الناحية الجسمانية، ومن الناحية العلمية، ومن حيث القدرات الإدارية»^(١).

٢. بناء الذات (تكامل الأبعاد الفرديّة والجماعيّة)

يمثل بناء الذات الحصن الحصين للشباب في مواجهة منزلقات الحياة الاجتماعية والسياسية.

فالأنس بالقرآن والارتباط الوثيق بالخالق عبر الصلاة والدعاء هو ما يمنح النفس القوة لمواجهة الخوف والتردد والدوافع غير السليمة.

يوضح سماحته قدس سره هذا المسار التربوي بقوله: «بناء الذات مهمٌّ للغاية، سواء في الأبعاد الفرديّة أو الجماعيّة، فيجب عليكم بناء أنفسكم بصفّتكم أفراداً، وكذلك بناء أنفسكم بوصفكم جماعة، فالأنس بالقرآن، والعلاقة بالقرآن، والصلاة بحضور قلب، والصلاة في أوّل

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٢/١٨ م.

الوقت، والاهتمام بالأدعية هي أمور أعتقد أنَّها ضرورية لبناء الذات.

هذا سيساعدكم على عبور المنزلقات بسهولة وسلامة، فهناك منزلقات، فالخوف منزلق، والتردد منزلق، والشعور بالضعف منزلق، والدوافع غير السليمة منزلق... يوجد العديد من المنزلقات في طريقنا، خاصة للناشطين في القضايا الاجتماعية.

لذلك هؤلاء يحتاجون إلى المزيد من بناء الذات وإلى تقوية بنيتهم الروحية والمعنوية، باعتقادي عندما تكون بنيتكم الروحية والمعنوية قوية، ستجدون المزيد من القدرات، سواء في مجال الفكر، أو اتخاذ القرارات، أو العمل، ونحن بحاجة إلى ذلك في جيل الشباب»^(١).

٣. تقوية الأسس المعرفية وتجنب الانفعال والانحراف

إنَّ تحصين البيئات الشبابية -ولا سيما الجامعية منها- يتطلب تشخيصاً دقيقاً للأزمات التي قد تعصف بوعي الشاب. وفي الرؤية القيادية لسماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام، يظهر خطران جوهران يهددان جيل الشباب: (الارتباك) الذي يولد الشعور بالعجز واليأس، و"الانحراف الفكري" الذي يزيغ بالبوصلة عن ثوابتها.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٧/٠٥/٢٠٢٠ م.

ويرى سماحته أنَّ الركيزة المعرفية الصلبة هي الضمانة الوحيدة للثبات في وجه هذه العواصف، مستشهداً بتجارب تاريخية من عمر الثورة.

يقول سماحته ﷺ في تشخيص هذا الواقع: «إنَّ البيئات الشبابية مثل الجامعات أصيبت بأضرار منذ القدم، ومن جملة تلك الأضرار المتركَزة على البيئات الشبابية ضرران رئيسان: أحدهما الارتباك والآخر الانحراف، الارتباك يعني الشعور بأنك مكْتَف الأيدي، عديم الفائدة، واليأس أمام الأحداث الصعبة، والذي كان من الممكن التغلُّب عليه عندما يتم رفع مستوى المعنويات، لن يكون هناك ارتباك على الإطلاق، والانحراف -الانحراف الفكري، الانحراف في الأسس المعرفية - تجري معالجته عبر هذه التوصية.

انظروا، لدينا شباب في الأيام الأولى للثورة، كانوا أناساً مسلمين، ودخلوا إلى الميدان من أجل الإسلام، ولكن لأنَّ أسسهم المعرفية كانت ضعيفة، فقد انجذبوا إلى مجموعات لقيطة، وتحولوا من شباب مؤمنين سليمين وإسلاميين، ليصيروا من أولئك الذين حملوا السلاح ضدَّ إخوانهم من المواطنين، واستهدفوا بهجماتهم الشابَّ، والرجل العجوز، والتاجر في السوق، وارتكبوا تلك الفجائع، وتلك الجرائم، بسبب ضعف الأسس المعرفية، انجذبوا نحو هذه الجماعات المنحرفة، وانجروا إلى هذه الطرق، وفي نهاية المطاف انطوا تحت لواء صدام، منشأ هذا كلّه، كان غياب الأساس الفكري، كان هناك أشخاص آخرون في ذلك الوقت -كنا

نعرف أناساً، كنت أعرف الكثير من هؤلاء الناس قبل الثورة في التنظيمات الجماعية نفسها وما شابه ذلك - وقفوا بحزم، لأنَّ أسسهم الفكرية كانت صحيحة، فقد ارتبطوا بكتب الشهيد مطهري، وكانوا على دراية بأفكار العلامة الطباطبائي، وكلام الشهيد الصدر، وكانت أسسهم الفكرية والمعرفية قوية، فوقفوا بحزم، بينما كان لدى بعضهم أسس معرفية ضعيفة فانجرفوا، مع الأسف»^(١).

٤. الاستمرار في طلب القيم المثالية، والمساءلة

إنَّ الحفاظ على (القيم المثالية) في النفوس هو المحرك الحقيقي لأي نهضة حضارية.

فالمطالبة بالقيم الكبرى - كالعدالة، والاستقلال، ومكافحة الفساد - تمنع المجتمع من التيه أو الانحراف يميناً وشمالاً، حتى وإن اصطدمت هذه المطالب ببعض العقبات الميدانية أو الواقعية.

إنَّ (القيم المثالية) هي البوصلة التي تحدد المسار نحو الغاية النهائية المتمثلة في بناء الحضارة الإسلامية.

يؤكد سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره على أهمية التمسك بهذا اللواء قائلاً: «لا تتركوا لواء السعي للقيم المثالية والمساءلة، فهذا شيء قيم للغاية، بعض الأشياء التي تطالبون بها قد لا تكون عملائية وهذا واقع القضية، أي عندما يبدأ الشخص في العمل، تصير



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧/٠٥/٢٠٢٠م.

مشكلات العمل الميداني أكثر وضوحاً بالنسبة إليه، ويصير من الواضح أن كل ما أردناه، إما لا يمكن القيام به، وإما لا يمكن القيام به في أمد قريب، لكن طلب القيم والغايات المثالية هذا في حد ذاته قيم للغاية، لأنه إن لم يكن هناك طلب للقيم والغايات المثالية، فسوف نضيّع الطريق، فطلب القيم والغايات المثالية يجعلنا لا نضيّع الطريق، ولا نعطف يساراً ويميناً في منتصف الطريق، وألاً نسير يساراً ويميناً، تمسكوا بطلب القيم والغايات المثالية هذا.

هذه القيم المثالية: العدالة، الاستقلال، القضاء على الفساد، والحضارة الإسلامية في نهاية المطاف... الهدف الرئيس والحقيقي والنهائي منها هو بناء حضارة إسلامية، لا تضيعوها وطالبوا بها، وطالبوا بالتفكير فيها^(١).

وفي موازاة هذا السعي نحو المثل، يبرز (الأمل) كوقود لهذه الحركة الجهادية، فمعركة الشباب الأولى هي هزيمة اليأس والخوف في النفس قبل الميدان: «أيها الشباب، نموا في نفوسكم وفي نفوس الآخرين، غرسات الأمل بالمستقبل وانبذوا من نفوسكم ونفوس الآخرين الخوف واليأس، هذا جهادكم الأول والأهم»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٥/١٧ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٢/١١ م.

٥. الانتقاد إلى جانب الاقتراح، واجتناب التهكم

يرى سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره أنَّ المسألة الفاعلة لا تقف عند حدود الاعتراض المحض، بل تتجاوزه إلى تقديم البدائل الممكنة.

فالنقد الذي يخلو من التصورات يظل فعلاً ناقصاً لا يُنتج أثراً ثابتاً في مسار الإصلاح، إنَّ هذا المنهج يجد تأصيله في الركن الإسلامي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، حيث يمثل النهي (الاعتراض)، ويمثل الأمر (الاقتراح وتقديم الحل).

يؤكد سماحته قدس سره على هذا البعد الأخلاقي والعملي قائلاً: «إنَّ المسألة ليست مجرد الانتقاد، وليست مجرد الاعتراض، على الرغم من وجود اعتراض فيها، بل هي الانتقاد إلى جانب الاقتراح، ثمّة مجموعة الشباب الذين يسمعون هذا الحديث، وينشطون في هذه المجالات يجب أن يتبهاوا إلى [حقيقة] أننا ننتقد فقط، ونعترض فقط، فإنَّ هذا لن يجدي نفعاً، وعلى هذا النحو، لن تكون [الاعتراضات] مجدّية على الإطلاق، ولن يكون لها أثر ثابت.

حسنًا قد توجد بعض الفوائد الصغيرة في البداية، لكن ما هو مفيد هو الاقتراح، انظروا في الإسلام أيضاً، إنَّ النهي عن المنكر مصحوب بالأمر بالمعروف، النهي عن المنكر هو ذلك الاعتراض نفسه، والأمر بالمعروف يعني الاقتراح، وتقديم الحل، وعرض العمل الذي يجب فعله، ويمكن تطبيقه، هذان الأمران يأتيان معاً.



بناءً على ذلك، قوموا بالمساءلة مصحوبةً بتقديم الحلّ حتمًا، واعرضوا حلولًا جيّدة ومقبولة، وللتذكير أيضًا لا تصحبوا المساءلة بالتهكّم والشتائم، هذا رجائي لكم^(١).

٦. الاستفادة من أصحاب التجربة

إنّ الرهان على جيل الشباب لا يعني بحال من الأحوال الاستغناء عن الرصيد التراكمي لخبرات الأجيال السابقة، فالنهضة الشاملة تتطلب (تركيبة مطلوبة) تمزج بين اندفاع الشباب وحيويته، وبين حكمة المتمرّسين وعلم الخبراء.

إنّ الشباب هم الرواد المحرّكون للمجتمع، لكنّ مسارهم يكتسب الرصانة من خلال التكامل مع أصحاب التجربة في مختلف قطاعات الدولة.

يقول سماحته عليه السلام مبيّنًا هذا التوازن: «أنا أعتمد دومًا على الشباب، لكنّ هذا لا يعني أن يغضّ المرء الطرف عن الأفراد أصحاب التجربة والخبرة والعلم والمتمرّسين، الشباب في الواقع هم الرواد الأساسيون، والمندفعون والمحرّكون إلى الأمام.

وبالتالي فوجودهم ضروريّ، سواء في الأجهزة الحكوميّة أو في الأجهزة التشريعيّة، أو في القطاعات المختلفة الأخرى، هذه النزعة الشبابيّة التي تحدّثنا عنها ضرورة أكيدة للبلد، لكنّها لا تعني

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٧/٠٥/٢٠٢٠م.

استبعاد الأشخاص أصحاب التجربة والمتمرسين والخبراء، كلاً،
التركيب بين هاتين الفئتين تركيبة مطلوبة»^(١).

٧. السيطرة على المشاعر

تُعد العاطفة الجياشة سمةً فطرية في مرحلة الشباب، وهي وقودٌ
ضروري للعمل، بيد أن سماحة السيد الشهيد قُلَيْبِي يشدد على ضرورة
إخضاع هذه المشاعر لسلطة العقل والمنظومة القيمية الإسلامية.
إن سيادة المشاعر غير المنضبطة قد تؤدي إلى نتائج غير محسوبة، لذا
تبرز الحاجة إلى فن (السيطرة) الذي يضمن بروز العاطفة بالمقدار الذي
يخدم الهدف ولا يطغى عليه.

يشير سماحته قُلَيْبِي إلى هذا الضابط بقوله: «التفطن إلى أننا نعتمد على
الشباب، ونثق بهم، لكن لا ينبغي لمشاعر الشباب أن تسود
المجتمع بصورة مطلقة، وبنحو غير مسيطر عليه.
فالمشاعر يجب السيطرة عليها، يمكن التصرف بطريقتين: الأولى،
التعامل مع العواطف والمشاعر من دون سيطرة، والثانية، التعامل
مع المشاعر بحيث تبرز بالمقدار اللازم، وهذه ليست بالعملية
السهلة»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٢/١٨ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٣/١٤ م.

٨ أهمية صناعة الخطاب

ينظر سماحة السيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي إلى القول الشبابي بوصفه أداة لبناء (ذهنية اجتماعية) جديدة. إنَّ الحركات الطلابية والشبابية مدعوة لخوض غمار (صناعة الخطاب) عبر تقديم حلول مدروسة لقضايا النظام والمجتمع، فصناعة الحوار الواعي تجذب الرأي العام وتمنح الحراك الشبابي قيمة مضافة وقبولاً شعبياً واسعاً.

يقول سماحته قُلَيْبِي في هذا الصدد: «إنَّ مجرد أن يقول الشباب شيئاً، ويُبَثَّ، وتسمعه مجموعة من الشباب وغير الشباب، هذا يبني ذهنية جديدة تدريجياً.

هذه الذهنيات هي صناعة الخطاب تلك.

وهذا يصنع ما يسمَّى التوجيه الفكريَّ المحدّد في المجتمع، وهو أمر ذو قيمة، رجائي لكم هو أن تهتمَّ الحركات الطالبية بصناعة الحوار، استخرجوا قضايا النظام، فكّروا فيها، قدّموا حلولاً مدروسة وقويّة، واطرحوا هذه القضايا.

ثمَّ إنّه يجب أن تؤخذ آراء الشباب وما يقدّمونه بعين الاعتبار، وأن يُعنى بها، وأن يصنع الخطاب في المجتمع، بمجرد صنع الخطاب، سيحدث إقبالٌ لدى العموم نحو المجموعات الشابّة»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠٢٠ م.

٩. الانتباه والحذر من تجنيد العدو لكم

في ظل الصراع القائم يمثل الشباب الهدف الأول لمخططات العدو التي تسعى لإركاع الأمة عبر تدمير مستقبل جيلها الصاعد. يحذر سماحته ﷺ من استراتيجيات العدو الرامية لاحتواء الكفاءات واختراق الأذهان لتغيير القناعات، فالفكر هو الساحة الأولى للاستهداف، وتغييره يؤدي حتماً إلى تغيير الأفعال والولاءات.

ينبه سماحته ﷺ بلهجة تحذيرية: «إِنَّ الشَّابَّ أَنْفُسَهُمْ، وَالَّذِينَ يَتَعَاطُونَ مَعَ قَضَايَا الشَّابِّ، يَجِبُ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّهُ تَمَامًا كَمَا نَهْتُمْ بِقَضِيَّةِ الشَّابِّ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلِ الْبَلَدِ وَتَقَدُّمِ الْبَلَدِ، إِنَّ عَدُوَّنَا أَيْضًا يُولِي أَهَمِّيَّةً لِقَضِيَّةِ الشَّابِّ مِنْ أَجْلِ تَدْمِيرِ الْبِلَادِ وَإِرْكَاعِ الثَّوْرَةِ، وَهُوَ يَعْرِفُ دَوْرَ الشَّابِّ.

يجب على الجميع الانتباه إلى أنَّ الأعداء يعملون أيضًا على شبابنا، ويسعون أيضًا إلى الاستغلال السيئ لشبابنا، وهم جميعًا يتابعون هذا ويخططون له أيضًا، في بعض الحالات، قد يحتاجون إلى عناصر داخل البلد، فيعملون على الشباب داخل البلد، وفي بعض الحالات، يحتاجون إلى عناصر دعائية ومحلل سياسي، وعنصر سياسي وما شابه، فيعملون عليه وفي بعض الحالات، يحتاجون مثلًا إلى إجبار شاب على أن يدير ظهره إلى وطنه وأن يغادر ولقد رأيت ذلك يحدث، فيجبرون الفنَّان والرياضي وطالب الحوزة الذي لم يكمل علمه والطالب الجامعي... يجبرونه بطريقة



ما وبضجة [إعلامية] على مغادرة البلاد، مثل هذه الأشياء يفعلها العدو الآن مع الشباب.

يجب على الجميع الانتباه إلى ذلك، والحذر من المساعدة في تجنيد العدو مجتمع الشباب.

الهدف الأول الذي يستهدفه العدو، هو فكركم وذهنكم وما يسود تفكيركم، هذا هو الهدف الأول، يحاول الأعداء بشتى صنوف الحيل والألاعيب، تغيير هذه الأفكار، وحين تتغير الأفكار، فسوف تتغير الأعمال بشكل طبيعي، لا تسمحوا بتغيير الأفكار، ولا تسمحوا بأن يضعفوا الدوافع والمحفزات، ولا تسمحوا للعدو أن يقضي على القوة الداخلية لإيمانكم، وهممكم العالية، قفوا بقوة وثبات، وتوكلوا على الله، وسيكون الله تعالى معكم، إن شاء الله»^(١).

١٠. العمل بإخلاص

إنَّ القيمة الجوهرية التي تمنح أي حراكٍ إنساني ديمومته وشرعيته هي (الإخلاص) ففي غياب النية الصادقة، تتحول الأعمال إلى هياكل مفرغة من المعنى مهما بلغت من الإتقان المادي.

وفي المنظومة الفكرية لسماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره، يتصدر الإخلاص كشرطٍ أساسي لتحقيق التقدم الحقيقي، إنَّ التجربة الملحمية الكبرى في مرحلة (الدفاع المقدس) لم تنتصر بالعتاد وحده، بل بنقاء

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٥/١٧ م.

القلوب وتفاني النفوس التي تجردت من علائق الدنيا، وهو النموذج الذي ينبغي أن يقتدي به جيل الشباب في كافة ميادين البناء المعاصر. يقول سماحة السيد علي الخامنئي قده: «نريد لشبابنا أن يعملوا بإخلاص مثل مرحلة «الدفاع المقدس» حين كانوا كذلك بالفعل، وأولئك الذين شاركوا في تلك المرحلة وضحوّوا وعملوا بكلّ إخلاص وتفان، واستطاعوا بفضل ذلك أن يتقدّموا، ثمّ تابعوا من بعدها على النهج نفسه في مختلف الساحات، إنّ الرّكض خلف النجاحات الدنيويّة يعرقل العمل، وإنّ وجود أشخاص ينجزون أعمالهم لأهداف دنيويّة، وللوصول إلى المال والجاه والمقام وأمثال ذلك، من شأنه أن يعوق التقدّم، فالعمل يتقدّم بالمجاهدة والإخلاص»^(١).

إنّ التحذير من الانزلاق نحو المكاسب الدنيوية الزائلة -من مال أو جاه- يمثل تشخيصاً دقيقاً لمعوقات النهضة الحضارية، فالعقبات الحقيقية أمام رقي الأمم ليست مادية دائماً، بل قد تكمن في اهتزاز الدوافع المعنوية. لذا يبقى (الإخلاص والمجاهدة) هما الركيزتان اللتان يرتفع بهما بنيان المجتمع الإسلامي وتتحقق بهما العزة والسيادة.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قده، بتاريخ: ١٢/١٠/٢٠٢٠م.

توصيات للمسؤولين والقيادات تجاه جيل الشباب

لم تقتصر رؤية سماحة السيد الشهيد الخامنئي عليه السلام على توجيه الخطاب للشباب أنفسهم، بل أفرد مساحةً واسعة لمخاطبة المسؤولين وصنّاع القرار، راسماً لهم معالم السياسة الحكيمة في احتواء هذه الفئة واستثمار طاقاتها، وذلك ضمن المحاور الآتية:

١. التوجّه نحو الشباب واستثمار نقاء الفطرة

يرى سماحته أنّ المدخل الحقيقي للتعامل مع الشباب هو (الاستقطاب الروحي)، فبسبب طهارة فطرتهم ونقاء سرائرهم، يمتلك الشباب استعداداً فطرياً عالياً لقبول الحقائق المعنوية والتحول نحو السمو الروحي بشكل أسرع من غيرهم. يقع على عاتق المسؤولين مزج خطابهم وأعمالهم بروح المعنوية والعرفان الصادق.

يؤكد سماحته عليه السلام على هذا السر الإلهي قائلاً: «إنّ طريق استقطاب الشباب هو جذب قلوبهم، قلوب الشباب عجيبة، وأوضاعهم مدهشة جداً، إنّ توجّه الشباب وانجذابهم نحو المعنويّات هو من الأسرار الإلهيّة الكبرى، إذا ذكر كلام روحيّ معنويّ لأمثالي أنا العبد، أستمع له، وفي أحسن الأحوال أتأثّر قليلاً، لكنّ الكلام نفسه إذا قيل لشابّ، فإنّ ذلك الشابّ سينقلب ويتحوّل من حال إلى

حال، قلب الشاب متقبّل للحقيقة، قلب الشاب قريب إلى الفطرة الإلهية، ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَهِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١).

قلب الشاب يأنس بالنصائح والأمور المعنوية والسلوكية والعرفانية، يستأنس بسرعة، يعشق ويتعلّق بسرعة، هذا ما يجذب الشباب.

امزجوا كلامكم وأعمالكم بالمعنويات والعرفان الحقيقي، وليس بأنواع العرفان الخيالية والوهمية والشكلية، سترون كيف ينجذب الشباب ويأتون بهذه المسائل»^(٢).

٢. الاهتمام بالنخب الشابة كفعل سيادي

تعدُّ رعاية النخب الموهوبة من الشباب فريضةً وطنية وشرعية لا تقبل التأجيل، فالهدف من وراء ذلك يتجاوز الدعم الفردي ليصل إلى غاية كبرى، وهي تحويل البلاد إلى نموذج متقدم وشریف، يمتلك صوته المستقل وأفكاره الرائدة في مواجهة القوى الدولية التي تتسم باللؤم والخباثة.

يقول سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره في هذا الصدد: «على جميع المسؤولين الاهتمام بالنخب كفريضة وكواجب لا يمكن اجتنابه.



(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٨/٢١ م.

يوجد هنا هدف كبير وهذا الهدف يستدعي أن تكون النظرة إلى النخب نظرة جديّة وعملية، ونظرة رحمة وحنان ومتابعة دؤوبة. ما هو ذلك الهدف؟ إنه عبارة عن تبديل إيران إلى بلد متقدم وشريف - شريف في مقابل [بلد] لئيم وخبيث، وهي صفات بعض الدول والقوى حالياً، وإلى بلد يحمل الأفكار الجديدة في القضايا الإنسانية والمسائل العالمية»^(١).

٣. التحوّل في الرؤية الإدارية والثقة بالشباب

يدعو سماحته عليه السلام المسؤولين إلى الاقتداء بالنهج التحوّلي للإمام الخميني الجليل عليه السلام، الذي كسر القواعد التقليدية ووثق بقدرة الشباب على إدارة أخطر المفاصل السيادية في الدولة، كما حدث في تأسيس (حرس الثورة الإسلامية)، حيث تسلم شباب في مقتبل العمر قيادة الفرق والفيالق وحققوا نجاحات تاريخية.

يوضح سماحته هذا المنهج قائلاً: «كونوا كالإمام، لقد وثق الإمام بفكر الشباب وعمله، كان هذا تحوّلاً بكلّ ما للكلمة من معنى، خذوا على سبيل المثال، «حرس الثورة الإسلامية» الذي تمّ تشكيله: لقد تقبّل الإمام للشباب في سنّ العشرين ونيف أن يكونوا على رأس الحرس ومعظم هؤلاء كانوا من الشباب الذين تصل أعمارهم إلى

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٩/١٠/٢٠١٦م.

الثلاثين كحدٍّ أقصى مثلاً، كانوا بقيادة «حرس الثورة الإسلامية»، وقادة فرق وفيات.

هؤلاء جميعهم من الشباب الذين أوكلت إليهم مهمات كبرى وهكذا الحال في مجالات أخرى أيضاً، في المسائل القضائية، وفي مجالات أخرى أيضاً، كانت لدى الإمام ثقة عجيبة بالشباب الذين كانوا موضع رضاه واعتماده، كان يوكل الأعمال إلى الشباب وكان يثق بتفكير الشباب وعملهم»^(١).

٤. إفشال مخططات العدو في إضعاف معنويات الناس

يتعين في مقدمة المهام المنوطة بالمسؤولين إفشال محاولات العدو الرامية لزعزعة الروح المعنوية، وهي استراتيجية ثابتة انتهجها الاستكبار منذ انطلاق الثورة عبر توظيف أدواته الإعلامية (المرئية والمسموعة) لبث بذور الإحباط وتصوير المجتمع ككتلة تعيسة فاقدة للمستقبل.

إنَّ استهداف (الأمل) هو استهداف مباشر لمحرك الحركة عند الشباب، فمتى ما نال اليأس من قلب الشاب، توقفت عجلة العطاء والريادة في الأمة.

يؤصل سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره لهذه اليقظة المطلوبة قائلاً: «إنَّ سياسة إضعاف معنويات الناس والحركة والنشاط والأمل

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٦/٠٣ م.



لديهم، كانت موجودة منذ بداية الثورة، كانت هذه هي المنهجية الثابتة التي تبناها العدو، أن يحاول التأثير في الشعب بالتلفزيونات والإذاعات الموجهة التي يديرها، وبأن يفهمهم أنكم تعيشون، وأوضاعكم سيئة، وأموركم قد انتهت، ولن يستطيع أحد أن يمد يد العون إليكم، وغيرها من الترهات... لماذا يفعلون ذلك؟ كي يضعفوا معنويات الناس، ويسلبوا الأمل منهم، ولا سيما فئة الشباب، لأن الشاب عندما يكون مفعماً بالأمل، يصير تحركه استثنائياً، فالشباب هم السباقون والرواد دائماً، وإذا سلب الأمل منهم، يتوقفون عن الحركة»^(١).

٥. التربية الأخلاقية وصناعة "فتح الفتوح" الإنساني

إن الغاية القصوى والمسؤولية الأسمى للجهاز المسؤول هي رعاية البعد الأخلاقي والجمال المعنوي لجيل الشباب، بوصفهم الأرواح الطيبة والنفوس السليمة التي يعول عليها في استمرار النهج. إنَّ صقل هذه النفوس بقيم التقوى والإخلاص والوفاء، يمثل الحصانة الكفيلة بمنع انزلاق القيادات الشابة نحو فخاخ الدنيا من مالٍ وجاهٍ عند تسلمهم للمسؤولية.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٧/٣١ م.



يؤكد سماحته ﷺ على ضرورة هذا الصقل الروحي: «يجب علينا أن نصقل نفوس شبابنا الأعزّاء، هؤلاء الشّباب الموجودون هنا هم أبناؤنا الأعزّاء، هم الأرواح الطّيبة والنّفوس السّليمة في مجتمعنا. هؤلاء الشّباب هم الفئة الأفضل من شعبنا وفي مجتمعنا، لذا علينا قدر الإمكان أن نعمل على تهيئة الوسائل اللازمة لصقل نفوسهم، إنّ جمالهم المعنويّ يكون بتحليّهم بالتّقوى والإخلاص والشّجاعة والتّواضع والوفاء بالعهد، والعمل بالقول الذي قطعوه على أنفسهم تجاه النّظام والإسلام والثّورة، فهذه من أهمّ الخصال المعنويّة التي يجب أن يتحلّوا بها.

يجب عليهم جميعاً الاهتمام بهذه الجوانب، لئلاّ تغرّ الدّنيا شبابنا، وينشدّوا إلى جمع المال والجاه والمقام، إذا ما تسلّموا مسؤوليّة ما»^(١).

وفي ميزان المنجزات الثورية، يرى سماحة السيد الشهيد أنّ (فتح الفتوح) الحقيقي ليس منجزاً مادياً أو عسكرياً، بل هو قدرة الثورة على تربية هذا الجيل الصاعد وإعداد الغرسات المتوتبة التي تحمل فكر الإسلام وقيمه.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ١٢/١٠/٢٠٢٠م.

يقول سماحته قدس سره في تقييم هذا الإنجاز التربوي: «إنَّ فتح الفتوح الذي قامت به هذه الثورة هو تربية الشباب، وإعداد هذه الغرسات المتوثبة».

«هذا ما قاله الإمام الخميني ذات مرّة، وكان الحقّ معه، فقوله هذا صائب تماماً، هذه حكمة الإمام، فكلّ هذه الفتوح والأعمال والإنجازات المهمة صغيرة مقابل هذا الإنجاز، تربية أفراد مميزين، ولحسن الحظّ، لدينا اليوم الكثير من هؤلاء الأفراد»^(١).

٦. تقدير طاقات الشباب وتوظيفها الاستراتيجي

إنَّ مفتاح النجاح في إدارة المؤسسات الكبرى وتجاوز العقبات البيروقراطية يكمن في (الالتفات الواعي) نحو طاقات الشباب واستثمارها استثماراً حقيقياً.

فالشباب يمتلكون (أنامل فكرية) قادرة على فك العقد المستعصية التي قد يعجز عنها التفكير التقليدي، كما أن طموحاتهم العالية هي المحرك الذي يمنع الدولة من الركود أو التراجع أمام الضغوط الخارجية. إنَّ الثقة بالشباب ليست مجرد خيار، بل هي ضرورة لتحقيق التوفيق والتقدم.

يُرسل سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره لهذه الرؤية قائلاً: «ومن جملة هذه الإمكانيات والطاقات، هؤلاء الشباب الصالحون، ثمّة عقد

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/١/٢٠٢٠م.

تعرض أعمال بعض المسؤولين في بعض أقسام المؤسسات الحكومية والرسمية الكبيرة، يمكن لهؤلاء الشباب أن يحلّوها ويفكّوها، سواء بأنامل أفكارهم الشابة النيرة، أو بأنامل عملهم وجهودهم، فليعرفوا قدر الشباب، وليرجعوا إليهم، وليستفيدوا من آرائهم، وغالبًا ما كان التوفيق حليفنا في المواطن التي استفدنا فيها من آرائهم وانتفعنا بها، ليعرفوا قدر الشباب، وقدر طموحاتهم العالية، الشباب طموحون، لا إشكال في ذلك، هذه الطموحات هي التي تتقدّم بالشعب إلى الأمام، وتحوّل دون مراوحته مكانه وتوقّفه، ولا يهابون ضجيج الغربيين وضوضاءهم»^(١).

فإنّ بناء الذات وتطوير المهارات لدى الشباب هو استثمار في (مستقبل الوطن) الذي سيتسلمون مقاليدته، حيث يقول سماحته قدس سره: «لأنّ الغد لكم أنتم الشباب، وهذا البلد لكم، ليبنّ الشباب أنفسهم»^(٢).

دعائي للشباب

لا تنتهي علاقة القيادة بالشباب عند حدود التوصيات والسياسات العامة، بل تمتد إلى عمق الرابطة الروحية والوجدانية.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٠/١/٢٠١٩ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٨/٢/٢٠١٩ م.

ففي الوقت الذي يخطط فيه سماحة السيد قدس سره لمستقبل الشباب المهني والسياسي، فإنه يحمل همومهم الشخصية في خلواته العبادية، معتبراً إياهم بمثابة أبنائه الذين يرجو لهم صلاح الدنيا والآخرة. إنَّ هذا السند الروحي يمثل الحصانة الكفيلة بتثبيت أقدام الشباب في طريق الحق.

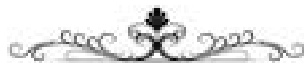
يعبر سماحة السيد الشهيد قدس سره عن هذا الارتباط القلبي قائلاً: «إنني أدعو للشباب دائماً من دون انقطاع، إنني أدعو لكم، أيها الشباب مرة واحدة على الأقل في اليوم، وأدعو لكم أن يساعدكم الله ويهديكم الله ويسعدكم الله، أن يحلّ مشكلاتكم، مشكلات العمل والزواج ومشكلاتكم المختلفة.

أرجو أن يستجيب الله لهذه الدعوات، وسوف يستجيبها. بالتأكيد غداً سيكون وضع مجتمع شبابنا أفضل ممّا هو اليوم، بفضل التوفيق الإلهي وبركات فضائل بقيّة الله (أرواحنا فداءه)»^(١). وفي مقام آخر، يؤكد على شمولية هذا الدعاء وأثره العالمي: «أنتم كأبنائي بكلّ معنى الكلمة، وأنا أحبّ لكم ما أحبّ لأبنائي، إنني [أدعو] لكم دائماً، فلا تمرّ ليلةٌ ويومٌ لا أدعو فيه لكم، أيها الشباب، بأن أسأل الله جلّ وعلا أن يثبّت أقدامكم على هذا النهج، وتعلموا

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠٢٠ م.

أنكم لو كنتم ثابتي الأقدام على هذا النهج، فسوف يصلح البلد،
وتصلح الدنيا، وتصلح البشرية»^(١).





التعبئة

ظاهرة إبداعية ورسالة حضارية

يُؤَصِّلُ سماحة السيد علي الخامنئي قَدِّسَ سِرُّهُ لمفهوم (التعبئة) بوصفه حركة إنسانية شاملة، تتجاوز الأطر العسكرية الضيقة لتصبح ممارسة اجتماعية وحضارية كبرى.

إن التعبئة في جوهرها هي تجسيدٌ لمبدأ (تضحية الأمة من أجل الأمة)، فهي تنبثق من صميم الشعب لتخدم تطلعاته في كافة ميادين الحياة، من الدفاع والعلم إلى الفن والسياسة والإنتاج، وصولاً إلى الوقوف بجانب المحتاجين.

يصف سماحته قَدِّسَ سِرُّهُ هذه الحركة الشمولية قائلاً: «التعبئة جماعة مضحية من الناس، ولأجل الناس».

إنّها تشكيل جماعة في مسيرة عظيمة لشعب مجاهد المشاركة في ميدان الدفاع، وفي ميدان العلم وفي ساحة الفن وفي البناء وفي السياسة وفي الثقافة وفي مساعدة المستضعفين والمحتاجين وفي الإنتاج وفي التقنيّة وفي معالجة مختلف قضايا البلاد وفي الرياضة وفي النجاح والتألق بين الأمم وفي أيّ عمل خير.

هذه هي حركة التعبئة حركة جماهيرية شعبية لأجل الناس ومن صميم الناس، ومن الناس ومن الشرائح كلّها، من النساء ومن الرجال ومن الشباب، ومن الشيوخ ومن الناشئة ومن الطبقات

والقطاعات المختلفة، إنَّها تشكيل منظومة حزب إلهيَّة حقيقيَّة
التعبئة سياسيَّة، لكنَّها ليست مصابة بالسياسة والألاعيب السياسيَّة،
وليست فتويَّة التعبئة مجاهدة، لكنَّها ليست متطرِّفة وعديمة
الانضباط، التعبئة متديِّنة ومتعبَّدة بعمق، لكنَّها ليست متحرِّرة، ولا
تؤمن بالخرافات التعبئة ذات بصيرة، لكنَّها ليست معجبة بنفسها،
التعبئة ذات جاذبيَّة واستقطاب، لكنَّها ليست من أهل التسامح في
الأصول، التعبئة غيورة وحارسة للخطوط الفاصلة.
التعبئة منحازة إلى العلم، لكنَّها ليست منبهرة بالعلم سطحياً التعبئة
متخلِّقة بالأخلاق الإسلاميَّة، لكنَّها ليست مرآية، التعبئة تعمل
لعمارة الدنيا، لكنَّها نفسها ليست من أهل الدنيا»^(١).

خصائص التعبئة ومميَّزاتها

يفصل سماحة السيد علي الخامنئي قُلَيْدٌ في معالم هذه القوة
الشعبية، داعياً أفراد التعبئة إلى التحلِّي بجملة من الخصائص التي تجعل
من هذه الحركة نموذجاً ملهماً، وأبرزها:

١. الظاهرة الإبداعية (الاستمرارية والديمومة)

يرى سماحته أنَّ وجه الإبداع في (التعبئة) يكمن في قدرتها على
البقاء والتطور، فبينما تُعرف حركات المقاومة الشعبية في العالم بأنها

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْدٌ، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١١ م.



(حركات مؤقتة) تنتهي بانتهاء فترات الكفاح أو الوصول إلى السلطة، جاءت التعبئة كظاهرة مبتكرة تواصل حضورها في مرحلة البناء والاستقرار بنفس الروح الجهادية.

يبين سماحته قدس سره هذا التميز الإبداعي بقوله: «إنَّ ظاهرة التعبئة ظاهرة إبداعية، ولا يعني ذلك أنَّ قوى المقاومة الشعبية لم يكن لها وجود في البلدان والبقاع الأخرى، فلقد كان لها وجود، وهذا ما نعلمه، غير أنَّ قوَّات المقاومة في شتى بلدان العالم، شرقاً وغرباً، غالباً ما تختصُّ بفترات القمع والكبت والكفاح، وبعد انقضاء فترة الكفاح - سواء عبر إمساك فصائل المقاومة نفسها بزمام السلطة أو إمساك غيرها بمساعدتهم - تنتهي قوى المقاومة، وينقضي أمد هذا التنظيم الشعبي»^(١).

٢. الانبثاق من صلب الشعب

التعبئة ليست كياناً موازياً للمجتمع أو حركةً طارئة على هوامشه، بل هي (قلب المجتمع النابض) ومخزون طاقاته الحية. إنَّ سرَّ نجاح هذه التجربة يكمن في كونها تمثيلاً حقيقياً واصطفاءً من كافة الشرائح الاجتماعية (الجامعية، والزراعية، والمهنية). يؤكد سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره على هذا الأصل الشعبي: «التعبئة هي من صلب الشعب وليست مؤسسة مفصولة عن الناس، وإنَّما

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

هي متكوّنة من مختلف شرائح الشعب الذين ينتمون إلى هذه المنظومة في الجامعات والمزارع والأسواق والأجهزة المختلفة الحكومية وغير الحكومية. والتعبئة في الحقيقة تعدّ اصطفاً خاصاً من بين أبناء الشعب لتكون ممثلة عنه»^(١).

وعن عبقرية الإمام الخميني قدس سرّه في صياغة هذا الوجود الشعبي يضيف سماحته: «كيف استطاع الإمام إيجاد هذه الظاهرة منقطعة النظير في تلك المرحلة؟ أنتم لم تشهدوا الإمام أمّا نحن فعشنا معه سنوات كان إبداع الإمام العظيم هو استحداث هذه الظاهرة، التي لا نظير لها، من قلب أزقة مدن البلد وتشكيلها فقد انبثقت هذه الحقيقة الجميلة المتجلية من صلب الناس، من قلب الناس انبثقت من بين منازل الناس، هذا ما فعله الإمام»^(٢).

ويعطي سماحته قدس سرّه نموذجاً للتعبئة القدوة التي ينبغي للتعويين الاقتداء بها، يقول: «إنّ الكثير من قادة الحرس الثوريّ الذين تسمعون، أو تقرأون عنهم ما يثير الدهشة سواء من الشهداء أو الأحياء، هم من التعويين الذين نزلوا إلى ساحات الدفاع المقدس في بادئ الأمر بهذه السمة، من دون أن يكونوا متفرّغين أو موظفين، فتفتحت



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩ م.

مواهبهم، وتبدّلوا إلى قادة كبار أمثال: الشهيد «باقري» والشهيد «كاظمي» والشهيد «بروجردى» وغيرهم الكثير»^(١).

٣. التعبئة (الشبكة الأكبر عالمياً ثقافياً، اجتماعياً، وعسكرياً)

تتجاوز التعبئة في الرؤية الاستراتيجية لسماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره الأطر التنظيمية التقليدية، لتمثل الشبكة الشعبية الأوسع نطاقاً على مستوى العالم.

فهي منظومة فريدة تجمع بين الأبعاد الثقافية والاجتماعية والعسكرية في آن واحد، مشكلةً بذلك ثقلاً وطنياً وحضارياً لا يضاهى في أي تجربة دولية أخرى.

يؤكد سماحته قدس سره على هذا التميز النوعي والكمي قائلاً: «إنَّ التعبئة هي أكبر شبكة ثقافية، اجتماعية، وعسكرية في العالم، إذ لم أجد في أيِّ مكان آخر، شبكةً شعبيةً عظيمةً بهذا الاتساع، وهذا العديد، هذا الأمر منحصر بمنظمة «تعبئة المستضعفين» في بلدنا فقط، وهي الشبكة الكبرى»^(٢).

٤. التعبئة (كنهج فكري وثقافي)

إنَّ التعبئة ليست مجرد تشكيل ميداني، بل هي (ثقافة) متكاملة ومنظومة معرفية تترجم في سلوكيات الجماهير.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩ م.

إنها الفكر الذي يضمن استقامة الحركة الإسلامية واستمراريتها عبر الأجيال، فهي ليست أفكاراً تجريدية حبيسة الأذهان، بل هي واقعٌ عيني يتجلى في الممارسات اليومية والمواقف المصيرية للشعب.

يصف سماحته قدس سره هذه الهوية الثقافية بقوله: «الثقافة التبويّة هي مجموعة المعارف والأساليب والسلوكيّات التي بوسعها إيجاد مجاميع عظيمة في الشعب تضمن الحركة الإسلاميّة المستقيمة والمستمرّة لذلك الشعب، هذا فكر وثقافة... وهو ليس مجرد فكر في الذهن، إنّما يوجد في الخارج وفي الواقع العيني»^(١).

٥. التعبئة (ملهمة الشعوب المستضعفة ومناصرة المقاومة)

لقد تجاوزت حركة التعبئة حدود الجغرافيا الإيرانية لتصبح نموذجاً عالمياً ومصدراً للإلهام الشعوب التواقّة للحرية. فمنذ انطلاقتها الأولى، رسم (تبويّ الإمام) مساراً جديداً للتاريخ، أثبت للعالم إمكانية تحطيم أساطير القوة المادية بالاعتماد على الله والثبات في الميدان.

إنّ ما نراه اليوم من حركاتٍ في مختلف عواصم العالم، وما حققته حركات المقاومة في لبنان وفلسطين، يستند في جذوره إلى تلك المدرسة التبويّة الأولى.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١١ م.

يُؤصل سماحة السيد الشهيد الخامنئي قدّس سرّه لهذا الأثر العالمي قائلاً: «لقد غيّرت الحركة التعبويّة مصير إيران، بل مصير ما هو خارج حدود إيران منذ اليوم الأوّل، تحرّك تعبويّو إمامنا في شتّى ساحات الثورة، وإلى انتصار الثورة، وإلى ما بعد الثورة بقيت التحركات، وصارت نموذجاً وقدوة وذكرى للشعب الإيراني في ساحات التاريخ، الشباب في نيويورك وكاليفورنيا اليوم يكرّرون شعارات الجماهير في مصر وتونس ويستلهمون منهم ولا ينكرون ذلك وشباب مصر وتونس استلهموا، وتعلّموا من حزب الله وحماس والجهاد الإسلاميّ ولم يخفوا ذلك، وقد كان المعلّم الأوّل في العصر الحديث تعبويّو إمامنا الجليل، والكلّ تعلّموا من تعبويّي إمامنا الجليل ومن المعوّقين والجنود والمضحّين في هذه الثورة... تعلّموا كيف يمكن تحطيم أساطير القوّة الماديّة، وكيف يمكن تحطيم الأصنام على اسم الله، وكيف يمكن الصمود والمقاومة»^(١).

٦. التعبئة (منطق تحويل التهديد إلى فرصة)

تُمثّل التعبئة في الفكر القيادي لسماحة السيد الشهيد الخامنئي قدّس سرّه النموذج الأتمّ للقُدرة على قلب الموازين، فهي ليست مجرد رد فعلٍ دفاعي، بل هي استراتيجية استباقية تهدف إلى تحويل التهديدات الوجودية التي تواجه الأمة إلى فرصٍ كبرى للنمو والاقتدار.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدّس سرّه، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١١ م.

ويكون هذا المنطق جلياً في التوقيت التاريخي لتأسيس هذه القوة، حيث ولدت من رحم المواجهة المباشرة مع قوى الاستكبار العالمي، محوّلة لحظة التهديد العسكري إلى انطلاقة لنهضة شعبية شاملة.

يؤصّل سماحته لهذا المفهوم من خلال قراءة أحداث عام ١٣٥٨هـ ش (١٩٧٩م) قائلاً: «كان تأسيس التعبئة مصداقاً تاماً جلياً لتحويل التهديد إلى فرصة، التفتوا جيداً في الثالث عشر من آبان سنة ١٣٥٨هـ ش، [٤ نوفمبر ١٩٧٩م]، وقعت حادثة وكر التجسس^(١)، تعرّض الأميركيون للإذلال جرّاء هذه الحادثة، فشرعوا في التهديد وإبراز ردود الأفعال، ومضافاً إلى تهديداتهم اللفظية، تحرّكت بارجاتهم باتجاه الخليج، أي أقدموا على تهديد عمليّ.

حسناً، شعبٌ كالشعب الإيرانيّ في تلك المرحلة، الذي لم يكن لديه لا قدرة عسكريّة ولا إمكانات دفاعيّة معتبرة ولا صواريخ ولا طائرات تعمل بالشكل المناسب، وتأتي أميركا فجأة، بكلّ قوّتها، لتواجهه، مهدّدة إياه، هذا تهديد واضح! أليس كذلك؟

ولم يكن قد مضى شهرٌ على حادثة الثالث عشر من آبان، حيث أصدر الإمام الخميني، بتاريخ الخامس من آذر ١٣٥٨هـ ش [٢٦

(١) السيطرة على السفارة الأميركيّة في طهران، من قبل الطلّاب السائرين على خطّ الإمام.



نوفمبر ١٩٧٩م]، أمراً بتأسيس التعبئة، هذا يعني بأنَّ التعبئة، في الحقيقة، حوَّلت التهديد إلى فرصة، هذه هي حقيقة التعبئة. بينما لو أنَّ أحدًا خاف من ذلك التهديد، مثلاً، تخيلوا لو أنَّ الإمام تردَّد أو احتمل أنَّ بمقدور أميركا أن تقوم بضربة ما، ولم تُخلَق حركة التعبئة العظيمة هذه، ليس معلوماً إلّا أنَّ كان سيؤول إليه مصير البلد، لقد أدَّى وجود التعبئة إلى تحوُّل ذلك التهديد إلى هذه الفرصة العظيمة.

إذاً منطق التعبئة الأساسي هو إزالة التهديدات وتحويلها إلى فرص، نواجه تهديدات كثيرة ويجب تحويل كلِّ واحدة من هذه التهديدات إلى فرص، بمبادرات تبويّة، كلّما زادت التهديدات، زادت الفرص، من هنا لم يعد التهديد يشكّل تهديداً لنا إنّما صار التهديد يوجِد لنا الفرص ببركة التعبئة^(١).

السمات العمليّة للتعبئة والتبويين

لا تقتصر عظمة ظاهرة التعبئة في فكر سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره على أبعادها النظرية، بل تتعداها إلى تجلياتها العملية في ساحة الواقع.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩م.

فالانتماء للتعبة يفرض على الفرد التحلي بمجموعة من السمات السلوكية التي تجعل من حضوره فعلاً مؤثراً ومنتجاً، ويمكن بلورة هذه السمات في المحورين الآتين:

١. الحضور المستند إلى الغايات الإلهية السامية

يمثل (الإخلاص) والمحرك (الإلهي) القوة الدافعة للتعبوي، فهو لا يتحرك في الميدان طلباً لمغنم دنيوي، بل اندفاعاً وراء أهدافٍ سماوية سامية.

هذا الارتباط بالغيب هو ما يمنح التعبوي روحاً مثابرة لا تعرف الكلل، ويجعله مستعداً للتضحية بأغلى ما يملك في سبيل المبادئ، حيث يحمل روحه على كفه في كل ميدان يتطلب الحضور.

يصف سماحته قدس سره هذا الحضور الفدائي بقوله: «التعبئة هم أبناء الشعب الذين يوجدون في وسط الساحة بأهداف إلهية سامية وبروح مثابرة، لا تعرف الكلل والملل وفي كل مكان يتطلب الأمر وينزلون بكل قدراتهم وطاقاتهم إلى الميدان ولا يهابون المخاطر التي تعترض الطريق، أي إنهم حملوا أرواحهم على أكفهم.

والتعبوي هو ذلك الشخص الذي أعد نفسه لهذه المهمة الشاقة، ألا وهي بذل النفس، بل وحتى بذل تلك الأمور التي قد تكون أعز من النفس.



هذا هو معنى التعبئة، وهذا من مميزات بلدنا ومن مختصات الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية^(١).

٢. الشمولية في ساحات الحضور (من الخندق إلى المختبر)

إنَّ مقتضى التعبئة هو (الوجود) حيثما استدعت الحاجة، فهي ليست محصورة في البعد العسكري فحسب، بل تمتد لتشمل الجبهات العلمية، والفنية، والاقتصادية، فالتعبوي قد يكون فناً ملتزماً يسخر ريشته وقلمه للدفاع عن القيم، أو عالماً في مختبره، أو فاعلاً في مشروع (الاقتصاد المقاوم).

إنَّ هذا الحضور التعبوي هو في حقيقته تجلُّ لحضور الشعب الإيراني بكافة شرائحه للدفاع عن هويته الوطنية والثورية.

يشير سماحته عليه السلام إلى هذا التنوع في ساحات العمل التعبوي قائلاً: «إنَّ من سمات التعبئة وخصائصها الوجود (الحضور) الواسع الذي يجب الحفاظ عليه، في مختلف الساحات العسكرية والعلمية والفنية من أمثال الشهيد السيّد «مرتضى آويني» الذي كان تعبويّاً، إلى غيره من الفنّانين الملتزمين والموالين، سواء في عالم الفنون التشكيلية أو الشعر أو الأدب وفي الساحة التقنية وأخيراً في المسائل الاقتصادية التي أوصيت رجال الحكومة في شأنها، وقلت

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

لهم إنَّ قوَّاتِ التعبئة مستعدَّة للحضور والمساهمة في ساحة الاقتصاد المقاوم.

ثمَّ إنَّ الحضور التعبويَّ يعني حضور الناس، وأينما وجدت قوَّات التعبئة، فذلك يعني أنَّ الشعب الإيرانيَّ حاضر وموجود في تلك الساحة وكما ذكرت فإنَّ التعبئة تعدُّ نموذجاً ومثالاً ومعلماً من معالم الشعب الإيرانيِّ ومن الواضح أنَّ الوجود هذا هو في سبيل الدفاع عن المبادئ والقيم والهويَّة الثوريَّة والوطنية ومساعدة هذا الشعب وهذا البلد لبلوغ تلك المراحل التي تليق به، والتي قد رسمها ببركة الثورة الإسلاميَّة، وراح يحثُّ الخطى باتِّجاهها، فإنَّ هذا هو المراد من وجود قوَّات التعبئة، حيث يتعيَّن عليهم الدفاع»^(١).

آفات التعبئة (معوقات السلوك والارتقاء)

إنَّ صيانة حركة (التعبئة) من الانحراف تقتضي تحصيناً أخلاقياً مستمراً، فبقدر ما تمتلك هذه الظاهرة من عناصر القوة والاعتدال، فإنها تظل عرضةً لآفات باطنية قد تفرغها من محتواها الإلهي وتعيق مسيرتها الرسالية.

وقد شخّص سماحة السيد علي الخامنئي قائمه مجموعة من الأمراض السلوكية التي يجب على التعبوي الحذر منها بشدة وهي:

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قائمه، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.



١. الاستعلاء والغرور (مقتل النخبة)

يعد الغرور من أخطر المنزلقات التي تهدد (الصفوة) فالثناء والإطراء الذي يتلقاه التبوي نتيجة تضحياته قد يولد في نفسه شعوراً بالاستعلاء على الآخرين أو استصغارهم.

إنَّ الرؤية التبوية الأصلية تفترض علاقة طردية بين السمو الإنساني والتواضع؛ فكلما ازداد الفرد رفعةً في الميدان، وجب أن يزداد خشوعاً وتذلاً بين يدي الله تعالى، مع التركيز الدائم على نقاط الضعف الذاتية لتقويمها.

يُحذر سماحته ﷺ من هذا المنزلق قائلاً: «إِنَّ واحدة من آفات التعبئة هي الغرور، فإننا ما دمنا تبويين -ونعدّ من الصفوة والنخبة- ونتلقّى هذا الثناء والإطراء كلّ- [علينا الحذر من] أن ننظر إلى الآخرين بعين الاستصغار، فإنكم كلّما تعاظمت وتساميت، لا بدّ وأن يزداد تواضعكم، ويتضاعف خشوعكم بين يدي الله تعالى. فلننظر إلى مسؤوليّاتنا وإلى تقصيرنا وإلى نقاط ضعفنا ونقصنا وهي ليست بالقليلة.

إذاً الغرور هو إحدى الآفات، وعليكم أن تراقبوا أنفسكم لئلا تصابوا بالغرور، لكونكم تبويين ومضحّين ومستعدّين لبذل المهج»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

٢. الغفلة والركون إلى النفس

تولد الغفلة من رحم الغرور، فحين يطمئن المرء إلى منجزاته ويغتر بقدراته، تضعف لديه ملكة المراقبة واليقظة، مما يجعله فريسة سهلة للغرق في ملذات الدنيا ونسيان الغايات الكبرى. إنَّ الحفاظ على (البصيرة الثاقبة) يتطلب يقظة مستمرة تحول دون الوقوع في أسر الغفلة المعنوية.

يشير سماحته قدس سره إلى هذا التلازم بين الغرور والغفلة بقوله: «الغفلة هي من الأمور التي تترتب على الغرور، لأنَّ المرء إذا ما اغترَّ كثيراً بقوَّته وقدراته وقيمه، سيرضى ويطمئنَّ إلى نفسه، وبالتالي سيصاب بالغفلة، فلا تغفلوا ولتنظروا دوماً بأعين مفتوحة وأبصار ثاقبة»^(١).

٣. الانغماس في التنافس المادي ووهن العزائم

إنَّ أخطر ما يهدد روحية المجاهد هو الدخول في سباق (الكمالات المادية) وزخارف الدنيا، فالمسارعة خلف الرفاه والبحث عن المكاسب الدنيوية تضعف الدوافع الإيمانية تدريجياً. وهذا الضعف في الدافع يؤدي حتماً إلى وهن العزيمة، مما ينعكس سلباً على جودة العمل الميداني، وينتهي بالفرد إلى التيه والضياع بعيداً عن خط الثورة والإسلام.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

يصف سماحته ﷺ مآلات هذا الانحدار السلوكي: «إنَّ المسارعة والجري بحثاً عن زخارف الدنيا وبهارجها، وعن المزيد من الأمور الكمالية، وعن الرفاه والعيش الأفضل، والربح الأكثر [من سمات] أهل الدنيا وعبيد الدنيا، فلا تخوضوا هذه الساحة التنافسية ولا تقولوا إنَّ فلاناً قد حصل على شيء، وأنا صفر اليدين ولا بدّ لي من أن أكون مثله.

كلّا فإنّ هذه ليست من آفات التعبئة فحسب، بل هي آفة كلّ مؤمن ولقد شاهدنا الكثير ممّن كانوا موسومين بالخير والصلاح وكانوا من الموالين ولكنّهم عندما غرقوا في بحر ملذّات الدنيا، شيئاً فشيئاً وهنوا واستكانوا وصارت قدراتهم ضئيلة ودوافعهم ضعيفة فإذا ضعفت الدوافع ضعفت العزائم، وإذا ضعفت العزائم ظهرت آثارها في العمل، وأخيراً ضاعوا وتاهوا»^(١).

وصايا استراتيجية لمنظومة التعبئة

يضع سماحة السيد علي الخامنئي ﷺ أمام أفراد التعبئة جملة من الوصايا التي لا تقف عند حدود النصح الأخلاقي المجرد، بل تمثل (دستوراً فكرياً) ومنهجاً سلوكياً يضمن للمنظومة ثباتها واستمرارية تأثيرها في الميادين كافة، وتتمثل أبرز هذه الوصايا في الآتي:

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

١. التقوى: حصن النفس ومنطلق الثبات

تُمثل التقوى في الفكر القيادي لسماحته الركن الأساس الذي تنهض عليه شخصية التعبوي؛ فهي ليست مجرد طقوس عبادية، بل هي (عملية مراقبة دقيقة للنفس) تحول دون السقوط في المزالق المعنوية والمادية.

إنَّ ترك الذنوب هو الخطوة الأولى والجوهرية التي تفتح للإنسان آفاق الرحمة الإلهية وتضمن له النصر والتمكين في مواجهة التحديات. يؤصل سماحته ﷺ لهذه الوصية قائلاً: «إِنَّ وَصِيَّةَ جَمِيعِ الْعِظَمَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْمَعْنَى -الذين قد تشرفنا بخدمة بعض منهم- هي الإعراض عن الذنوب، بعضهم يطالب بأذكار مطلوبة تأخذ بيد الإنسان إلى المقامات الرفيعة، وهم يقولون: الذكر هديّة لكم، ولكن لا تَذنبوا. وهذه هي الخطوة الأولى التي ما إن يخطوها الإنسان حتّى يعالج الكثير من مشاكله الروحية والمعنوية والمادية.

إنَّنا جميعاً معرضون لاقتراف الذنوب، والوقوع في المزالق والزلات، ويجب علينا المراقبة كما ذكرت، ولو كنتم تراقبون أنفسكم - وهي التي يعبر عنها بالتقوى، فإن المراد من التقوى التي تكررت هذا التكرار كلّ في القرآن الكريم هو مراقبة النفس من عدم الوقوع في الذنوب والفساد- سوف ينصرّكم الله سبحانه وتعالى، ويثبت أقدامكم، والمراقبة -في حدّ ذاتها- تستنزل الرحمة



الإلهية، والتقوى تبارك في حياة الإنسان وفي عمره وفي لحظاته وفي ساعاته وهذه هي أولى توصياتي^(١).

٢. البصيرة (بوصلة الحركة في الساحات المعقدة)

إذا كانت التقوى هي المحرك الباطني، فإنَّ (البصيرة) هي العين التي يرى بها التعبوي ملامح المشهد العالمي والداخلي بوضوح. إنَّ امتلاك الرؤية الصحيحة وفهم موضع القدم في الصراع المعاصر هو ما يقي الإنسان من التخطئ أو الوقوف في جبهة العدو عن غير قصد. فالبصيرة هي شرطُ حَمَلِ الراية، وبدونها يفقد الصبر والجهاد قيمتهما الميدانية.

يؤكد سماحته قدس سره على استحضار المنهج العلوي في كلماته: «لطالما كررت هذه الجملة الصادرة عن أمير المؤمنين عليه السلام خلال كلماتي، حيث يقول: «ألا... ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر»^(٢) وقد ذكر أولًا أهل البصر، وهم أصحاب الرؤى الصحيحة، وأهل البصائر الذين يدركون المشهد، ويفهمون وضع الساحة فلا بد من تعزيز البصيرة يومًا بعد يوم، ومعرفة المشهد الداخلي، والوقوف على مجريات الأحداث في الداخل، ففي أيِّ المواطن يتلمس الإنسان وجود العدو؟ وفي أيِّ المواطن يستطيع المضي قدمًا

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

(٢) السيد الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٢٤٨، الخطبة ١٧٣.

باطمئنان قلب وراحة بال؟ هذه هي البصيرة المتمثلة بمعرفة مكانتنا في العالم المعاصر»^(١).

٣. الجهوزية التامة والتأهب الشامل

تستوجب طبيعة التحديات المعاصرة أن تكون قوات التعبئة في حالة استنفار دائم، لا يقتصر على الجانب العسكري الميداني فحسب، بل يمتد ليشمل كافة ساحات المواجهة: الصلبة، ونصف الصلبة، والناعمة. إنَّ مقتضى (أهبة الاستعداد) هو امتلاك استراتيجيات مرنة وتكتيكات جاهزة تمنع عنصر المفاجأة وتؤمن القدرة على الاستجابة السريعة لمختلف الحوادث.

يشير سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره إلى هذه الوصية بقوله: «الاستعداد والجهوزية والتأهب من الشرائط اللازمة والتوصيات الواجبة التي لا بدّ من أن نوصي بها إخواننا وأخواتنا في قوَّات التعبئة، إذ يجب أن يكون المرء على أهبة الاستعداد للعمل في المجالات كافة: الدفاع في الساحة الصلبة، في الساحة نصف الصلبة، والدفاع في الساحة الناعمة يجب أن يكون لدى التعبئة الاستراتيجية والتكتيكات الجاهزة للتعامل مع مختلف الحوادث، أو في المجالات الأخرى كافة، لا تتفاجؤوا بأية قضية».



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.

٤. المبادرة والابتكار في مواجهة الحرب الناعمة

في ميدان الصراع الفكري والثقافي، يحذر سماحته من الاكتفاء بموقف (رد الفعل) أو الانفعال اللحظي تجاه تحركات العدو. إنَّ المنهج التعبوي الأصيل يقوم على (الإقدام الاستباقي) والابتكار، بحيث يكون المجاهد الثقافي سباقاً بخطوة، قادراً على قراءة تحركات الخصم وإجهاضها قبل وقوعها، تماماً كفعل (لاعب الشطرنج المحترف).

يؤكد سماحته رحمته الله على هذا البعد قائلاً: «في الحرب الناعمة، لا تتصرفوا عن رد فعل [بانفعال] أبداً طبعاً يجب الرد على العدو، ولكن الأفضل من العمل عن رد فعل، هو العمل عن إقدام وابتكار، كونوا متقدمين بخطوة عن عدوكم دائماً، توقعوا ماذا يريد أن يفعل [العدو]، ما الحركة التي يريد أن يقدم عليها وأقدموا على حركة مضادة استباقية قبله، تماماً مثل لاعب الشطرنج المحترف الذي يتوقع خطوة خصمه التالية، فيقدم على حركة يقفل عبرها الطريق أمامه، حتى لا يتسنى له القيام بها»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي رحمته الله، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩م.

٥. التعبئة كمنصة لتبليغ منطق الثورة

يرى سماحة السيد القائد أنَّ التعبئة تمتلك القدرة والشرعية لتكون لسان حال الثورة الإسلامية، ومبينةً لمنطقها الرصين وأصولها الثابتة أمام العالم، ذلك أنَّ مواقف الجمهورية الإسلامية تستند إلى أسس عقلانية ومنطقية يقبلها كل إنسان منصف.

يقول سماحته عليه السلام: «أنَّ التعبئة يمكن لها أن تقوم بدور الداعي إلى الثورة الإسلامية ومبادئها وأصولها: «بمقدور التعبئة أن تبين للآخرين أنَّ مواقف الجمهورية الإسلامية في إيران هي أكثر المواقف منطقية، يتأتى لأي إنسان منصف وعقل اتّخاذها»^(١).

٦. استثمار الطاقات الجبّارة وصيانة الإرث

تُمثل التعبئة الطاقة الكامنة والجبّارة التي أورها الإمام الخميني عليه السلام للأمة، وهي المظهر الأجلّى للصفاء والإخلاص والبصيرة. إنَّ تفعيل هذه القوات في شتى المجالات - من الدفاع والاستقرار إلى العلوم والتقنيات الحديثة - هو السبيل لإنقاذ البلاد وتطورها. يؤكد سماحته عليه السلام على عظمة هذا الوجود: «إنَّ التعبئة طاقة جبّارة، وليست بالشيء القليل الضئيل، وإنّما هي منظومة عظيمة متأهبة للعمل، إنَّ الاستعانة بقوَّات التعبئة والمتطوِّعين من الناس سوف يساهم بشكل كبير في إنقاذ البلد.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخميني عليه السلام، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠١٥ م.





التعبئة إرث كبير ومتألق للإمام الخمينيِّ الراحل قُدس سرّه، ومظهر من مظاهر الصِّفاء والإخلاص والبصيرة والنُّضال، ففي الدفاع عن الوطن واستقلاله واستقراره، وفي الخدمات الحيويّة على المستوى الوطنيِّ الواسع، وفي الأنشطة العلميّة المتقدّمة والتقنيّات الجديدة، وفي المناهج القيميّة وفي خلق الأجواء الروحانيّة، يذكّر اسم التعبئة في كلّ مكان، ويتجلّى حضورها»^(١).

٢٨٩

٧. وحدة الكلمة وتجاوز الاختلافات الفكرية في سبيل الله

يضرب سماحته مثلاً بليغاً في أهمية (وحدة الكلمة) من خلال سيرة العالم المرحوم الميرزا جواد الطهراني، الذي وعلى الرغم من اختلافه الفكري في بعض المسائل (كالفلسفة والعرفان)، إلا أنه توحّد مع خط الإمام في جهاد العدو، مرتدياً زي التعبئة في ثمانينياته. إنَّ هذا النموذج يعكس حقيقة أنَّ الجهاد في سبيل الله يذيب الفوارق الفكرية لصالح وحدة المصير والأهداف الكبرى.

يستذكر سماحته هذا النموذج قائلاً: «كان المرحوم الميرزا جواد الطهرانيّ عالمًا يأتي في المراتب اللاحقة للجماعة المعارضة للفلسفة والعرفان وقد درسنا عنده وقد كان في الموقف والموضع المقابل [لموقف الإمام قُدس سرّه]، فكان قبل الثورة، يبدّي مودّته وتأييده للإمام الخمينيِّ وقد سمعتُ منه ذلك شخصياً، قبل انتصار الثورة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠٢٠م.

وبعد انتصار الثورة، قام هذا الرجل وذهب إلى الحرب وشارك فيها، وهو شيخٌ مسنٌ في السبعين أو الثمانين من عمره، ذهب وارتدى زيَّ التعبئة ووقف وراء المدفع وراح يقاتل. لقد كان لدينا أشخاصٌ من هذا القبيل، أي على الرغم من وجود الاختلافات الفكرية، توجد في الوقت عينه، وحدة الكلمة، في الله، وفي سبيل الله وبالمعنى الحقيقي للكلمة»^(١).

٨ لا تسيئوا إلى التعبئة

يحذر سماحته من محاولات تشويه التعبئة أو الإساءة إليها، معتبراً إياها (شجرة باسقة) يجب حمايتها من نوعين من المخاطر: (الاستهداف الخارجي) الذي يسعى لقطعها (وهو المقدور على صده)، و(الآفات الداخلية) التي تتسرب إلى جوهرها (وهي الأشد خطورة وصعوبة في العلاج).

لذا تقع مسؤولية المراقبة والحذر على عاتق التعبوين والمسؤولين معاً. يؤكد سماحته عليه السلام بلهجة تحذيرية: «إنني أعتبر التعبئة في غاية الأهمية، وأراها ظاهرة تتسم ببالغ الأهمية والتأثير والبركة والمستقبل المشرق، وأعتقد أن ما يبذل من جهود وأعمال، وما يوجه إليها من إساءة وتشويه، لن يزلزل قوَّات التعبئة، وسوف تزداد تأصلاً وتجزراً، إن شاء الله يوماً بعد آخر، فلقد كانت التعبئة



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٥/٠٨ م.

ذات يوم غرسة دقيقة رقيقة، وأصبحت اليوم شجرة باسقة عظيمة، وسوف تكون بعد اليوم أصلب عوداً بفضل الله، ولكن يجب عليكم أن تراقبوا هذه الشجرة القويّة لئلا تتسرّب إليها الآفات وإنني هنا أخطبكم بأن تتحلّوا بالدقّة والحذر، تارة يهجمون على الشجرة بالمنشار لقطعها، وهذا ما يمكن صدّه، وتارة أخرى تتسرّب الآفة إلى داخل الشجرة، وهنا يصعب علاجها»^(١).

٩. المسجد (المحضن والمنطلق)

يؤصل سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره للعلاقة العضوية بين التعبئة والمسجد، فالتعبئة في جوهرها هي (وليدة المساجد)، ومنها انطلقت قوافل المجاهدين وإليها عاد الشهداء. لذا تبرز الوصية بضرورة الحفاظ على هذا الارتباط الوثيق، مع التأكيد على أن يكون حضور التعبئة في المساجد نموذجاً للأخلاق الإسلامية الرفيعة، ومظهراً للوحدة والائتلاف، بعيداً عن أسباب الفرقة أو النزاع.

يقول سماحته قدس سره: «التعبئة وليدة المساجد، فلقد [تمّ إرسال التعبئة] إلى الجبهات من المساجد، وإلى المساجد عادت أجساد الشهداء المطهّرة، وغالباً ما جرى توجيههم في المساجد، لا تنقطعوا عن المسجد وطبعاً تصرفوا في المساجد وفق الأخلاق

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٥/١١/٢٠٢٠م.

الإسلامية، لا تجعلوا الحضور فيه سبباً للانقسام والاختلاف
والشجار وما إلى ذلك»^(١).

١٠. التكامل مع القوى الموازية ورفقاء الهدف

يدعو سماحته إلى الانفتاح والتعاون مع كافة المجموعات
والتشكيلات التي تلتقي مع التعبئة في أهدافها وغاياتها الكبرى، حتى
وإن لم تكن منضوية رسمياً تحت لواء (قوات المقاومة).
إنَّ مبدأ التآزر والمواكبة مع هذه الحركات (سواء في الجامعات أو في
الفضاءات الاجتماعية الأخرى) يعزز من قوة الجبهة المؤمنة ويحقق
الأهداف المشتركة للأمة.

يشير سماحته ﷺ إلى هذه الضرورة قائلاً: «تعاونوا، وتآزروا مع
المجموعات التي تتحرك في جهة أهداف التعبئة، وليست جزءاً
من قوَّات المقاومة، هناك مجموعات تحظى بحضور على مستوى
البلد ككل، إن كان في الجامعة، أو خارجها، أو في أيِّ مكان آخر،
حركتها في جهة أهداف تعبئة المستضعفين، لكنها ليست جزءاً من
قوَّات المقاومة في التعبئة، تعاونوا مع هؤلاء وآزروهم
وواكبوهم»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩ م.

١١. الإعلام الرسالي وإبراز المنجزات

تُقدم التعبئة خدماتٍ جليّة في مختلف الميادين، إلا أن ثمة فجوة إعلامية تحول دون وصول هذه المنجزات إلى الرأي العام بشكل كافٍ.

يشدد سماحته على ضرورة إطلاع الناس على هذه الخدمات، ليس من باب التفاخر، بل من أجل بناء الثقة وتبيين فاعلية العمل التعبوي وشموليته الوطنية.

يقول سماحته قدس سرّه: «التعبئة تقدّم الكثير من الخدمات العظيمة، لكنّ أغلب الناس لا يعلمونها، فحين تقدّم التعبئة خدمات في منطقة ما، لا يعرف سوى أبناء المنطقة بهذا الأمر، لقد أرسلوا إليّ بعض الإحصاءات عن نشاطات التعبئة، وليست التعبئة هي من أرسلتها، بل طرف آخر، وهي إحصاءات مثيرة للاهتمام»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩ م.

١٢. المرونة الميدانية ونبذ البيروقراطية

من أهم سمات التعبئة (سرعة المبادرة) والانتشار الواسع، وهو ما يتطلب حماية هذه المؤسسة من الانزلاق في متاهات (البيروقراطية الإدارية) التي قد تشل حركتها وتكبل طاقات القوى البشرية فيها. إنَّ التعبئة يجب أن تظل كياناً مرناً وفاعلاً يتجاوز القيود الإدارية الجامدة.

يوصي سماحته عليه السلام بهذا الصدد قائلاً: «تكون التعبئة سريعة المبادرة، إلى جانب انتشارها الكبير، لا تدعوا التعبئة أسيرةً للقيود الإدارية الشائعة، لأنَّ الكثير من الأعمال والبيروقراطية الإدارية، تشلَّ حركة القوى البشرية، لا تدعوا التعبئة تشلَّ»^(١).

١٣. اليقظة أمام الاختراقات والمؤامرات

يحذر سماحة السيد القائد من أنَّ التعبئة، نظراً لعظمة تأثيرها، تظل الهدف الأول لمؤامرات العدو ومحاولات اختراقه، بهدف ضربها من الداخل وإشغالها بمشاكل جانبية.

إنَّ الوعي بهذا التهديد هو أول خطوة في طريق الانتصار، مع اليقين الكامل بأنَّ هذه الحركة المباركة ستنتصر بحول الله وقوته.

يقول سماحته عليه السلام: «اعلموا أنَّ التعبئة معرضة وبشدة، لمؤامرات العدو واختراقاته، لا تنسوا هذا الأمر! لهذا قلنا في ذكر أهميّة



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩ م.

التعبئة: إنَّ العدوَّ يسعى، بقوّته كلّها، للتّأمّر عليها واختراق صفوفها، كي يشغلها بمشاكل داخلية، وطبعاً [تشكّل هذه] الحركة العظيمة [حركة] مبارزةً ومواجهةً، واعلموا أنّكم بحول الله وقوّته، ستنتصرون على الجميع.

رحمة الله على الإمام [الخميني] العظيم، الذي زرع هذه الشجرة الطيبة والغرسة المباركة، رحمة الله على شهداء هذا النهج، وعلى المديرين الذين بذلوا الجهود لأجل التعبئة، طوال هذه السنوات، وعلى جميع التبعويين، وفّقكم الله جميعاً^(١).

١٤. إحياء القدوات (الوجوه الشاخصة في مدرسة التعبئة)

يمثل استحضار الرموز والقدوات ضرورة تربوية لجيل الشباب، فالتعبئة ساحة واسعة ضمت مختلف المراتب العلمية والميدانية، من الفتى (حسين فهميدة) إلى علماء الذرة (شهداء البرنامج النووي)، ومن قادة الحرس والجيش إلى المبدعين في مجالات الخلايا الجذعية كـ (كاظمي أشتياني).

إنَّ هؤلاء ليسوا مجرد أسماء في كتب السير، بل هم (قدوات حية) يجب وضعها أمام الأنظار بمختلف الأساليب الحديثة لضمان استمرار إثمار هذه (الشجرة الطيبة).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي رحمته الله، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩م.

يفصل سماحته ﷺ في مفهوم القدوة التبوية قائلاً: «تتّمي هذه الوجوه كلّها إلى التّعبئة، بدءاً من حسين فهميده وبهنام محمّدي ومحسن حجّجي وإبراهيم هادي، مروراً بشهداء البرنامج النووي، انظروا في هذه الوجوه! كم أنّ الاختلاف في المكانة الاجتماعية بين هؤلاء شاسع! لكنّهم معاً في التّعبئة.

كذلك شهداء البرنامج النووي تعبويّون أيضاً، وكلّ من ذكرتهم تعبويّون، كان باكري وزين الدين وحسين خرّازي وأمّثالهم، ضمن الحرس، لكنّهم كانوا تعبويّين أيضاً، الشهيد صياد كان في الجيش، لكنّه كان تعبويّاً أيضاً، وكذلك الشهيد بابائي، كان التحرك تحرّكاً تعبويّاً، والتوجّه توجّهاً تعبويّاً، والنزعة نزعةً تعبويّة، وصولاً إلى شمران وآويني وكاظمي وأمّثالهم، كانوا تعبويّين أيضاً، كان «كاظمي أشتياني»، الذي أهدانا الخلايا الجذعيّة، تعبويّاً بقدر ما كان حسين خرّازي وحسين فهميده، هؤلاء جميعهم تعبويّون، هذه هي التّعبئة.

هذا العرض العريض، هذه الساحة الوسيعة، جميعها من مظاهر التّعبئة، ومئات أخرى من الوجوه المعروفة.

أعزائي، أريد القول: إنّ هؤلاء قدوة، ويحتاج الشباب في أيّ مكان، إلى القدوة، وهؤلاء قدوات للشباب، أحيوا هذه القدوات، وضعوها نصب أعينكم، طبعاً تتمّ كتابة الكتب، وتحرير السير الذاتية، هذا لا يكفي، اجعلوا هؤلاء أمام أنظاركم، بمختلف



الأساليب الحديثة في الدنيا، هؤلاء هم أفضل القدوات، يمكنكم أن تجدوا أفضل القدوات في التعبئة، فلتعيدوا إحياءها! يجب أن تظهر نماذج مشابهة في التعبئة كل يوم، قال الإمام [الخميني] بأنّ التعبئة شجرة طيبة^(١)، والشجرة الطيبة هي تلك التي: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٢)، أي إنها تثمر في المراحل كلّها^(٣).

صحوة الشعوب (أفق المستقبل واليقظة الكبرى)

٢٩٧

تتجاوز الرؤية القيادية لسماحة السيد الشهيد الخامنئي قدس سره حدود الواقع الراهن لتستشرف مستقبلاً تتبدل فيه موازين القوى لصالح المستضعفين.

إنّ هذه (اليقظة) التي تسري في جسد الأمة ليست مجرد حراك عابر، بل هي مسارٌ تاريخي حتمي يؤدي إلى تقويض أركان التبعية وخروج وكلاء الاستكبار من الساحة، فاتحةً بذلك عصراً جديداً من الاقتدار والسيادة الإسلامية.

يختم سماحته قدس سره هذا الاستشراق بروحٍ يملؤها الأمل والتوكل قائلاً: «إنّ الشعوب تستيقظ الواحد تلو الآخر، وعملاء الاستكبار سيخرجون من الساحة الواحد تلو الآخر، وسوف تتضاعف شوكة الإسلام واقتداره، إن شاء الله، يوماً بعد يوم.

(١) الإمام الخميني، صحيفة الإمام، مصدر سابق: ج ٢١/ ص ٩٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٠.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١٩م.

رَبَّنَا، اجْعَلْنَا جَدِيرِينَ بِهَذِهِ النِّعَمِ الْكُبْرَى وَشَاكِرِينَ لَهَا، اَللّهُمَّ نَوِّرْ
قُلُوبَنَا بِنُورِ مَحَبَّتِكَ وَمَعْرِفَتِكَ وَأَوْلِيَاءَكَ، وَاشْمَلْنَا بِأَدْعِيَةِ الْإِمَامِ
الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْوَاحَنَا فِدَاهُ»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدامه، بتاريخ: ٢٧/١١/٢٠١١ م.



إدارة الوقت

استثمار العمر في سبيل الكمال

بالنظر إلى غاية الإنسان القصوى، وهي الوصول إلى الكمال اللائق بإنسانيته، نجد أنها -وفق المنظومة الإسلامية- لا تتحقق إلّا في ظلّ العبوديّة لله تعالى.

فالأتّصال بنبع الكمال اللّامتناهي هو السرّ في تحلّي الإنسان بصفات الجمال والكمال، وهذا الاتّصال هو التعبير الآخر عن العبوديّة التي تتجلّى في مظاهر متعدّدة، أبرزها تقدير قيمة (العمر) بوصفه رأس المال الحقيقي الذي يسخر من خلاله الإنسان طاقاته لبلوغ مبتغاه.

إنّ قيمة إدارة الوقت تقابلها رذيلتا (الكسل) و(البطالة)، وهما أمران رفضهما الإسلام لما يؤديان إليه من مفساد، وتضييع للفرص.

ومن أبلغ الإشارات القرآنية في هذا الصدد تسمية يوم القيامة بـ (يوم الحسرة) حيث يتجلّى ندم الإنسان على كل لحظة فاتت في الدنيا دون استثمارها في الارتقاء الروحي أو العلمي.

وكان لزاماً على كل مفكر ومبلّغ تصويب مسار المجتمع عبر التنبيه على هذه القيمة، وهو ما نلمسه بوضوح في رؤية سماحة السيد علي الخامنئي رحمته الله.

تنظيم الوقت كأحد مصاديق الجهاد

لا تنحصر حقيقة (الجهاد) في الأبعاد العسكرية فحسب، بل تمتد لتشمل كل بذل للجهد والوسع في سبيل هدف سامٍ وغاية إلهية. ومن هذا المنطلق، يصبح تنظيم الوقت واستثماره في البحث والعلم فعلاً جهادياً بامتياز، بينما يغدو الكسل والاضطراب الزماني رديفاً للتخلف عن ركب المجاهدين.

يؤصل سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره لهذا المفهوم قائلاً: «الجهاد يعني الحضور في ميدان المجاهدة مع السعي الهادف والإيمان، هذا ما يصح أن نقول عنه جهاداً، لهذا فإن قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)، الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، فأين يكون الجهاد بالنفس؟ هل ينحصر بالذهاب إلى الحرب وحمل الأنفس على الأكف لتقديمها؟ كلا، إن أحد أنواع الجهاد بالنفس هو أن تقضوا وقتكم من المساء وحتى الصباح على مشروع تحقيقي أو بحثي من دون أن تلتفتوا إلى مرور الوقت.

الجهاد بالنفس هو أن تضحوا بأوقات ترفيهكم وراحة أجسامكم وتعرضوا عن ذاك العمل الذي يدرّ الكثير من المال والمدخول، وتقضوا وقتكم في هذا المحيط العلمي والبحثي، حتى تستنبطوا



حقيقة علمية حيّة وتقدّموها كباقة ورد إلى مجتمعكم، هذا هو الجهاد بالنفس، وقسم صغير منه هو الجهاد بالمال. إن ميدان التعبئة إذًا، هو ميدان عام لا يختصّ بفئة أو قطاع أو منطقة من البلاد، ولا يختصّ بزمان من دون آخر، ولا ينحصر بميدان من دون غيره، بل هو موجود في الأمكنة والأزمنة والميادين والشرائح كلّها هذا هو معنى التعبئة^(١).

إدارة الوقت ومواجهة الاستغراق في اللذائذ

إنّ كل ما يقع عائقاً في طريق الوصول إلى الأهداف الحضارية والروحية يعد من مضيعات العمر، وتبرز هنا خطورة (حب الشهوات) والركون إلى الدعة والراحة؛ فهي تولّد ملكاتٍ راسخة في النفس تحول دون نهوض الإنسان وقيامه بمسؤولياته.

وقد وجّه سماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه عناية خاصة لجيل الشباب في هذا الصدد، محذراً من اختزال مرحلة الشباب في الالتذاذ المادي واللّهو، مؤكداً أنّ الاستثمار الحقيقي لهذه المرحلة يكمن في طاعة الله التي تترجم في صورة عفة، ودرس، وابتكار.

يقول سماحته قدس سرّه في إحدى كلماته: «من الخطأ أن نتصور أنّ الاستفادة من الشباب تعني الالتذاذ بالشهوات الماديّة للشباب وتسليات الشباب وصرف الوقت باللّهو في هذه المرحلة من

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٣/٠٦/٢٠١٠م.

العمر، ليس هذا بالاستفادة من الشباب، قال الرسول الأكرم ﷺ: «ما من شاب يدع لله الدنيا ولهوها، وأهرم شبابه في طاعة الله، إلّا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً»^(١)، أي إنّ الشاب الذي يحافظ على طهارته وعفّته ويختار عدم الانغماس في الشهوات الماديّة، له عند الله تعالى أجر اثنين وسبعين صديقاً «الطهارة في الشباب منهج نبوي»^(٢) المثل الذي وضعه الله كأسوة للشباب هو النبي يوسف عليه السلام ليس هذا التمتع من الشباب، بل هو عند من «أهرم شبابه في طاعة الله»^(٣)، كما ورد في الحديث، يقضي الشباب في طاعة الله.

إطاعة الله ليست فقط في الصلاة، بالطبع إنّ الصلاة مهمّة وبنّاءة وذات فضيلة عالية، ولكن ليس في هذا فقط، توجد في أفق الحياة الواسع مصاديق كثيرة لإطاعة الله، ومن أهمّها ترك الذنب وحفظ العفّة والطهارة، الدرس الذي تدرّسونه هو أيضاً إطاعة الله، الابتكار الذي تبدعونه هو إطاعة الله»^(٤).

(١) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة: ص ٥٣٥، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢) حكمة.

(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي، مصدر سابق: ص ٥٣٥.

(٤) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٦/١٠/٢٠١١م.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢/٠٢/٢٠١٠م.

متطلبات تنظيم الوقت وإدارته

إنَّ إدارة الوقت في الرؤية الإسلامية ليست مجرد عملية حسابية للساعات والدقائق، بل هي منظومة متكاملة من الوعي والروحانية التي تحرك الإنسان نحو أهدافه الكبرى. ويمكن استخلاص مجموعة متطلبات أساسية تُعد بمثابة المحركات الجوهرية لتنظيم العمر واستثماره وفق رؤية سماحة السيد القائد الخامنئي قدس سره:

١. الروح الجهادية (الوقود النفسي للإنجاز)

تمثل الروح الجهادية الدافع النفسي الذي يجعل الهدف واضحاً وجلياً في عين الإنسان، مما يدفعه لبذل العمر في سبيله بيقين وثبات. إنَّ الإدارة الناجحة للوقت تتطلب تجاوز (الحركة الرتيبة) والتحلل من قيود الثقل والغفلة، والانتقال إلى مرحلة (الهمة الجهادية) التي تجمع بين التخطيط العلمي والقوة المعنوية.

يُوصَل سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره لهذا المتطلب قائلاً: «التوجّه الجهادي، الهمّة الجهادية، الإرادة الجهادية، لا يمكن التقدّم بواسطة الحركة العادية، لا يمكن أن تُنجز الأعمال الكبرى بواسطة الحركة العادية والرتابة والغفلة والثقل أحياناً وغياب الحساسية، المطلوب همّة جهادية وتحرك جهادي وإدارة جهادية، هذا ضروري لهذه الأعمال، على الحركة أن تكون علمية وفي الوقت



نفسه مفعمة بالقوة، وأن تتحلّى بالتخطيط الجيد وكذلك بالروح
الجهادية»^(١).

٢. الالتفات إلى حاجات الناس (بوصلة العمل الاجتماعي)

في المفهوم الإسلامي يذوب الهدف الفردي في غاية كبرى
تخدم البشرية جمعاء؛ فالعابد الحقيقي لله هو من يرى في خدمة الناس
تجلياً لعبوديته.

٣٠٥

ويصبح تنظيم الوقت استجابةً لحاجات المجتمع ومشاكله، وهي الوظيفة
الأساسية التي تقع على عاتق المسؤولين، إذ يتحول اغتنام (كل ساعة
ولحظة) إلى واجب شرعي ووَطَنِي يهدف لحل العقد وتذليل العقبات.
يشير سماحته فَلَيْسَ إلى هذا الارتباط الوثيق بين المسؤولية وإدارة الوقت:
«وظيفة المسؤولين هي العمل واغتنام الوقت لخدمة الشعب،
واغتنام كل لحظة وكل ساعة للعمل، وحل العقد ومعالجة
المشكلات، والواجب العام حيال المسؤولين هو الثقة بهم
ومواكبتهم ودعمهم ومساعدتهم، إذا كان لدى أحد وجهة نظر
للمساعدة فليذكرها»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي فَلَيْسَ، بتاريخ: ١١/٠٣/٢٠١٤م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي فَلَيْسَ، بتاريخ: ١٩/٠١/٢٠١٠م.

٣. الوعي والبصيرة (الدافع القلبي للإبداع)

إنَّ قيمة الوقت المبذول لا تقاس بكميته فقط، بل (بنوعيته) والدافع الكامن خلفه، فالوعي بالمصلحة العامة والبصيرة بالدور الملقى على عاتق الفرد هما ما يجعلانه يبذل ساعات إضافية من وقته وجهده - دون انتظار ثناء أو مقابل مادي- من أجل إنجاز العمل بأعلى جودة ممكنة.

هذا (الدافع القلبي) المركب من الإيمان والوعي هو المحرك الحقيقي للإبداع والابتكار، وهو ما يُحفظ في (دفتر الكرام الكاتين) كعمل استثنائي مميز.

يفصل سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام في حقيقة هذا الدافع: «ما لم يكن ثمة دافع قلبي لا يمكن لأي أحد أن يعمل هكذا لمجرد صدور القرار، ومن أجل أنه مأمور فحسب، وأحياناً، لا يمكن لأحد أن يفهم حجم العمل، وقد ذكرت مراراً في التشكيلات الإدارية التي تأتينا: يكون في يد أحدكم ملفٌ أو مشروعٌ أو عملٌ فيقول في نفسه: فلأنه، فينتهي الوقت الإداري وتكونون متعبين، لكن تقولون في أنفسكم: علي أن أنهي هذا العمل وأذهب، فتبقون بعد نهاية الدوام بساعة أو ساعتين ولا تطلعون رئيسكم ولا تسجلون وقتاً إضافياً ولا يطلع أحدٌ على ذلك، ولكنكم تكونون قد أدّيتم العمل وأنجزتموه، فمثل هذا الأمر له قيمة عظيمة، وهذا يُحفظ في دفتر الكرام الكاتين، فكتاب أعمالنا المأمورون من



جانب الربّ تعالى يعظّمون مثل هذه الأعمال خصوصاً، إنّ هذا العمل يمثّل عملاً عظيماً، ونوعٌ آخر من الأعمال المميّزة وهو الذي يتعلّق بالكيفيّة، أداء العمل بكيفيّة جيّدة وبشكل أعلى، فالإنسان يمكنه أن ينجز عملاً على شاكلتين: ثمة طريقة أسهل لكنّه يختار الطريقة الأصعب من أجل أن يرفع من كيفيّة العمل، ومثل هذا يتطلّب دافعاً يجعل هذا العمل مميّزاً، وثمة نوع من الأعمال يرتبط بالابتكار والخلّاقية، إيجاد الطرق والأساليب الجديدة والأكثر فاعليّة، سواء في الأعمال المحدودة أو العامّة، حيث يلزم الفكر والسعي، فيقول بعضهم هنا: دعه، ولننجز العمل كما يقوم به الآخرون، وبعضهم يقول: كلّاً، فهم يريدون أن يقدّموا عملاً إبداعياً وخلقاً، وهذا ما يتطلّب دافعاً، فبدون الدافع لا يمكن أن تتحقّق مثل هذه الأعمال سواء من الناحية الكميّة أو الكيفيّة، فما هو هذا الدافع؟ إنّ هذا الدافع مركّب من الإيمان والوعي، فهذان الأمران يعطيان الإنسان الدافع: أن يكون مؤمناً وأن يكون واعياً^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٣/٠٧/٢٠١٠م.

٤. فقه الأولويات ومعرفة الوقت المناسب للأعمال

لا تكتمل إدارة الوقت بمجرد بذل الجهد والنشاط، بل لا بد أن يقترن ذلك بـ (فقه الأولويات) أي معرفة الزمان الأنسب لكل فعل. فالقيام بالعمل في غير وقته المحدد قد يؤدي إلى نتائج عكسية، أو يمثل تقدماً لـ (المهم) على (الأهم).

إنَّ التاريخ الإسلامي يزخر بالعبر حول نخبٍ ضيّعت فرصاً تاريخية بسبب غياب الحسابات الدقيقة للتوقيت.

فإنَّ الإدارة الناجحة للوقت تتطلب عقلية حسابية قادرة على توزيع المهام وفق موازين التزاحم والمصلحة.

يشير سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره إلى هذه الدقة بقوله: «ينبغي معرفة الوقت المناسب، إذا لم يعرف المرء الوقت ولم يدر أي شيء يقوم به في أي وقت، فقد تصدر عنه أخطاء كبيرة، وشبابنا التعبويّ - سواء البنين أو البنات - يعملون في مجالات شتى... المجالات الفكرية والعلمية والسياسية والاجتماعية، هذه الأعمال كلّها إذا كانت لله ومن أجل أداء الواجب، كانت جهاداً في سبيل الله، التعبويّ هو الذي يقوم بهذه الأعمال، وينبغي في جميعها الحفاظ على ذلك الخطّ الواضح المشرق الصحيح»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٣/٠٧/٢٠١٠م.

السعي المستمر (عزمٌ لا يعرف الكلل أو التقاعد)

إنَّ نمط الحياة الإيماني لا يترك مجالاً للكلل أو الفوضى، إذ تُعد إدارة العمر مظهراً أصيلاً من مظاهر العبودية لله تعالى.

وبما أنَّ الله وعد أوليائه بحتمية تحقق الأهداف السامية، فإنَّ دور المؤمن يكمن في (تمهيد الأرض) عبر السعي الدائم الذي لا يحده زمان ولا يقيده سنٌّ معين، إنَّ السعي في منطق الثورة والإسلام لا يعرف معنى (التقاعد)، بل هو اتصالٌ دائم في الخدمة، يستمد فيه الشيوخ القوة من

نشاط الشباب، ويتعلم فيه الشباب الحكمة من تجربة الشيوخ.

ويختم سماحته ﷺ برسم ملامح هذا العزم المستمد من تراث أهل البيت عليه السلام: «المستقبل مستقبلٌ واضحٌ والأفق جيّدٌ، غاية الأمر أنَّ هذا لا يعني أن نضع رؤوسنا على وسادة من حرير وننام، بل يجب العمل ويجب السعي، والسعي لا يعرف الوقت ولا يعترف بحدٍّ، ولا يعرف التقاعد.

ففي جميع مراحل حياة الإنسان يبقى المجال للسعي، ويجب علينا أن نتعرّف هذا المجال فتحرّك بعزمٍ وهمّةٍ وجدّيّةٍ: «قوَّ على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي»، هذا ما يطلبه أمير المؤمنين عليه السلام من الله تعالى في دعاء كميل ويعلمنا إياه، ثمَّ يتبعه قائلاً: «وَهَبْ لي الجِدَّ في خشيتك» فلنعلم أنَّ الله حاضرٌ وناظر وليكن مثل هذا الشعور جديّاً وليس مجرد قلق لسان، «والدوام في الاتّصال بخدمتك»، فلا نقطّع أوقات الخدمة، بل

نوصلها ببعضها بعضاً، وإن شاء الله سيمنحنا شابناً، نحن الشيوخ
القوة والنشاط ويعلموننا كيف نتحرّك»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/٠٩/١٩ م.



البيئة في الإسلام

رؤية كونية ومسؤولية شرعية

تُعد قضية البيئة في المنظور الإسلامي من القضايا الجوهرية التي تتماس مع صلب العقيدة، إذ يعبر الدين عن الإرادة الإلهية المنظمة لمختلف مجالات الحياة.

وتتجلى ربوبية الله تعالى الشاملة في وضع التشريعات التي تضبط حركة الإنسان ضمن أربع دوائر تكاملية:

- علاقة الإنسان برّبه: وتتمثل في العبادات والقيم الروحية والمعنوية.
- علاقة الإنسان بنفسه: وتشمل التزكية الأخلاقية والنظافة الشخصية.
- علاقة الإنسان بغيره: وتنظم المعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.
- علاقة الإنسان بالطبيعة: وتتعلق بحفظ النظم الطبيعية وضمان اتزان البيئة.

وتندرج حماية البيئة تحت عنوان (التدبير الإلهي)، حيث يُعد الإنسان مكلفاً شرعاً بتنظيم علاقته بالطبيعة.

ويشير سماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه إلى شمولية الرسالة السماوية قائلاً: «غير اللائق حصر ما جاء به الرسل، في إطار الممارسات الفردية للإنسان، وعلاقته الروحية بالخالق تعالى، وتضييق دائرة

هذه الرسالة العظيمة إلى الحدّ الذي لا تشمل علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الفرد بالمجتمع وبالبيئة، وبناء نظام اجتماعيٍّ وسياسيٍّ»^(١).

«ولا يقتصر الأمر عند هذا الحدّ، بل إنّ الهدف الأسمى للإنسان الذي خلقه الله تعالى لأجله -ألا وهو العبوديّة والقرب من الله- لا يتمّ إلّا من خلال قيام الإنسان بتحسين علاقته بالطبيعة والبيئة، وذلك لأنّ الإنسان يتأثّر بالطبيعة المحيطة به إيجاباً وسلباً، فإنّ سلامة البيئة التربويّة للإنسان تعني أن يتعاطى الإنسان مع ربّه وذاته وابن جلدته والطبيعة من حوله، بسلامٍ ووثاقٍ»^(٢).

الطغيان الإنساني وأثره في تدمير الطبيعة

في الرؤية الإسلامية، لا يُنظر إلى تلويث البيئة كخطأ تقني أو إداري فحسب، بل هو (عارض إيماني) ناتج عن حالة الطغيان والتكبر. فالتمردّ على الله يولد نزعة استعلائية تجعل الإنسان يعتدي على حقوق أقرانه من البشر (ظلم اجتماعي) أو يتجاوز حدوده مع الطبيعة (إفساد بيئي).

يُشخص سماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه هذه الظاهرة بقوله: «إنّ التمردّ والتكبرّ على الله تعالى يؤدّي إلى تنمية حالة الطغيان عند الإنسان،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: جمادى الأولى ١٤٢١هـ.ق.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: جمادى الأولى ١٤٢١هـ.ق.



فإن كان هذا التكبر على الناس، فسيؤدي إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، والتجاوز والتطاول على حقوق هذا وذاك، وإذا كان على الطبيعة، فسوف يؤدي إلى التفريط بالبيئة الطبيعية، أي إن ما نراه اليوم من اهتمام بمسألة البيئة في العالم، يجعلنا نعدّ عدم الاهتمام بالمناخ الطبيعي للبيئة التي يعيش فيها الإنسان، من مصاديق الطغيان والتكبر والأناية التي نقوم بها إزاء الطبيعة»^(١).

الرؤية الإسلامية للأرض والطبيعة (توازن كوني ومسؤولية أخلاقية)

تتجاوز النظرة الإسلامية للبيئة الحدود المادية الصرفة، لتجعل من الطبيعة محضاً لتربية الإنسان وصياغة كماله الروحي. وفي ضوء رؤية سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام، يمكن بلورة ملامح هذه الرؤية الكونية في المحاور الآتية:

١. البيئة والمنظومة التربوية للإنسان

يهتم الإسلام بقضية البيئة بوصفها عاملاً أساسياً في تهذيب النفس، فالتوازن البيئي هو انعكاس للتوازن الروحي، وأي خلل يلحق بالطبيعة نتيجة الأناية أو التجبر الإنساني سيؤدي حتماً إلى أزمة وجودية تطال الإنسان في صميم حياته.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٩/٠٩/١٤٢٧ هـ.ق.

يُؤصل سماحته ﷺ لهذا الهدف الأساسي قائلاً: «إنَّ الإسلام والأديان الإلهية تريد أن تحفظ التوازن بين الإنسان والطبيعة، وهذا هو الهدف الأساسي والأهم».

حين يختلّ هذا التوازن، نتيجةً لبعض العوامل، كأنانية الإنسان، وحبّ السلطة، وتجبرّ بعضنا نحن البشر وعنجهيته، فلا يحفظ هذا التوازن، حينها، ستحدث الأزمة البيئية، الأزمة التي ستلحق الضرر بجميع البشر، وستطال جميع الأجيال»^(١).

٢. مشاعية الأرض وحقوق الأجيال

يقوم نظام الحقوق في الإسلام على شمولية الانتفاع، فالأرض ليست ملكية خاصة لجيل دون جيل أو فئة دون أخرى، بل هي حق (للأنام) قاطبة.

وهذا الحق يستند إلى قيمة إلهية تجعل من الحفاظ على موارد الأرض واجباً تجاه الأجيال القادمة.

يستلهم سماحته ﷺ هذا المبدأ من النص القرآني موضحاً: «تقول إحدى الآيات: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾^(٢)، لقد خلقنا هذه الأرض، هذه الكرة الأرضية للبشر، فهي لهم جميعاً، ليست خاصة ببعضهم وليس لبعضٍ فيها حق أكثر من غيره وليست لجيل دون



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٣/٠٨ م.

(٢) سورة الرحمن، الآية ١٠.

جيل، هي اليوم لكم وغداً لأبنائكم ولأحفادكم ولنسلكم عن آخره وهذا يصحّ فيما يتعلّق بسطح الكرة الأرضية بأكمله، لقد خلقت الأرض من أجل البشر وهي لهم.

ولدينا آية تقول: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١) فإذا كلّ ما في الأرض وما يلحق بها، مخلوق أيّها البشر من أجلكم وبما أنّها لكم ولصالحكم ولأجلكم، لا يحقّ لكم أن تفسدوها، كلّ ما فيها قيم، قد تكون بعض الأشياء بنظر الإنسان السطحيّ ذات قيمة دون غيرها، لكنّ هذه كلّها قيّمة»^(٢).

٣. الناس مكلفون بعمارة الأرض واكتشاف الكنوز

إنّ التكليف الإلهي للإنسان يتجاوز مجرد العيش على الأرض إلى (إعمارها) وهو مفهوم يتطلب تفعيل الطاقات الكامنة واستكشاف الإمكانيات غير المكتشفة في المنظومة البيئية (الماء، والتراب، والهواء) بما يخدم تكامل المجتمعات البشرية وتحقيق العدالة.

يبين سماحته ﷺ هذا الواجب الملقى على عاتق البشر: «إعمار الأرض هذا الإعمار الذي يخرج الإنسان به كنوز الأرض، يسير في الوقت نفسه على طريق حفظ النوع وتكامل المجتمعات في طريق تحقيق العدل الإلهي التام».

(١) سورة البقرة، الآية ٢٩.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٣/٠٨ م.

يقول سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره: «لدينا آية أخرى تقول: ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(١)، إنّ الله الذي خلق الأرض وخلقكم، كلّكم إعمار هذه الأرض، وهذا يتطلّب تفعيل الإمكانيات الكامنة في منظومة الكرة الأرضية، هناك الكثير من الإمكانيات غير المكتشفة والتي ستُكتشف وتُعرف أهميّتها وقيمتها في ما بعد، وهذا عمل يقع على عاتقكم، أنتم المكلفين بهذا العمل، نحن اليوم نخال أننا نستفيد من جميع إمكانيات الأرض، لكن واقع الأمر مختلف، لعنّا بنحو ما، نستطيع أن نستفيد ملايين أضعاف ما نستفيدة اليوم من الماء والتراب والهواء، ومن المواد الدفينة وما ينتجه سطح الأرض، ولكننا نجهل ذلك، يجب أن يستكشف البشر الإمكانيات الجديدة دائماً وأن يستخدموها لصالح حياة البشرية»^(٢).

٤. إفساد البيئة (سمة الدّ الخصام)

يصنف القرآن الكريم تخريب البيئة -إهلاك الحرث والنسل- كواحد من أخبث أفعال الأعداء وأشدّها فساداً. وهذا التوصيف القرآني ينطبق تماماً على السياسات الدولية المعاصرة التي تسعى للسيطرة عبر تدمير الموارد الحيوية للشعوب.



(١) سورة هود، الآية ٦١.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٣/٠٨ م.

يشير سماحته ﷺ إلى هذا التحذير القرآني: «لدينا آية أخرى تحدث عن ألدّ الخصام، أي إنها تذكر خصائص أَعْدَاءِ الأعداء وأخْبِثِهِمْ وَأَصْعَبِهِمْ وهذه إحداها: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾^(١)، يقضي على الحرث والنسل، يفسدهما، يقضي على الزرع -أي متوجات النبات والإنسان- يقضي عليهما ويفنيهما.

إذا دَقَّقْتُمُ اليوم في السياسات المتَّبعة في العالم، ستجدون أطرافاً ترتكب هذه الأفعال بحقّ جميع الشعوب أو أغلبها، في عصرنا هذا -إهلاك الحرث وإهلاك النسل- وهذا ما يعدّه الله عزّ وجلّ فساداً، فيقول: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(٢)،^(٣).

التربية والتعليم (القنطرة نحو إصلاح البيئة)

لا يمكن تحقيق نهضة بيئية حقيقية بمعزل عن تطوير الوعي الإنساني، فالحفاظ على الطبيعة هو ثمرة لعملية تربوية شاملة. وفي رؤية سماحته، يمثل الارتقاء بمجال التربية والتعليم المدخل الأساسي لتحسين مصير الإنسان وحماية بيئته، حيث يمتد أثر هذا الارتقاء ليشمل الاقتصاد والصحة والفن، وصولاً إلى تعميق القيم الدينية والأخلاقية.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٥.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٣/٠٨ م.

يؤكد سماحته ﷺ على هذا الترابط الوثيق: «إذا ما ارتقى مجال التربية والتعليم وأولِيَ اهتماماً، فسوف يؤدي إلى تحسين الأوضاع في مجال الاقتصاد والسلامة والصحة والبيئة ومصير الإنسان والثقة والجمال والفن والسلوك العام، وعلاوة على ذلك كله، يكون مؤثراً في الدين والفلسفة والأخلاق»^(١).

قضايا بيئية معاصرة (تحديات وحلول)

تتجاوز الرؤية الإسلامية للبيئة النظرة السطحية التي تحصرها في جماليات الطبيعة، لتجعل منها قضية وجودية تتقدم على سائر الملفات السياسية والاقتصادية، ذلك أن الهدف من تقدم البلاد وازدهارها هو توفير حياة كريمة للإنسان، وهي حياة لا تتحقق في ظل بيئة متهاكة. ويمكن استعراض أهم هذه القضايا في المحاور الآتية:

١. الغطاء النباتي (رئة الحياة وأصل الاستقرار)

يُمثل الغطاء النباتي والمساحات الخضراء الضمانة الحقيقية لصحة الإنسان وتوازن المناخ. ومن الخطأ الفادح تصنيف قضايا التشجير والمنتزهات كقضايا (فرعية) أمام ضغط الملفات المالية أو السياسية، ففساد البيئة يبطل جدوى المكتسبات الأخرى كافة.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ١٤/٠٤/١٤٢٧ هـ.ق.

يؤكد سماحة السيد القائد الخامنئي قدس سره على هذه الأولوية قائلاً: «قضايا النباتات والمنتزهات والأشجار وما إلى ذلك، من القضايا الأصلية، ويجب عدم عدها من القضايا الفرعية، صحيح أنه حينما ترصد القضايا الرئيسة في البلاد، تتجه الأنظار نحو الاقتصاد والثقافة والقضايا المالية والسياسية.

هكذا هو الحال عادةً، لكن، لو نظرنا بدقة، لوجدنا أن قضايا الحياة البشرية والبيئة أهم من تلك القضايا، لماذا السياسة؟ ولماذا الاقتصاد؟ ولماذا الخدمات المدنية المتنوعة في البلاد؟ ولماذا أصلاً تقدم البلاد؟ التقدم هو من أجل أن يعيش الناس حياة سليمة صالحة، إذا خربت البيئة، فسوف تبطل كل تلك الأمور، هنا تكمن أهمية البيئة»^(١).

يعدّ الغطاء النباتي والمساحات الخضراء رئة الأرض، لا بدّ من الحفاظ عليه، بل وتطويره، عبر إيجاد مساحات خضراء، مضافاً إلى الحرص على رفع العشوائية العمرانية التي تؤدّي، رويداً رويداً، إلى الحدّ من النبات والمساحات الخضراء «قضية النبات والأشجار والخضرة والحفاظ على أجواء الطبيعة الحية، هي قضية بالغة الأهمية للبلاد، الكثير من هذه الأعراض التي نعاني في مجال الجوّ والهواء والغبار، وعدم سلامة الأجواء في المدن وما إلى ذلك، ناجمة عن قلّة النباتات

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١١/٠٣/٠٨ م.

والمساحات الخضراء، الغطاء النباتي يمكنه أن يساعد البلاد كثيراً^(١).

٢. الاحتباس الحراري (فاتورة الصناعة الجائرة)

تعد ظاهرة الاحتباس الحراري من أخطر التحديات التي تهدد كوكب الأرض، والنتيجة عن تراكم "الغازات الدفيئة" التي أخلت بتوازن الحرارة.

وتكمن خطورة هذه الأضرار البيئية في كونها لا تظهر بشكل مفاجئ، بل تتراكم تدريجياً حتى تصل إلى مرحلة يصعب فيها العلاج أو استحيل. يُشخص سماعته قُلَيْسِي هذا الواقع المعقد بقوله: «مشكلة الغازات الدفيئة»^(٢) ليست بالمشكلة التي يقتصر ضررها على بلد واحد أو جماعة ما، لا، بل تمسّ جميع البشر، لكنّ المشكلة الأساسية في قضايا البيئة هي أنّ علائم الأضرار لا تنكشف بسهولة وبسرعة، وحين تظهر لنا، نجد أنّ علاج بعض هذه الأضرار والمشاكل طويل الأمد، وعلاج بعضها الآخر مستحيل»^(٣).

ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ الصناعات التي لها دور في تسهيل حياة البشر، لها آثار جانبية قد ترجّح جانب الضرر على جانب النفع.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْسِي، بتاريخ: ١٣٩٥/١٢/١٨ هـ.ش.

(٢) مجموعة من الغازات التي تقوم بدور في حصول ظاهرة الاحتباس الحراري. وهذه الغازات هي: كلور، فليور، كاربون، وتختصر بـ (c.f.c.s)

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْسِي، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٣/٠٨ م.



وهذه من المسائل التي ابتليت بها الأرض والبيئة، بعد الثورات الصناعية والتكنولوجية، «صحيح أن البشر في وقتنا الراهن يتنفعون بشيء، لكنهم في المقابل يلحقون الضرر بشيء آخر، فقد اخترعوا الطاقة النووية، لكنهم استخدموها لقتل الإنسان، واستخرجوا النفط من أعماق الأرض، لكنه يستخدم لتدمير البيئة وتلويثها، وهو ما حصل خلال القرن الأخير، حيث اخترع الإنسان الآلات المحركة والطاقات الكامنة، من قبيل قوة البخار وغيرها، لكنهم جرّعوا الإنسانية شتى الابتلاءات البدنية، عن طريق المشاكل التي تخلفها الحياة المادية لبني البشر، إنها توفر السرعة والسهولة للإنسان، لكنها تسلب منه الكثير»^(١).

إن التقدم التكنولوجي والصناعي، رغم ما وفره من سهولة وسرعة، قد جرّ على البشرية ويلات صحية وبيئية كبرى.

وتبرز الضرورة الملحة لفرض رقابة بيئية صارمة على المصانع، وإرفاق (ملحق بيئي) لكل مؤسسة صناعية، وهو منهج يجد تأصيله في التعاليم الإسلامية السبّاقة لرعاية البيئة: «من المؤشرات الأساس التي يجب أخذها بنظر الاعتبار في صناعة المحركات وجميع الأجهزة والصناعات، قضية البيئة تخريب البيئة من الأمور التي يشعر الشعب أو المنطقة الجغرافية أو العالم كله أحياناً بضررها، حينما لا تكون ممكنة التفادي والتعويض، قضية البيئة قضية هامة جداً، وقد

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٤٢١/١٢/١٨ هـ.ق.

شدّد الإسلام بدوره على البيئة ورعايتها، الحفاظ على البيئة ورعايتها، قضية توصّل إليها العالم مؤخراً، وقد كانت من ضمن التعاليم الإسلامية، هذه أيضاً نقطة هامة جداً يجب التنبّه لها»^(١).

٣. ذوبان الجليد القطبيّ (تبعات الاستغلال)

تمثل قضية ذوبان الجليد في القطبين تجلياً صارخاً لغياب المسؤولية الإنسانية، إذ يؤدي هذا الذوبان إلى ارتفاع منسوب مياه البحار وتغيرات بيئية لا يمكن تعويضها لقرون طويلة. ويربط سماحة السيد القائد هذا التدهور بنزعة الجشع الرأسمالي التي تسعى لتحويل الثروات العامة إلى مكاسب شخصية ضيقة. يقول سماحته عليه السلام: «مسألة ذوبان الجليد القطبيّ مثلاً... وهي مشكلة تؤدّي إلى ارتفاع منسوب مياه البحار، وتؤثّر في الكثير من المسائل البيئية المتنوّعة، هذه أمور لا يمكن التعويض عنها خلال عشر سنوات، أو عشرين سنة، أو مئة سنة! هذه تبعات دائمة على البشر، وهذا يعني أنّه حين تظهر مجموعة من الناس لا تشعر بالمسؤولية، وتسعى إلى تحويل ثروات العالم العامة إلى ثروة شخصية، وتستغلّ أيّ شيء لتحقيق ثراء أكبر، علينا أن ننتظر نتيجة من هذا النوع»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٩/٠٣/٢٠١٠م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٠٨/٠٣/٢٠١٥م.

خطوات الإصلاح البيئي (نحو استراتيجية وطنية شاملة)

لا تتوقف المعالجة الإسلامية لقضايا البيئة عند حدود الوعي الفردي، بل تمتد لتشمل صياغة أطر قانونية ومؤسسية تضمن حماية الموارد الطبيعية. ومن وحي توجيهات سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره، يمكن تحديد ثلاث خطوات مفصلية للإصلاح البيئي:

١. الميثاق الوطني والملحق البيئي الشامل

تبدأ أولى خطوات الإصلاح بوضع "ميثاق وطني" يجمع كافة القوى والأجهزة تحت مظلة واحدة، مع ضرورة إلزامية إرفاق "ملحق بيئي" لكل مشروع إعماري أو صناعي أو تجاري، إنَّ هذا الملحق يضمن الشفافية في معرفة التأثيرات البيئية قبل البدء في أي نشاط ميداني. يؤكد سماحته قدس سره على هذا البعد التنظيمي قائلاً: «وضع ميثاق وطني للقضايا البيئية، ثمَّ لدينا تعاون الأجهزة، يجب أن تتعاون جميع الأجهزة جدياً... ثمَّ هناك الملحق البيئي لجميع برامج الإعمار، يجب أن يكون هناك ملحق بيئي حتماً، لجميع برامج الإعمار، من مدنيّ وصحراويّ وصناعيّ وسائر المشاريع، إذا أردتم فتح طريق، يجب أن يكون نوع التأثير البيئي واضحاً، أو كان من المقرر بناء مصنع، يجب أن تعلم ماهية تأثيره في البيئة، كذلك بعض المسائل

التجاريّة، بعض أنواع التبادل التجاريّ والأنشطة التجاريّة، هذه يجب أن تَرفَقَ بملحق بيئيٍّ»^(١).

٢. التجريم القانوني لإتلاف البيئة والملاحقة القضائية

تقتضي حماية البيئة وجود رادع قانوني قوي، فالموارد الطبيعية هي ملكٌ عام لا يجوز العبث به.

تبرز الحاجة إلى مراجعة القوانين الحالية لتصنيف (إتلاف البيئة) كجريمة يعاقب عليها القانون، وتفعيل دور القضاء في ملاحقة المتجاوزين دون استثناء.

يشير سماحته فليتس إلى هذه الضرورة التشريعية: «يجب أن يركّز القضاء والأجهزة المعنية، وقبلهما قوانين المجلس على هذا الموضوع، طبعاً، لدينا الآن قوانين، وهي قوانين جيّدة، لكنّها تحتاج إلى مراجعة، يجب التعامل مع إتلاف البيئة كجريمة، وتجب ملاحقته كجريمة»^(٢).

٣. الرقابة الصارمة وبناء الثقافة المجتمعية

يمثل بناء (الثقافة البيئية) الركيزة المستدامة للإصلاح، ويبدأ ذلك من المراحل التعليمية الأولى عبر إدراج قضايا البيئة في الكتب الدراسية؛ ليتشكل لدى الطفل حسٌّ عالٍ تجاه الماء، والتراب، والغابات.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي فليتس، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٣/٠٨ م.

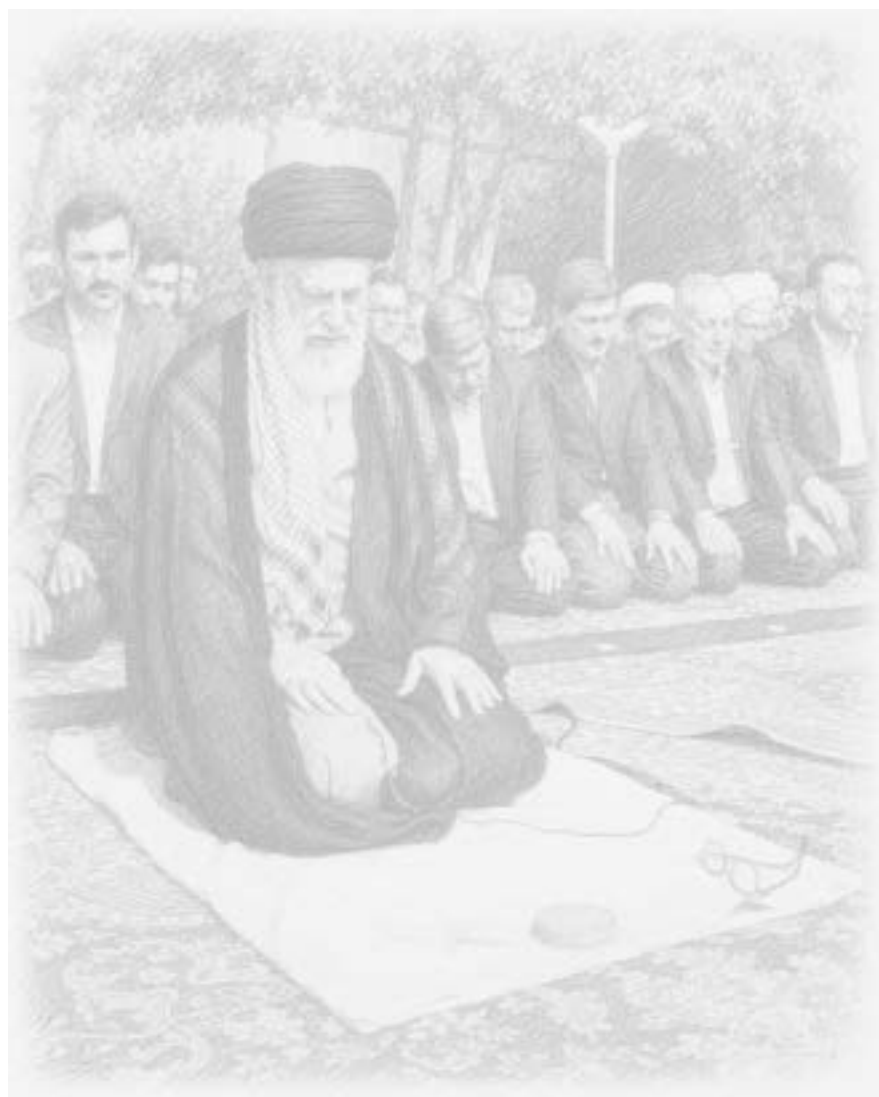
(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي فليتس، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٣/٠٨ م.

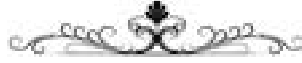


وبالتوازي مع التعليم، يجب تفعيل الرقابة المباشرة من قبل رؤساء الأجهزة، وتعزيز دور الإعلام الوطني في نشر هذا الوعي.

يفصل سماحته ﷺ في هذا المسار التربوي والرقابي: «يجب تفعيل الرقابة، من دون أيّ تساهل، وليشرف رؤساء الأجهزة بصورة مباشرة على العمل ولعلّ بناء الثقافة هو الأهمّ، بمعنى من المعاني وبناء الثقافة يعني أن يعرف الناس مدى أهميّة الحفاظ على البيئة، وهو ما يجب أن يبدأ من المرحلة الابتدائية، وأن يدرّج في الكتب الدراسية، يجب أن يتعرّف أطفالنا على أهميّة المرعى والغابة والهواء والماء والتراب والبحر وأمثال ذلك، يجب أن يعرف طفلنا هذه الأمور منذ الصغر، وأن يكون حسّاساً تجاهها، يجب أن يصبح الحفاظ على البيئة جزءاً من ثقافة الناس، طبعاً يجب أن لا نغفل عن دور الإعلام الوطني، إذ على الإعلام الوطني أن يؤدّي دوره حتماً، ولكنّ الناس يستطيعون أن يعملوا على هذا الموضوع أيضاً»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٣/٠٨ م.





الفضاء الافتراضي

الامتداد الرقمي للحياة المعاصرة

١. واقعية الفضاء الافتراضي وتجذره في الحياة

لم يعد الفضاء الافتراضي مجرد وسيلة تكميلية أو فضاء منعزلاً عن الواقع، بل استحال في الرؤية القيادية لسماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام إلى ركيزة أساسية وميدان حيوي تتشكل فيه ملامح الحياة الحديثة.

إن تسميته بـ (الافتراضي) لا تنفي عنه صفة الواقعية، فهو حاضر في أدق تفاصيل السلوك البشري، العلمي والاجتماعي والمعلوماتي، بل إنه أضحى في كثير من جوانبه أوسع نطاقاً وأكثر تأثيراً من الفضاء المادي التقليدي.

يصف سماحته عليه السلام هذه الموقعية الاستراتيجية قائلاً: «إنَّ الفضاء الافتراضيَّ بات اليوم جزءاً أساسياً من حياة الناس^(١)، بل لقد أصبح أكبر من فضاء حياتنا الحقيقيِّ بأضعاف، بل إنَّ بعض الناس أساساً أضحى يتنفس في هذا الفضاء، وتتحرك حياته فيه، للشباب تواصلهم مع هذا الفضاء وارتباطهم بشتّى أقسامه وأنواعه وبيئاتهم

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٣/٠٨/٢٠٢٠ م.

العلمية وبشبكة العنكبوتية وبشبكات تواصله الاجتماعي، وتبادله للمعلومات وأمثال ذلك»^(١).

ويؤكد في موضع آخر على هذا الاندماج الكامل بين العالمين: «إنّ هذا الفضاء اسمه فضاء افتراضي، لكنّه في الواقع فضاء حقيقي، بمعنى أنّه حاضرٌ داخل حياة الكثير من الناس»^(٢).

٢. آفاق لا متناهية (الفضاء الافتراضي كمنصة إعلامية عالمية)

يتميز الفضاء الافتراضي بكونه ساحة عابرة للحدود والقيود التقليدية؛ فهو يتسم بالنمو الدائم والسيولة الفائقة التي جعلت من كل فرد (وسيلة إعلامية) قائمة بذاتها.

لقد كسر هذا الفضاء احتكار الأدوات التقليدية للطباعة والنشر، مفسحاً المجال أمام حركة عالمية لا نهائية من تداول المعلومات والأفكار، مما يجعله فضاءً ممتداً بلا آخر.

يشير سماحته عليه السلام إلى هذه الخاصية الانفجارية للفضاء الرقمي بقوله: «إنّ الفضاء الافتراضي اليوم هو صحراء لا نهاية لها، ويمكن التحرك فيها من جميع الجهات، لم يعد الأمر كالسابق، حيث كنتم إذا أردتم بيان مطلب ما تضطرونّ إلى كتابته على الأوراق ثمّ تستنسخونه أو تطبعونه وتصوّرونه عشر نسخ أو مئة أو مئتي

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٥/٢٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٧/٠٨/٢٨ م.



نسخة، الوضع الآن ليس هكذا، كل شخص يمكنه استخدام الحاسوب كوسيلة إعلامية»^(١).

ويضيف حول طبيعة نموه المطرد: «إنَّ الفضاء الافتراضي هو عالم دائم النمو، ولا يتوقف، أي أنه لا آخر له حقاً، كيفما نظر الإنسان فسيجد أنَّ الشيء الذي له أول وليس له آخر، هو الفضاء الافتراضي، كلما تقدّم الإنسان في هذا الفضاء، يجده مستمراً هكذا بلا نهاية»^(٢).

٣. مسؤولية الكلمة في (ساحة الجميع)

إنَّ شمولية الفضاء الافتراضي وإتاحة الفرصة للجميع لإبداء الرأي قد أفرزت تحديات أخلاقية وحقوقية بالغة التعقيد. فغياب الرقابة الذاتية أو الانضباط المعرفي قد يحوّل هذا الفضاء إلى منصة لإصدار أحكام جائرة، أو كيل التهم والشتائم، أو زعزعة الثقة بالمؤسسات السيادية والقضائية عبر نشر معلومات غير موثقة، وهو ما يستوجب وقفة جادة تجاه (مسؤولية الكلمة).

يلفت سماحته قدس سرّه إلى هذه الانعكاسات السلبية قائلاً: «في الفضاء الافتراضي حيث أصبح هذا أمراً رائجاً - الكثير من الناس يطرحون آراءهم ونظراتهم، بل يحاكمون ويصدرون الأحكام القضائية، ويجلسون مكان القاضي من خلال كلامهم وكتاباتهم،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٦/٢٠٩/١٤٠٦ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٦/٢٠٨/١٤٠٢ م.

ويستنتجون ويعملون وفق هذه النتيجة، أحياناً يكيلون السباب والشتائم، أو يوجهون التهم ويقومون بمثل هذه الأفعال»^(١). ويحذر من نتيجة غياب المبالاة في الطرح الرقمي: «يفعل الفضاء الافتراضي، حيث يقولون فيه: كل ما يحلو لهم، بدون مبالاة- فيتكلم هؤلاء أيضاً على هذا النحو، فينشرون شيئاً صغيراً غير معلوم وغير موثوق ويكون فيه إضعاف وزعزعة للسلطة القضائية، يجب ألا يكون الأمر على هذا النحو»^(٢).

جبهة الصراع القيمي والمعرفي (معركة سلاح آخر)

١. معركة الأسلحة الناعمة واستهداف الهوية

ينظر سماحة السيد القائد الخامنئي إلى الفضاء الافتراضي بوصفه ميداناً لمعركة ضروس تُستخدم فيها أسلحة غير تقليدية، حيث يسعى الأعداء لاستثمار هذه المساحة الرقمية لتقويض ركائز الاقتدار المعنوي للأمة، وفي مقدمتها (الإيمان الإسلامي). إنَّ هذا الاستهداف لا يقتصر على الحاضر، بل يمتد ليطال الأجيال الصاعدة في محاولة ممنهجة لتغيير هوية المستقبل، لا سيما وأنَّ هذا الفضاء يُدار في كثير من أبعاده من قوى خارجية تسعى لتوجيهه وفق مصالحها.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٧/٠٦/٢٠٢٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٦/٠٦/٢٠١٩ م.



يُؤصل سماحته ﷺ لهذا الواقع الاستراتيجي قائلاً: «إن كنتم من متابعي شبكات التواصل الاجتماعي والفضاء الافتراضي، ستعرفون وتدركون جيداً ما أقول وأعني، حيث بات [الأعداء] يستخدمون الطرق كلها لإضعاف إيماننا الإسلامي، وضربه، من نحن؟ هل المقصود أنا الشيخ السبعيني أو الثمانيني؟ كلا، فإنهم غير قلقين كثيراً بالنسبة إلينا، وإنما يستهدفون إيمان الجيل الذي يأتي بعدنا وجيل ما بعد جيلنا، وها هم يبذلون جهودهم في هذا المجال، إذاً فإن أحد مجالات اقتدارنا وقوتنا هو إيماننا الإسلامي، هذا من أهداف عداوتهم لنا.

إنّ هذا الفضاء الافتراضي بات يدار من الخارج بعيداً من سيطرتنا، فالفضاء الافتراضي ليس كالماء الزلال الذي يمكن للإنسان أن يستعمله كيفما شاء، وإنما هناك من يدير هذا الفضاء إلى الوجهة التي يريدّها»^(١).

٢. التوظيف الرسالي (تحويل التهديد إلى فرصة)

رغم المخاطر الجسيمة التي يكتنفها العالم الافتراضي، إلا أنّ الرؤية القيادية لا تغفل عن كونه ساحة حافلة بالفرص والمنافع التي يمكن استثمارها في الاتجاه المعاكس.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ١٤/٠٦/٢٠١٦م.

فكما يسعى العدو للهدم، يمكن للشباب المؤمن - من العلماء وغيرهم - استغلال هذه المنصات لنشر المعارف الإسلامية والمفاهيم الأصيلة على مستوى عالمي، مما يؤدي إلى إرباك جبهة العدو وكسر احتكاره للتوجيه الفكري.

يقول سماحته قُلَيْبُ في تبيان هذا المسار: «إنَّ مجال [العالم الافتراضي] يوجد فيه منافع لا تحصى ومضارٌّ لا تحصى، ويمكن اكتساب الحدِّ الأكثر من المنافع، وهذا هو العمل الذي يقوم به العدو. أنتم أيضاً يمكنكم الاستفادة بالحدِّ الأكثر في الجهة المعاكسة، انشروا المفاهيم الإسلامية والمعارف الإسلامية من دون أيِّ مانع أو رادع، كما يقوم حالياً بعضٌ من هؤلاء الناس المؤمنين، من الشباب المؤمن، من المعمِّمين وغير المعمِّمين، العلماء وغير العلماء - بعض هؤلاء الشباب من غير العلماء الذين هم أكثر نشاطاً وفعالية في هذا المجال - بإنجاز أعمال جيِّدة جداً، فجأة ينشرون على مستوى العالم مطلباً ما، مفهوماً ما، فكرة معيَّنة، ويروجونها، ما يربك الطرف المقابل فيحار ماذا يفعل»^(١).

٣. استراتيجيات العدو في الحرب الرقمية

يُشخِّص سماحة السيد علي الخامنئي قُلَيْبُ أبرز المخاطر الناتجة عن استغلال الأعداء للفضاء الافتراضي، والتي تهدف في جوهرها إلى

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبُ، بتاريخ: ٢٠١٦/٩/٦ م.



إنزال أقسى الضربات بالبنية الفكرية والروحية للمجتمع، وذلك عبر ما يلي: «يهدف العدو، من خلال حربه المستعرة في الفضاء الافتراضي، إلى إنزال أقسى الضربات بشعوبنا وشبابنا، من خلال:

أ. السيطرة على الأجواء الفكرية والروحية:

تستهدف الحرب الناعمة إخراج الجماهير من ساحة المقاومة وجعلهم غير مباينين بالمثل العليا.

إنّ الضغوط الاقتصادية والسياسية ليست سوى أدوات لخدمة هذا الهدف الأسمى، وهو السيطرة على العقول والقلوب.

وقد وصلت عدوانية العدو إلى حد تشكيل مقار قيادة متخصصة في دول مجاورة لإدارة الاضطرابات عبر الفضاء الرقمي.

يوضح سماحته عليه السلام هذا المخطط بقوله: «إنّ هدف حرب العدو

الناعمة وحربه الخفية، هو أن يبعد الناس عن ساحة الجهاد والمقاومة، وجعلهم غير مباينين بالمثل العليا، هذا هو هدفهم، وهم

يديرون هذه الحملات الإعلامية الواسعة، التي ينفقون عليها

المليارات، لتحقيق هذا الهدف، وهو تئيس الشعب الإيراني الذي

استطاع، بمقاومته وصموده، إفشال الكثير من مخططات القوى

العالمية والأنظمة الكبرى، وإخراج هذا الشعب من الميدان، هذا

هو الهدف، حتّى حين يقوم الأعداء بالضغوط الاقتصادية، أو

يمارسون الضغوط السياسية، أو الضغوط الأمنية، فهذا هو الهدف،

أمّا أن نتصور أنّ العدو يريد شنّ حربٍ واحتلال جزء من أراضي

البلد، فهذه أساليب قديمة، وهي غير مطروحة اليوم، والعدو لا يريد هذا، وحتى لو قام العدو اليوم بعمل عسكري على سبيل الفرض-، فسيسعى لتحقيق ذلك الهدف، أي السيطرة على الأجواء الفكرية والروحية للبلاد، وعندما يقوم بأعمال اقتصادية أو أمنية أو نفسية، أو يستخدم الفضاء الافتراضي والفضائيات وشبكات الإذاعة والتلفاز، أو يشغل المبلغين العملاء المرتزقة في جميع أنحاء العالم، فهو يسعى، في جميع تلك الأعمال، وراء هذا الهدف»^(١).

ويضيف كاشفاً عن تحركات العدو الميدانية: «على سبيل المثال، لقد شكّل أعداؤنا مقرين للقيادة في إحدى الدول المجاورة، وهذا ما اعترفوا به أنفسهم، لا ادّعأؤنا نحن، بل هم من كشفوا عن ذلك في وسائل الإعلام، فكانوا يقرّون بذلك في المقابلات والحوارات، ويقولون: إنّ مقرين لقيادة العمليات قد شكّلا في دول مجاورة لإيران، من أجل الفضاء الافتراضي، وإدارة الاضطرابات من قبل الأمريكيين وعملاء النظام الصهيوني، هذا ما اعترفوا به أنفسهم، أي إنّهم خططوا لكل شيء مسبقاً، وقد تصوّروا مسبقاً أنّ النصر سيكون حليفهم قطعاً»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٩/٢٦ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٨/٠١/٠٩ م.

ب. بثُّ اليأس وتزييف الواقع:

يعمد العدو في الفضاء الافتراضي إلى شنّ (حرب إبادة) للأمل، من خلال نشر الإحصاءات الكاذبة، وتشويه الوجوه والقذوات الوطنية، وتضخيم النواقص وتعميمها، مع كتمان نجاحات الثورة ومنجزاتها. والغاية النهائية من هذا القصف الإعلامي هي سلب الثقة بالنفس وتصوير المستقبل مظلماً لإفقاد النظام قاعدته الشعبية الداعمة.

يُحذر سماحة الإمام من هذا القصف الممنهج قائلاً: «احذروا من قصف مدافع العدو في هذا الفضاء! احذروا من أن يستخدم العدو هذا الفضاء ضدَّ هويّتكم، وضدَّ وجودكم، وضدَّ نظامكم، وضدَّ ثورتكم! يطلقون وينشرون إحصاءات لا أساس لها من الصحة، ويكذبون وينسبون الأقوال كذباً، ويشوّهون الوجوه والشخصيات التي يحترمها الناس، والتي ينبغي أن يؤمن بها الشعب، ويكتمون نجاحات الثورة، ويثّون الأوهام والأكاذيب، ويشيعون عدم النجاح ونقاط الضعف والنواقص، ويضاعفونها ألف ضعف إذا كانت واحدة، وإذا كانت في مكانٍ واحد، يعمّمونها ويقولون: إنّها في كلِّ مكان.

هذه هي أفعال العدو، هذه هي أعمال العدو، لماذا؟ لأنّ العدو أدرك سرّاً انتصار الثورة الإسلامية، سرّها هو عقيدة الشعب وإيمانه، ويريدون القضاء على هذا الإيمان، وإذا لم يستطيعوا ذلك بين كبار السنّ، فهم يريدون القضاء على هذه العقيدة بين الشباب



والناشئة والجيل الصاعد، حتّى لا يصمد الناس، ولا يبقوا سنداً داعماً لهذه الثورة وهذا النظام، هذا هو هدفهم، ما يقوم به العدو في الوقت الحاضر هو بثُّ اليأس بين الناس، ونشر التشاؤم، وسلبهم ثقتهم بأنفسهم، وتصوير المستقبل حالاً في أنظارهم»^(١).

ج. استهداف (الأرواح السليمة) وتآكل الأمن الاجتماعي

يُشخّص سماحة السيد القائد الخامنئي خطورة الفضاء الافتراضي لا بوصفه مجرد أداة تقنية، بل كبيئة معقدة تنطوي على (مضلات فتن) تستهدف الأمن النفسي والإيماني للمجتمع. إنّ هذا الكفاح الرقمي يتجاوز في حساسيته أساليب الصراع التقليدية؛ نظراً لتعقيد أدوات العدو وقدرتها على النفاذ إلى العمق الثقافي والعقدي.

يصف سماحته عليه السلام هذا التحدي الوجودي قائلاً: «بات للفضاء الافتراضي اليوم حضورٌ كبيرٌ في حياة الناس، وعلى الرغم من انطوائه على منافع وإمكانات، إلّا أنّه يتضمّن أيضاً، أخطاراً كبيرة»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٧/١٢/٢٠١٧ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٨/٠٤/٢٠١٩ م.

ويقول في موضع آخر: «لاحظوا ما الذي يجري الآن في الفضاء الافتراضي! كم يوجد من «مضلات الفتن»^(١) في هذا الفضاء الافتراضي، وفي القنوات الفضائية، وفي هذه التشكيلات والأمور! والشاب معرض لهذه العوامل كلها»^(٢).

«إن الكفاح كان موجوداً دائماً في غضون الأعوام السبعة والثلاثين الماضية، طبعاً أصبح هذا الكفاح اليوم أصعب وأكثر حساسية بسبب أساليب العدو الجديدة والمعقدة، وكذلك قضية الفضاء الافتراضي، والتأثيرات الثقافية والعقيدية والاجتماعية والمعادية للأمن»^(٣).

ويبين سماحته كيف يتم هدم القيم والآداب الحسنة، من خلال الفضاء الافتراضي، حيث يقول: «من المفترض أن يكون الكثير منكم مطلعاً على الفضاء الافتراضي، فهل تتم حقاً مراعاة الأدب في هذا الفضاء؟ وهل هناك التزام بالحياة؟ لا يوجد التزام بذلك، أو لا تراعى هذه الأمور في جزء كبير منه، فلا بد من تنمية رشد هذه المسائل في الفتيان والشباب.

إن الحرب الناعمة ساحة واسعة جداً، وتتوسع وتكبر يوماً بعد يوم بواسطة هذا الفضاء الافتراضي، وهي أخطر بكثير من الحرب

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٤٨٤، الحكمة رقم ٩٣.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٩/٠٦ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٢/٠٣ م.

الصلبة، ففي الحرب الصلبة تضرّج الأجسام بالدماء، ولكنّ الأرواح تحلّق وتدخل إلى الجنّة، أمّا في الحرب الناعمة، إذا ما انتصر العدو -لا سمح الله-، فإنّ الأجسام ستتمو وتبقى سليمة، ولكنّ الأرواح تسقط إلى قعر جهنّم.

يوجد الكثير من مواقع الإنترنت التي تهدف إلى القضاء على عفة الشباب وحياء الشباب المسلم -سواء الفتيان أو الفتيات-، يريدون أن يمزّقوا ستارة الحياء، بالأصل، فإنّ همّهم وهمّتهم على هذا، ويخطّطون البرامج لهذا الهدف»^(١).

الثبات والمبادرة (منطق المواجهة في الفضاء الرقمي)

تبني الرؤية القيادية لسماحة السيد علي الخامنئي قدس سره في مواجهة تحديات الفضاء الافتراضي على كسر حاجز الخوف والتردد، فالمواجهة الرقمية وإن اتسمت بالحدة والصدامية، إلا أنها تستوجب من أصحاب الفكر القويم المضي قدماً في مشاريعهم الإصلاحية دون الالتفات إلى محاولات الإرباك التي تمارسها جبهة العدو، إنّ المراهنة الحقيقية في هذا الميدان تكمن في طاقات الشباب، لما يمتلكونه من شجاعة فطرية وقدرة على المبادرة والتحرك بعيداً عن حسابات المسايرة التقليدية.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٥/٢٠ م.

يؤصل سماحته قدس سره لمنطق الشجاعة الرقمية قائلاً: «مع ظهور الفضاء الافتراضي، غالباً ما يكون نوع المعارضة صدامياً وحاداً ومؤذياً، إذا كانت هناك حركة مهمة وصحيحة ومتقنة ومحسوبة ستنتقل، يجب على أصحابها أن يتجاهلوا هؤلاء، ولا يلتفتوا إليهم، يجب أن يتجاهلوا العدو الخارجي كذلك، أي نوع من الحركات التي تحدث في البلاد نحو الصلاح، سيقابلها جبهة واسعة للعدو، إذ إن الأعداء يجلسون ويفكرون باستمرار في توجيه الضربات.

يجب ألا تخافوا من هؤلاء، يجب التحرك، وأعتقد أن السبيل إلى ذلك هو حضور طاقات الشباب، فمن لا يكثرث ولا يخاف من العدو ويتحرك من دون اعتبارات ومسايرة، هم الشباب، بالطبع حضور القوى الشابة والاستفادة من فكرهم وروحيتهم، ومن حالة المبادرة والشجاعة والحركة لديهم، لا بمعنى نفي حضور الذخائر [الطاقات] وذوي التجارب من غير الشباب، الشرط هو عدم الخوف»^(١).

ويقول في موضع آخر: «من برامجهم التي يصرّحون عنها، تدريب العناصر المحليّة التي يختارونها وتسليحها، فهم يقولون: نحن نختار في هذه البلدان، ومن جملتها إيران، أفراداً ومجموعات، ثمّ ندرّبها ونجهّزها -التجهيز والإعداد حالياً يتمّ بسهولة، حيث يوجد إنترنت وفضاء افتراضيّ واتّصالات متنوّعة- ندرّب هؤلاء للقتال

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٦/٠٣ م.

في بلدانهم ومواجهة الآخرين، مواجهة النظام الإسلامي والشعب، هذا ما يقولونه هم بأنفسهم، حسناً، هذا عدو، الشباب اليوم نشطون في الفضاء الافتراضي، والفضاء الافتراضي يمكنه أن يكون وسيلة لصفع الأعداء على أفواههم.

كذلك، فإن إيمان الشباب وحياءه وأخلاقه مصدر للاقتدار، لذلك يعادون هذه القيم، كم ينشطون ويتحركون في الفضاء الافتراضي، ينفقون المليارات، علّهم يتمكنون من سلب الأخلاق والإيمان والالتزام بالشرعية والحياء من الشباب»^(١).

مسؤوليات المواجهة والبناء في الفضاء الافتراضي

يرى سماحة السيد علي الخامنئي قده أن الفضاء الافتراضي ليس مجرد وسيلة تواصل، بل هو أداة عملية جبارة تمنح المؤمنين فرصة تاريخية غير مسبقة لإيصال رسالتهم الحضارية إلى أقصى بقاع الأرض. يؤصل سماحته لهذه الموقعية قائلاً: «إنّ الفضاء الافتراضي أداة عملية فعالة جداً، تستطيعون، من خلالها، إيصال رسالتكم إلى أقصى أنحاء العالم، وإلى الأسماع كلّها، هذه الإمكانية لم تكن متوفرة في الماضي، وهي موجودة في الوقت الحاضر»^(٢)، وفي هذا السبيل يمكننا:



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قده، بتاريخ: ٢٠١٧/٠١/٠٨ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قده، بتاريخ: ٢٠١٧/٠٨/٢٨ م.

١. تدريب المبلّغين وتأهيلهم، أصحاب القلم، والخطباء في الفضاء الافتراضي^(١).

٢. تنمية المحتوى والمضامين في الفضاء الإلكتروني.

٣. مضاعفة القدرات الناعمة ودفاعات الفضاء الإلكتروني، وتأمين المضادات والدفاعات والأمن في الفضاء الإلكتروني للبنى التحتية للبلاد في إطار السياسات العامة المصادق عليها.

٤. المشاركة المؤثرة للمؤسّسات الثقافية الحكومية والشعبية في الفضاء الإلكتروني بهدف تنمية الثقافة والمفاهيم والهوية الإسلامية وإشاعتها، ومواجهة التهديدات.

٥. على الأشخاص من أهل الفكر أن يجلسوا ويسعوا إلى التنبؤ بهذه التهديدات، بالحكمة والعقل الجماعي والبحوث في الكليات والأكاديميات^(٢).

٦. «نشر الخلقيات والقيم ونمط الحياة الإسلامي وترويجها، ومنع حالات النفوذ والتسلل والآفات الثقافية والاجتماعية في هذا المجال والمواجهة المؤثرة للغزو الثقافي الشامل، ورفع مستوى ثقافة الاستخدام والعلم اللازم للمجتمع بالفضاء الافتراضي^(٣).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/١٠/٢٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٦/٣٠ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٩/٠٥ م.

٧. «الاستفادة من القدرات والمواهب الشابّة في البلاد، وبالتخطيط الصحيح والخطوات المدروسة والمتناسقة ومن دون إهدار للوقت، السير نحو الخروج من حالة الانفعال في مضمار الفضاء الافتراضي، والمشاركة الفاعلة والمؤثّرة فيه، وإنتاج المضامين الإسلاميّة المتقنة والجذّابة له.

٨ التأثير الواسع للفضاء الافتراضيّ باعتباره قوّة رقائيّة استثنائية في المجالات المختلفة، بما في ذلك الثقافة والسياسة والاقتصاد وأسلوب الحياة والإيمان والمعتقدات الدينيّة والأخلاق، مع التأكيد على ضرورة التخطيط المناسب والدقيق لصيانة الأمن الفكريّ والخلقيّ للمجتمع في هذا المجال.

٩. تستلزم المشاركة الفاعلة والمؤثّرة في الفضاء الافتراضيّ، التركيز في اتّخاذ القرارات والجدّ في التنفيذ ومن دون إهدار للوقت، والتنسيق بين الأجهزة والمؤسّسات، واجتناب الأعمال المتوازية التكراريّة أو المتعارضة»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٥/٠٩/٠٧ م.

على طريق المواجهة (خطوات استراتيجية في مضمار الفضاء الرقمي)

يرسم سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره خارطة طريق متكاملة لخوض غمار الفضاء الافتراضي، منطلقاً من ضرورة تحويل هذا الفضاء من ساحة للتهديد إلى ميدان للاقتدار الرسالي. وتتخلص هذه الخطوات في المحاور الآتية:

١. السيادة والضبط الرقمي

لا يمثل الفضاء الافتراضي منطقة معزولة عن القيم الوطنية، بل هو فضاء يتطلب (إدارة وضبطاً) يحفظ هوية المجتمع. إن أقوى دول العالم تضع خطوطاً حمراء لحماية أمنها القومي وقيمها، وضبط هذا الفضاء لا يعني الحرمان منه، بل يعني حماية المستخدمين من (الانهيارات الثلجية) للمعلومات المضللة والضارة التي يبثها الخصوم. يؤصل سماحته قدس سره لضرورة السيادة الرقمية قائلاً: «إن مسألة إدارة الفضاء الافتراضي وضبطه من المسائل الملحة التي يجب أن نوليها أهمية»^(١)، «فالفضاء الافتراضي اليوم ليس شيئاً خاصاً بنا، والعالم كله مرتبط به والبلدان التي أوجدت شبكة معلومات وطنية وسيطرت على الفضاء الافتراضي لصالحها ولصالح قيمها ليست بلداً أو بلدين.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٢/٠٧/٢٠٢٠ م.

إنَّ أقوى البلدان لديها في هذه المجالات خطوطها الحمراء، ولا تسمح ببعض الأشياء، لا يسمحون بدخول الكثير من أجزاء الفضاء الافتراضيِّ ومعطياته الموفدة من قِبَل أمريكا والأجهزة التي تقف خلف ستار هذه القضية، بل يسيطرون على الأمور، نحن أيضاً يجب أن نضبط ونسيطر، وهذه السيطرة لا تعني أن نحرم الشعب من الفضاء الافتراضيِّ.

في الوقت الحاضر، تنهال كميّة هائلة من الموادّ الصحيحة وغير الصحيحة على رؤوس مستخدمي الإنترنت، معلومات خاطئة وغير صحيحة، وضارّة وشبه معلومات -بعض الأشياء ليست معلومات حقيقية، بل هي شبه معلومات -هذه الموادّ تنهال كالانهيارات الثلجية، فلماذا نسمح بحدوث مثل هذا الشيء؟ لماذا يجب أن نسمح بانتشار الأشياء المتعارضة مع قيمنا، والمخالفة لمبادئنا الأكيدة، والتي هي بخلاف العناصر والأجزاء الأصلية لهويّتنا الوطنية؟ لماذا نسمح لها بالانتشار في داخل البلاد، وهي آتية من قبل خصومنا، ومن يريدون بنا السوء؟

اعملوا ما من شأنه أن ينفع الجميع من منافع الفضاء الافتراضيِّ وأرباحه وفوائده، وزيدوا من سرعة الإنترنت، لتحصل الأمور التي يجب أن تحصل، ولكن ليحصل هذا بالنسبة إلى الأمور التي ليس فيها ضرر على بلادكم، وليس فيها ضرر على شبابكم، وليس فيها



ضرر على الرأي العامّ عندكم... لماذا نفلت هذا الفضاء غير القابل للسيطرة، ونتركه من دون ضبط ولا تحكّم؟ الجميع مسؤول»^(١).

٢. ترسيم الحدود مع العدو

كما هو الحال في الحدود الجغرافية، تتطلب الجبهة الثقافية والرقمية حدوداً واضحة تمنع تغلغل العدو وممارسته للخداع. إنَّ غياب هذه الحدود يمنح العدو فرصة للهيمنة، بينما وضوحها يفرز بين (المتأثر العفوي) وبين (العنصر المخرب) المرتبط بأجهزة استخباراتية.

يشير سماحته ﷺ إلى هذا المبدأ القرآني: «من الأمور اللازمة والضرورية جداً، ألا نسمح لحدودنا الفاصلة بيننا وبين العدو بالاضمحلال والتبدّد.

إنَّ لم يكن هناك من تحديد للحدود مع العدو، ولم تكن هذه الحدود بارزة واضحة، لأمكن اجتياز هذه الحدود، سواء من هذا الجانب إلى ذاك، أو من ذاك الجانب إلى هذا، وهذا تماماً كالحدود الجغرافية، حينما لا تكون الحدود واضحة، يستطيع العدو التغلغل، والنفوذ، وممارسة الخداع والحيلة، والتسلّط والهيمنة على الفضاء الافتراضي، أمّا إذا كانت الحدود مع العدو بيّنة جليّة، فلن

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ١٢/٠٦/٢٠١٧م.

تكون سيطرته على الفضاء الافتراضي والأجواء الثقافية بهذه البساطة والسهولة.

إلَيْكُمْ أَيْضاً هَذِهِ النِّقْطَةُ: فَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ إِلَى أَنْ يَقُولَ: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ﴾^(١)، لَقَدْ نَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَنْ نَتَعَاطَلَ مَعَ الْعَدُوِّ بِهَذِهِ الصُّورَةِ^(٢).

ويقول في موضع آخر: «بناءً على ذلك، يوجد فرقٌ كبيرٌ بين الشابِّ أو الفتى الذي يقع تحت تأثير شبكة إنترنت في الفضاء الافتراضي، ويقوم بحركة ما، ويقول كلمة ما، وبين ذلك الشخص المرتبط بأجهزة منظَّمة، وهو عنصرٌ في تلك الفرق التخريبية، لا يمكن جعل حسابهما واحداً»^(٣).

٣. المسجد (نواة المقاومة والتحصين)

رغم اتساع تأثير الفضاء الافتراضي، يبقى المسجد والمجالس الحسينية هي المراكز الأكثر تأثيراً وعمقاً في بناء الحصانة المعنوية ضد (فيروسات) الانحراف.



(١) سورة الممتحنة، الآية ١.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٣/١٤ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبِي، بتاريخ: ٢٠١٨/٠١/٠٩ م.

إنَّ المسجد هو المركز الجامع للمقاومة بأشكالها كافة: الثقافية، والسياسية، والأمنية.

يؤكد سماحته قدس سره على مركزية المسجد قائلاً: «إنَّ مجالس العزاء ومجالس الوعظ والخطابة واللقاءات المتنوعة هي أمور بالغة الأهمية، ينبغي عدم الاستخفاف بها، فهي مؤثرة أكثر من الفضاء الافتراضي، وكذلك أكثر من الإذاعة والتلفاز، لكن دائرتها محدودة، إذا عملت هذه المجموعة العظيمة والتشكيلات الكبيرة بشكل جيد وشامل، فإنَّ تأثيراتها ستتفوق على تلك الوسائل الأخرى كلّها، وستتمكّنون من المحافظة على هؤلاء الشباب وهؤلاء المخاطبين بالمعنى الحقيقي للكلمة، وتستطيعون تحصينهم من هذه الميكروبات والفيروسات التي تضخّ بشكل مستمرّ، بناءً على هذا، فالمسجد نواة المقاومة، غاية الأمر أنّه مركز المقاومة بأنواعها المختلفة، المقاومة الثقافية، والمقاومة السياسية، وكذلك في الوقت المناسب المقاومة الأمنيّة والعسكريّة، ولقد كانت المساجد هكذا دوماً»^(١).

ويقول في موضع آخر: «عندما نعلم أنّ هناك من يدير هذا الفضاء الافتراضيّ من الخارج، ونحن جزء من المستخدمين له والمبتلين به، لا يمكننا أن نجلس مكتوفي الأيدي قبالة، وأن نترك شعبنا وأبناءنا الذين يستخدمون هذا الفضاء الافتراضيّ بين أيدي أولئك

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٨/٢١ م.

الذين يديرون هذا الفضاء من خلف الستار، إنّ القوى المتسلّطة على العالم فعّالة جدّاً في هذا المجال، سواء على صعيد صناعة الأخبار، أو نشرها، أو تحليل المعطيات والبيانات، والكثير من الأعمال الأخرى»^(١).

٤. مسؤولية الحوزات العلميّة في جهاد التبیین

تُعدّ الحوزة العلميّة (المدافع الأول) في جبهة الحرب الناعمة، إذ يتطلب سيل الشبهات التي تُبثّ عبر الفضاء الافتراضي طاقات علمية قادرة على المواجهة وجهاً لوجه.

إنّ مكافحة العدو الذي يستهدف إيمان الناس وعفة الشباب هو أعظم أنواع الجهاد وأول مسؤولية تقع على عاتق علماء الدين.

يبيّن سماحته قدس سرّه دور الحوزات في هذه المعركة: «أرضيّة الشبهات خصبة في هذا العالم الافتراضيّ، تسهم الساحة المجازيّة في هذا الأمر، كما أنّه توجد دوافع سياسيّة لترويجها... هذه الشبهات تحتاج إلى مواجهة، ليس من الواجب أن نكتفي باستتال سيف لنمارس الجهاد، هذا أعظم أنواع الجهاد... هيئوا أنفسكم للقيام بهذا الجهاد»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٣/٠٨/٢٠٢٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٦/٠٥/٢٠١٤ م.

ويقول في موضع آخر: «يجب على الحوزات العلميّة أن تؤمّن هذه الطاقات في داخلها، قدرة المّقابلة وجهاً لوجه، مواجهة هذا الجيش العظيم الذي لا يعدّ ولا يحصى، ومكافحة العدو الذي يتدفّق ويهجم على إيمان الناس، على اعتقادات الناس، على سلامة نفوس الناس، على عقّة الشباب.

إنهم يجلسون ويثّون الشبهات والكلام والأفكار ليضلّوا الشباب المؤمن السليم، يجب معرفة هذه الأمور، من هو الشخص الذي يجب أن ينزل إلى وسط الميدان، ويجعل صدره درعاً، ويكون مانعاً لانحراف الشباب؟ من هو الذي يجب أن يقف في وجه أعمال العدو لحرف أذهان الشباب؟ على عاتق من يقع هذا العمل؟ على المجتمع العلميّ والدينيّ، أي علماء الدين، أوّل مسؤوليّة من مسؤوليّاتهم هي هذه، وهي أهمّ مسؤوليّاتهم الواجبة عليهم»^(١).

٥. الترويج للإنجازات وكسر الحصار الإعلاميّ

يعاني المجتمع من فجوة بين حجم الإنجازات المحققة وبين القدرة على تسويقها وإبرازها إعلامياً. وفي مقابل جيوش العدو التي تنفق المليارات لتشويه الواقع، تبرز ضرورة الإبداع في (إعلام المقاومة) لنشر نقاط القوة وتثبيت الأمل.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٦/٩/٠٦ م.

يشير سماحته ﷺ إلى هذا الضعف الإعلامي: «إننا أقوىاء في الكثير من المجالات، لكننا ضعفاء في الإعلام، في مجال الإعلام والإعلان والترويج لإنجازاتنا، لدينا قلة عمل وضعف وقلة إبداع! يجب أن نتقدم في هذا المجال، لكن أعداءنا، الذين يرصدون قضايانا وأمورنا كلها، يرون الواقع، ويشاهدون تقدم البلاد، ويعلمون كم تقدم البلد وسار إلى الأمام»^(١).

ويقول في موضع آخر: «أعداؤنا خارج البلاد يبذلون قصارى جهدهم، وبطرق مختلفة، وكم من الأموال تنفق في سبيل أن يستطيعوا استخدام هذه القنوات التلفزيونية والإذاعات والفضاءات الافتراضية والمواقع الإنترنتية، وكي يروجوا ويكرروا أقوالهم ماث المرات، هم يعملون ويسعون»^(٢).

الاهتمام بالبرمجة والاستراتيجية

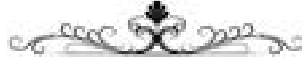
يختتم سماحته وصاياه بالتأكيد على العمل المنظم والممنهج: «اهتموا بالبرمجة، ومراعاة الاستراتيجيات العامة، واستقطاب الطاقات الثورية الكفوة وحفظها وإعدادها، والمشاركة المؤثرة في الفضاء الافتراضي، وأن تتوكلوا وتعتمدوا على الله تعالى»^(٣).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٢/١٨ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٣/٠٨ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٠١٦/٠٥/١١ م.



الحرية

السياقات التاريخية والمنظور الإسلامي

ثمة ترابط وثيق لا يقبل الفصل بين المفاهيم الثقافية المؤثرة في عي المجتمع، وبين حركته السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وضح سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره معالم هذا الترابط ومناشئه، مؤكداً أن الأبحاث البنيوية حول قيم كـ (الحرية) لا تنطلق في الأوضاع العادية، بل تحتاج دائماً إلى "حدث باعث" يمثل أرضية لها. بقول سماحته مبيناً هذه الجدلية: «إنَّ الحركة الثقافية في أيِّ حضارة و مجتمع، غير منفصلة عن الأحداث السياسيَّة والتطوُّرات التي تحدث في ميدان الواقع المعيش عند الناس والجماعة، والأبحاث التي تُعنى بالقيم، كالحرِّيَّة مثلاً، تمسُّ حياة الجماعة بشكل لصيق، حيث يصعب قيام جماعة أو احتشادها حول فكر ما من دون لتبُّين من حقيقة مواقف هذا الفكر تجاه القيم، «العلة العامة هي أنَّ لأبحاث البنيويَّة الأصوليَّة، من أجل أن تنطلق، تحتاج إلى حادثة اعثة، أي إنَّه في الأغلب يكون هناك إعصارٌ يحرك هذه الأبحاث لأساسيَّة، فالأبحاث العميقة والمهمَّة، والتي لديها طابع التحدي، حول هذه المقولات الأساسيَّة، لا تنطلق في الأوضاع العاديَّة، ينبغي أن تقع حادثة ما لتشكِّل أرضيَّة لها»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣/١١/٢٠١٢ م.

أولاً: مسار الحرية في الفكر الغربي

شهد الفكر الغربي تكثيفاً للبحث حول الحرية بوصفها إحدى القيم المركزية التي تبناها المشهد العام الأوروبي إبان التحولات الكبرى. ويوضح سماحته أن لهذا الاهتمام سياقاً تاريخياً واضحاً مرتبطاً بالثورات المتتالية: «الغرب، وفي هذه القرون الثلاثة أو الأربعة المصاحبة لعصر النهضة وما بعده، قد شهد تفتُّحاً وتبرعماً لا نظير له، والقليل من الموضوعات، كقضية الحرية في الغرب، قد طُرِحَ في هذه القرون الأربعة، سواء في مجال العلوم الفلسفية، أو في مجال العلوم الاجتماعية، أو في مجال الفن والأدب، ولهذا علّةٌ وسببٌ أساسيٌّ عامٌّ، وتوجد أيضاً له أسبابٌ محيطية»^(١).

ويرى سماحته أن الحدث الحضاري الأساسي الذي حفز هذا البحث كان "عصر النهضة" وما أعقبه من أحداث جسيمة: «عوامل نموّ هذه الحركة الفكرية كانت على الشكل الآتي: بالدرجة الأولى، كان عصر النهضة، بالتأكيد إنّ واقعة عصر النهضة لم تكن واقعة دفعية، لقد وقعت أحداث كثيرة على مدى مئتي سنة من بدايات عصر النهضة، وإحداها كانت قضية الثورة الصناعية، ومنها أيضاً قضية الثورة الفرنسية الكبرى، هذه كلّها أدّت إلى طرح قضية الحرية، ولهذا تمّ العمل عليها، كتّب الكثير من الفلاسفة آلاف الأبحاث



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.

والمقالات والكتب، وكتبت مئات التصانيف في باب الحرية في جميع هذه البلدان الغربية، بعدها انتقل هذا الفكر إلى أمريكا وهناك أيضاً عملوا على المنوال نفسه»^(١).

ثانياً: النزعة الإنسانية وموقفها من الدين

وانطلاقاً من هذه الرؤية، يرى الإمام قدس سره أن نزعة عصر النهضة كانت قائمة في جوهرها على العداء للكنيسة والدين، مما طبع مفهوم الحرية الغربي بطابع خاص: «نزعة عصر النهضة، في الأساس، كانت نزعة معادية للدين وللكنيسة، لهذا تأسست وأقيمت على قاعدة النزعة الإنسانية (الهيومانيزم)^(٢) وبعدها قامت جميع الحركات الغربية على أساس هذه النزعة الإنسانية، واستمرت إلى يومنا هذا على هذا المنوال، ومع الاختلافات كلها التي طرأت، كان الأساس هو النزعة الإنسانية، أي كان الأساس هو الكفر والشرك»^(٣).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.

(٢) الهيومانيزم (Humanism) أو الإنسانية أو النزعة الإنسانية، هي توجه فكري وفلسفي يضع الإنسان وقيمه، عقله، وقدراته في مركز الاهتمام، مع التركيز على أهمية العقلانية، التجريبية، والمسؤولية الاجتماعية لتحقيق الخير العام، بعيداً عن التفسيرات الدوغمائية (المذهبية الجامدة) أو الميتافيزيقية.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.

ثالثاً: نحو تأصيل إسلامي لمفهوم الحرية

بناءً على ما تقدم، يشدد سماحته على ضرورة التفات الباحثين إلى المصادر الإسلامية الأصيلة لصياغة منظومة فكرية متكاملة حول الحرية، بعيداً عن المخططات الهدامة المحيطة بالأفكار المستوردة: «مصادرنا كثيرة فنحن لسنا فقراء بالمصادر، أي إننا في الواقع نستطيع أن نوّمن مجموعة فكرية مدوّنة ومنظومة فكرية كاملة في مجال الحرية، تجيب عن جميع الأسئلة الدقيقة والعريضة للحرية، بالطبع هذا ليس عملاً سهلاً، فهو يحتاج إلى همّة»^(١).

عناصر البحث حول الحرية

١. موضوع الحرية (بين الانعتاق الروحي والمسؤولية الاجتماعية)

يُعد مفهوم الحرية من المفاهيم متعددة الأبعاد والشُعَب، إذ لا ينحصر في إطار واحد، بل يمتد ليشمل الجوانب المعنوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وفي الرؤية القيادية لسماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه، يتم التمييز بدقة بين مستويات هذا المفهوم، فالبحث المعاصر لا يدور حول (الحرية المعنوية) بمعناها السلوكي الصرف (العروج إلى الله)، بل يتركز حول الحريات الاجتماعية والسياسية والفردية التي تمس واقع العالم اليوم.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٣/١١/٢٠١٢ م.

يقول سماحته مبيناً مدار البحث المعاصر: «في الأساس، إنَّ بحثنا ليس بشأن الحرّية المعنويّة التي تعني السلوك إلى الله، والقرب من الله، والسير في وادي التوحيد، الذي كان من نتاجاته أمثال الملاً حسين قلى الهمداني، أو المرحوم السيّد ميرزا القاضي، أو المرحوم العلّامة الطباطبائي، وإنّما بحثنا يتعلّق بالحرّيات الاجتماعيّة والسياسيّة، والحرّيات الفرديّة والاجتماعيّة، فالفضيّة اليوم في العالم هي هذه»^(١).

ويشير سماحة الإمام إلى أنّه بالإمكان توسيع معنى الحرّية المعنويّة، ليشمل الكلام حولها كقيمة معنويّة واجتماعيّة، فيقول: «لدينا اصطلاحان بشأن الحرّية المعنويّة: أحدهما ذاك الاصطلاح الأوّل الذي هو عبارة عن العروج إلى الله، والقرب من الله، وحبّ الله، وأمثاله، وهذا لا يدخل في بحثنا أساساً، فله مقولة أخرى، والآخر هو الحرّية المعنويّة بمعنى التحرّر من القيود والأغلال الداخليّة، التي تمنعني من الذهاب إلى الجهاد، ومن المواجهة، ومن أن أتكلّم بصراحة، ومن أن أعلن مواقف علانيّة، وتجعلني أبتلى بالنفاق، وأكون ذا وجهين (ففضيّة) مواجهة موانع الحرّية قابلة لأنّ تطرَح للبحث»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.

٢. الحرية في المنظور الإسلامي (الإطار والقيمة)

ينطلق الإسلام في تعامله مع الحرية من رؤية مغايرة للرؤى المادية، فمن الخطأ الفادح اعتبار الحرية (قيمة مطلقة) يُبحث لها عن استثناءات وتخصيصات شرعية.

بل إن الإسلام يضع للحرية إطاراً ونطاقاً منذ الخطوة الأولى، فلا توجد فرضية مسبقة تمنح الإنسان حرية مطلقة تتصادم مع القيم الإلهية. يُشخص سماحة السيد علي الخامنئي هذا المسار المنهجي قائلاً: «التعامل الخاطئ إسلامياً مع مسألة الحرية، أن نضع الحرية كقيمة مطلقة مقابل جميع القيم، ونبحث عن التخصيصات والاستثناءات، فنقول مثلاً: إن الأصل أن نكون أحراراً مطلقاً، إلّا ما استثناءه الإسلام، هذا هو الخطأ الذي يمكن أن يقع فيه الإنسان في تعامله مع بحث الحرية، وأنا أقول: إن الأمر ليس كذلك، فمنذ البداية، لا يوجد فرضية مسبقة تريد أن تمنحنا الحرية المطلقة... فليس لدينا، منذ البداية، مثل هذا الفرض المسبق بأن الحرية المطلقة هي حق الإنسان ومرتبطة به، وأنها قيمة له... إن أول نطاق وضعناه بشأن أبحاث الحرية في الإسلام، هو أن نقول في «الإسلام»، أي إنّنا نضع لها إطاراً منذ البداية، ونحدّد لها نطاقاً من الخطوة الأولى»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(١).

إِنَّ هَذِهِ أَوْضَحَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ حَوْلَ الْحَرِيَّةِ، حَيْثُ تَضَعُ الْإِصْرَ،
وَالْإِصْرَ هُوَ تِلْكَ الْحَبَالُ الَّتِي تُرَبِّطُ بِهَا الْخِيْمَةُ، كَيْ لَا تَطِيحَ بِهَا
الرِّيَاحُ، وَهِيَ الَّتِي تُرَبِّطُ بِأَحْكَامِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ،
هَذَا هُوَ الْإِخْلَادُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَوَاصَرْنَا هِيَ تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي تُرَبِّطُنَا
بِالْأَرْضِ وَتَمْنَعُنَا مِنَ التَّحْلِيْقِ.

وَالْغُلُّ هُوَ تِلْكَ السَّلْسَلَةُ الْمَعْدِنِيَّةُ الَّتِي جَاءَ النَّبِيُّ مِنْ أَجْلِ رَفْعِهَا،
فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

يقول: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾، فماذا يعني الحلال والحرام؟ الحلال والحرام يعنيان وضع الحدود والمنع وهما متلازمان مع الممنوعة، فمن الأساس لا ينبغي أن نأبى وجود الحدود والمنع في أذهاننا، أثناء البحث حول الحرية^(١).

٣. التوحيد مقابل الليبرالية (صراع المحاور)

تكمُن الفجوة الجوهرية بين الليبرالية والإسلام في تحديد "محور الوجود".

فبينما تقوم الليبرالية على النزعة الإنسانية (الهيومانيزم) التي تجعل الإنسان هو المركز والمرجع والرب الفعلي لهذا العالم، يركز الإسلام على "التوحيد" كمبنى أساسي للحرية.

يفصل سماحته في هذا الاختلاف النبوي قائلاً: «الاختلاف الأهم هو أن منشأ الحرية في الليبرالية، تحت عنوان الحق أو القيمة، هو عبارة عن النزعة الإنسانية، لأن محور عالم الوجود والاختيار في عالم الكون هو هذا الإنسان... إنهم يقولون إن الإنسان هو المحور، أي إن ربّ عالم الوجود في الواقع هو الإنسان، ولا يمكن أن يكون موجوداً من دون قدرة الاختيار والإرادة، أي إنه من دون أعمال الإرادة -والتي هي المعنى الآخر للحرية- لا يوجد إمكان أن نفرض أن الإنسان هو صاحب الاختيار في عالم الوجود، هذا

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.



هو أساس بحث الحرّية، وهذا هو مبنى الفكر الإنسانيّ (الهيومانيزم) بشأن الحرّية.

أمّا في الإسلام، فالقضية منفصلة تماماً عن هذا الأمر، ففي الإسلام، المبنى الأساسي للإنسان هو التوحيد^(١).

والتوحيد في معناه العميق، لا يعني الاعتقاد بالله تعالى فقط، بل له امتدادات على مستوى الحياة الإنسانيّة والقيميّة، بتعبير آخر، إنّ التوحيد يصبغ حياة الإنسان بصبغة تجعل له نمط حياة مختلفاً عمّا لو كان غير معتقد بالله تعالى كإله واحد أحد.

ويلفت سماحة الإمام فاضل^(٢) إلى كون مفهوم التوحيد غير منحصر بالاعتقاد بالله قائلاً: «والتوحيد ليس منحصراً بالاعتقاد بالله، بل هو عبارة عن الاعتقاد بالله، والكفر بالطاغوت، والعبوديّة لله، وعدم العبوديّة لغير الله، ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾^(٣) لا يقول ولا نشرك به أحداً، بالطبع هناك موردٌ جاء فيه كلمة «أحداً»، لكنّه هنا بمعنى أعمّ - حيث يقول: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾، فلا نجعل أيّ شيء شريكاً لله، أي إنّكم إذا اتّبعتم العادات من دون دليل، فهذا خلاف التوحيد، وإذا اتّبعتم البشر، يكون كذلك، وهكذا في مورد الأنظمة الاجتماعيّة - فكلّ ما لا ينتهي إلى الإرادة الإلهيّة، يكون في الواقع شركاً بالله، والتوحيد هو عبارة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي فاضل^(٢)، بتاريخ: ١٣/١١/٢٠١٢م.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

عن الإعراض عن هذا الشرك، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾^(١)، يوجد الكفر بالطاغوت، وبعده الإيمان بالله، حسنٌ، هذا معناه تلك الحرّية، فأنتم أحرارٌ من جميع القيود، غير العبوديّة لله^(٢).

٤. الحرية والكرامة الإنسانية

إن للحرية في الإسلام امتدادات ترتبط برؤية الإنسان للدنيا والآخرة؛ فهي ليست انفلاتاً لتحصيل المتاع الزائل، بل هي صيانة للهوية والشخصية من البيع بـ (اللّماظة) (بقية الدنيا القليلة). ويستشهد سماحته بكلمة أمير المؤمنين عليه السلام: «ولو جئنا إلى مصادرنا الإسلاميّة، لوجدنا أنّ معنى الحرّية له تداعيات وامتدادات متعلّقة برؤية الإنسان لله، وما يستتبعه من اعتقاد بالدنيا والآخرة، وبتقديم الآخرة على الدنيا، وترك الدنيا والإعراض عن متاعها، في مقابل النعيم المقيم في الآخرة، فإنّ ذلك الحديث المنقول عن أمير المؤمنين، ... يقول: «أولاً حرٌّ يدع هذه اللّماظة^(٣) لأهلها» - هذه هي

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.

(٣) اللّماظة: بقية الطعام في الفم، وأيضاً بقية الشيء القليل، والمراد بها هنا الدنيا.



الحرية... ويقول بعد ذلك: «فَلَيْسَ لَأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، فَلَا تَبِيعُوهَا بِغَيْرِهَا»^(١).

من المعلوم أنهم يريدون أن يجعلوا لتلك اللماظة قيمة وثماناً، أي إنهم كانوا يقدمون تلك اللماظة ليبادلوها بأنفسهم ووجودهم وهويتهم وشخصيتهم، فالقضية أن هناك معاملة تجري، وهو ينهى عنها، فإذا أردتم أن تقوموا بهذه المعاملة، فلماذا تبيعون أنفسكم لقاء هذه اللماظة؟ بل اجعلوا ذلك فقط مقابل الجنة والعبودية لله، لهذا فإن النقطة المركزية هي هذه، بالطبع يوجد نقطة مركزية أخرى، هي عبارة عن الكرامة الإنسانية، «وَلَيْسَ لَأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» تشير إليها^(٢).

منظورات الحرية في الرؤية الإسلامية

تتجاوز الحرية في الفكر القيادي لسماحة السيد علي الخامني عليه السلام التوصيفات السطحية لتصبح مرتبطة بكيان الإنسان الوجودي ووظيفته الرسالية. ويمكن قراءة هذه القيمة من خلال منظورين أساسيين يمنحانها عمقاً (حقوقياً) و(تكليفياً):

(١) السيد الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٥٥٦، حكمة ٤٥٦.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.

١. منظور (الحق) بالاصطلاح القرآني

يرتكز هذا المنظور على مفهوم (الحق) الذي تكرر في النص القرآني أكثر من مائتي مرة، ليشمل عالمي التكوين والتشريع. فالحرية وفق هذا المنظور ليست انفلاتاً عشوائياً، بل هي حركة داخل (جهاز منظّم وهادف) خلقه الله بالحق.

إن عالم التشريع (الأحكام) يتطابق مئة بالمئة مع عالم التكوين (الفطرة والخلق)، والحرية الإنسانية هي مادة هذا التشريع التي تمكن الإنسان من اختيار طريق الحق مقابل الباطل.

يؤصل سماحته ﷺ لهذا البعد الوجودي قائلاً: «الحق في الاصطلاح القرآني -والذي لعلّه تكرر في القرآن كمصطلح الحق أو عبارة الحق أكثر من مئتي مرة، وهو أمرٌ عجيبٌ جداً- والحق في القرآن له معنى عميق ووسيع، حيث يمكن بشكل مختصر ومجمل التعبير عنه بكلمتين بمعنى سطحيّ وبمعنى جهاز منظّم وهادف، فالله تعالى في آيات عديدة من القرآن، يقول: إِنَّ كُلَّ عَالَمٍ الوجود قد خُلِقَ على أساس الحق: ﴿مَا خَلَقْنَاهَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(١)، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾^(٢)، أي إنَّ نظام عالم الوجود أو جهازه وجهاز الخلقة -من جملتها وجود الإنسان الطبيعي، بمعزلٍ



(١) سورة الدخان، الآية ٣٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٣.

عن قضية الاختيار والإرادة في الإنسان - هو جهازٌ مصنوعٌ ومعدٌّ ومتربطٌ ومتّصلٌ ببعضه ببعض، وله نظامٌ وهدف، فيما بعد يبيّن هذه المسألة نفسها بشأن التشريع، لقد أشرت في مورد التكوين إلى بعض الآيات، وفي مورد التشريع، يقول: ﴿نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾^(١)، ﴿أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢)، ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾^(٣)، فهذا الحقّ وذاك الحقّ، هذا في عالم التكوين، وذاك في عالم التشريع، ويعني ذلك أنّ عالم التشريع متطابق مئة بالمئة مع عالم التكوين، بحسب الحكمة الإلهية، ويمكن لإرادة الإنسان أن تخرب بعض زواياه، بالطبع لأنّه متطابق مع عالم التكوين، والجهة هي جهة الحقّ، أي إنّ كلّ ما ينبغي أن يكون، تقتضيه الحكمة الإلهية، لهذا فإنّ تلك الحركة العامة والكلية ستتغلّب في النهاية على جميع هذه الأعمال الجزئية، التي تتعدّى هذا الطريق وتتخلّى عنه وتنحرف، لهذا من الممكن أن تحصل أنواع من المخالفات، هذا هو عالم التكوين وهذا هو عالم التشريع، ومن موادّ هذا العالم، إرادة الإنسان، ومن موادّ هذا التشريع، حرّية

(١) سورة البقرة، الآية ١٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١١٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٣.

الإنسان، فهذا هو الحقُّ إذًا، وبهذه النظرة، نتطَّلَع إلى قضِيَّة الحرِّيَّة، وهي حرِّيَّة الحقِّ مقابل الباطل»^(١).

٢. منظور التكليف (الحرِّيَّة كواجبٍ شرعيٍّ)

في المنظار الإسلامي، لا تُعدُّ الحرِّيَّة مجرد خيار شخصي يمكن للإنسان التخلي عنه، بل هي (تكليف شرعي) وواجب إلهي. فكل إنسان مأمور بأن يكون حرًّا، وبرفض الاستضعاف والمذلة الواقعة عليه أو على الآخرين.

إن السعي نحو الحرِّيَّة يقع في دائرة الوجوب، وهو ما يبرر مشروعية القتال في سبيل المستضعفين.

يشير سماحته قدس سره إلى هذا المنحى الإلزامي للحرِّيَّة: «إنَّ الحرِّيَّة ليست من المسائل التي يمكن للإنسان أن يتخلَّى عنها وفق ما يراه الإسلام، فالحرِّيَّة هي تكليف، يجب على كلِّ إنسان أن يكون حرًّا، وأن يترك الاستضعاف الواقع عليه، وأن يرفض الاستكبار.

ينبغي أن ننظر إلى الحرِّيَّة من منظار تكليف ما، فليس من الصحيح أن نقول: حسنٌ جدًّا، إنَّ الحرِّيَّة أمرٌ جيّدٌ، لكنني لا أريد هذا الشيء الجيّد، كلًّا لا يصحّ ذلك.

يجب على الإنسان أن يسعى إلى الحرِّيَّة، سواء كانت حرّيته أو حرِّيَّة الآخرين، فلا ينبغي أن يُسمَح لأحد أن يبقى في الاستضعاف

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٢/١١/١٣ م.



والمذلة والمحكومية، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا»^(١) ويقول القرآن أيضاً: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾^(٢)، أي إنكم مكلفون بتحقيق حرية الآخرين ولو بالقتال، حيث إن هذا أيضاً يرتبط بأبحاث متنوعة»^(٣).

مقارنة الأبحاث المطروحة بين الآراء الغربية والإسلامية

ويبين سماحة السيد القائد الخامنئي قدس سره ما هي الأمور التي تميز نظرة الإسلام في مفهوم الحرية قائلاً: «بعد أن اتضح مما سبق، أن أساس الرؤية الإسلامية للحرية وجوهرها، نابع من التوحيد وما يستلزمه التوحيد من نفي عبودية غير الله تعالى، وأن العبودية لله تعالى نفسها هي عين ما تقتضيه إنسانية الإنسان وفق منظار الحق، الذي هو منظار القرآن في تبين القيم، واتضح أن منشأ بحث الحرية لدى الأوروبيين والغربيين بدأ من منطلق رفض الدين فيما أسموه عصر النهضة، يظهر أن الفرق الأساس الذي يجعل الرؤية الإسلامية متميزة من غيرها، هو محورية الله تعالى في مقابل محورية الإنسان في الوجود، فالفكر الليبرالي سعى لتثبيت محورية الإنسان، وجعله الركيزة الأساسية في أي بحث قيمي، بينما نجد أن

(١) السيد الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٤٠١، وصيته للإمام الحسن عليه السلام.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣/١١/٢٠١٢م.

الإسلام يضع التوحيد في المركز، ويفرّع على أساسه باقي القيم، والآثار العملية للفكر الغربي تبرز بوضوح فشل رؤيتهم حول الحرية التي أسسوا لها منذ قرون، «إنّ وقائع المجتمع الغربي سيئة جداً ومرة وبشعة، وبعضها يبعث على النفور، فلا وجود للعدالة، ولا لأي شيء من هذا القبيل، بل هناك التمييز العنصري والاستبداد، وفي مجال القضايا العالمية، إشعال الحروب، فإنهم، ومن أجل أن تحصل مصانع الأسلحة على المال، وأن لا يفلس ذلك المصنع، يشعلون الحروب بين شعبين! يأتون إلى بلدان الخليج الفارسي، ويخوفونها من إيران ومن الجمهورية الإسلامية، من أجل أن يبيعوها الفانتوم والميراج! ومثل هذه الأعمال يقومون بها بنحو دائم.

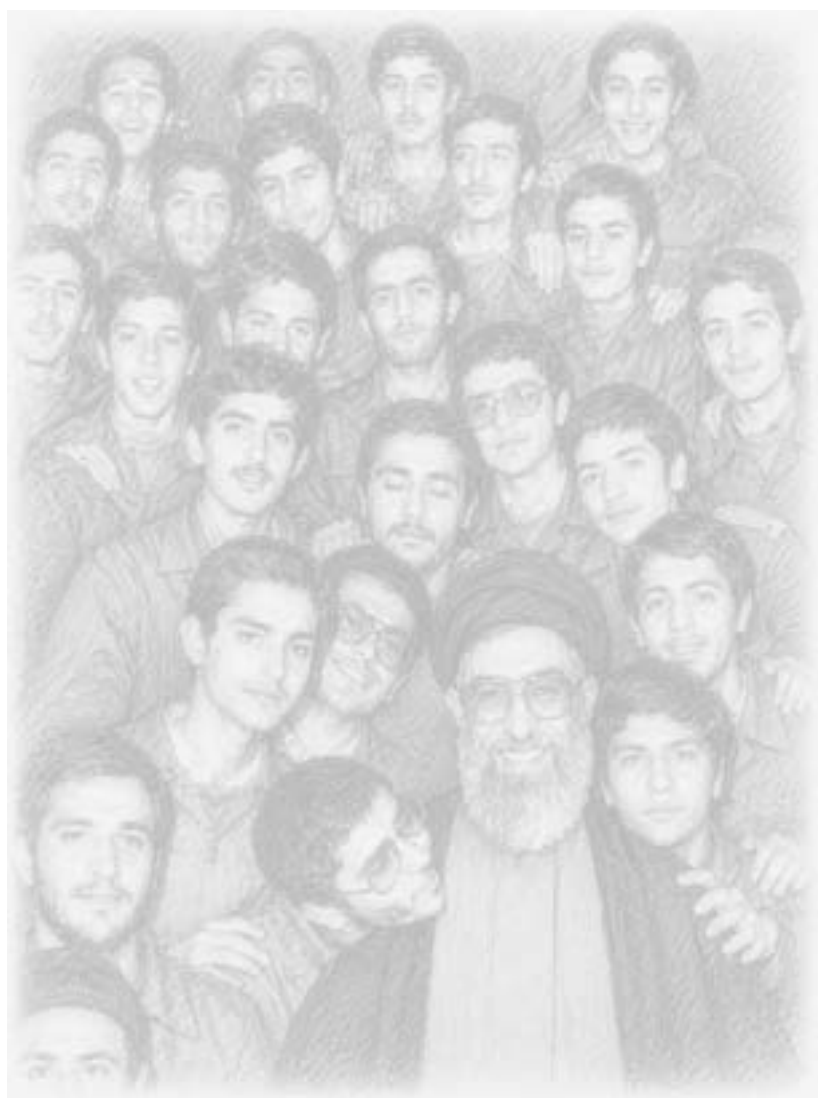
أمّا تعاملهم مع المقولات الشريفة، كحقوق الإنسان والسيادة الشعبية، فهو تعامل انتقائي، إنّ تعاملهم مع هذه المقولات سيئ جداً وغير خلقي، لهذا، فإنّ حال الوقائع الحالية للحياة في الغرب، ذلك الغرب الذي تحدّث فلاسفته بهذا المقدار عن الحرية فيه، هو حال سيئ في الواقع.

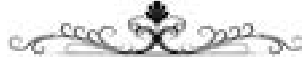
إنّ المرء حيّ ينظر إلى هذه النظريات، يرفضها فيما بعد، هذا هو نحو من النظر، أنا العبد أعتقد أنّه لا ينبغي اعتماد هذا النظر بشكل مطلق، إنّ هذه الوقائع، وإلى حدّ كبير، تشير إلى أنّ أولئك المفكرين الذين ابتعدوا عن الله واستغنوا عن هدايته واعتمدوا فقط



على أنفسهم، ابتلوا بالضلالة، وأضلّوا أنفسهم وأقوامهم، وجعلوا أنفسهم جهنّمين وكذلك أقوامهم، فلا شكّ في ذلك، غاية الأمر أنّي أفكر بهذه الطريقة: إنّ مراجعتنا لآراء المفكرين الغربيين وتضارب الآراء الموجودة عندهم، ومع هذه الريادة في المجال المتعلّق بتنظيم الأفكار وسبك المنظومات وترتيب الموضوعات، سيكون مفيداً لمفكرينا، بشرط واحد، وهو عدم التقليد، لأنّ التقليد هو ضدّ الحرّية، لا ينبغي أن يحصل التقليد، لكنّ نوع عملهم يمكن أن يكون مساعداً لكم»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٣/١١/٢٠١٢ م.





المعنوية والأخلاق

ركائز النهوض الحضاري

أولاً: حتمية التوجّه المعنوي وأهميته

يُمثل التوجّه المعنوي والارتباط الوجداني بالخالق سبحانه في فكر سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام القوة الحيوية التي تمنح الحياة معناها وجمالها.

إنَّ المعنوية ليست مجرد حالة ذهنية، بل هي بمثابة (الروح) التي تسري في جسد الأمة، فتعيد صياغة واقعها بروق وبهاء خاص. يشبه سماحته عليه السلام أثر المعنوية في المجتمع بأمطار الرحمة التي تُحيي الروضة قائلاً: «عدّ قضية الروح المعنوية هذه على جانب كبير من الأهمية، وهي بمثابة أمطار رحمة تهطل على روضة متنوعة، فتحْي تلك الروضة، وتزيدها طراوة وإيناعاً ورونقاً، حين تهطل الأمطار، فإنّها لا تمنح الحياة لمختلف أجزاء هذه الروضة فحسب، وإنّما تزيدها جمالاً ورونقاً وبهاءً وطراوة، وتجعلها عزيزة جميلة رائعة في الأنظار، هكذا هي أمطار المعنوية»^(١).

ويقول في موضع آخر: «ولا يمكن التقدّم إلى الأمام، من دون التوجّه المعنوي، ومن دون التوسّل والدعاء وصلاة الليل، ومن

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٩/١٠/٠٢ م.

دون الرجوع إلى الصحيفة السجّادية وقراءتها، لا يمكن للعمل أن يتقدّم، إذا لم يحافظ الإنسان على علاقته القلبية وارتباطه المعنوي بالله، ومراقبته لهذه الصلة.

عندما تكون بَنيتكم الروحية والمعنوية قوية، ستجدون المزيد من القدرات، سواء في مجال الفكر، أو اتخاذ القرارات، أو العمل، ونحن بحاجة إلى ذلك في جيل الشباب»^(١).

«إنّ الاهتمام الجدّي بالمثل الدينية والإلهية والالتزام الثوري أمرٌ ضروريٌّ لتقدّم البلاد بشكل واقعيٍّ»^(٢)، «وإذا فقدت الشعوب هويّتها، وفقدت مواردها المعنوية، فإنّ هذا يعدّ في الواقع موتاً حضاريّاً لها»^(٣).

ثانياً: البلوغ المعنوي كدرعٍ في مواجهة الأحداث

تُعدُّ مرحلة التكليف والشباب في الرؤية القيادية لسماحته المنطلق الأساس لبناء (البنية المعنوية) الصلبة. فالحياة الإنسانية بطبيعتها مسرحٌ لأحداث وتجارب لا تُحصى، والضمانة الوحيدة للخروج من هذه المنعطفات بشموخ وعزة هي القوة الروحية التي تُمكن الإنسان من مواجهة التحديات بشجاعة وشهامة.



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٣/٠٤ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠١٧/٠١/٠٢ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٦/٠٣ م.

يُؤصل سماحته ﷺ لهذه الرؤية التربوية بقوله: «إنَّ فترة حياة الإنسان هي فترة أحداث لا تعدّ ولا تحصى، وإنكم -ياذن الله- ستعيشون في هذه الحياة الدنيا عشرات السنين، وستشهدون أحداثاً، وترون الكثير من القضايا في حياتكم، وتجربونها، فإن كانت بِنيتكم المعنويّة قويّة، ستواجهون هذه الأحداث بشجاعة وشهامة، وتخرجون منها بشموخ وفخر واعتزاز، وستكتسبون العزّة الدنيويّة، وكذا المعنويّة والإلهيّة، وهذا يبدأ من لحظة التكليف»^(١).

ثالثاً: تمايز مفهومي المعنوية والأخلاق

يضع سماحة السيد علي الخامنئي ﷺ تعريفاً دقيقاً يوضح التمايز والتكامل بين المعنوية والأخلاق، بوصفهما الموجه الأساس للنشاطات الإنسانية قاطبة.

فبينما تركز (المعنوية) على الجانب القيمي الجوهري، تنصرف (الأخلاق) إلى السلوك والفضائل الميدانية.

يفصل سماحته ﷺ في هذا المفهوم قائلاً: «المعنويّة تعني تكريس القيم المعنويّة، من قبيل الإخلاص، والإيثار، والتوكّل، والإيمان بالذات وبالمجتمع والأخلاق بمعنى مراعاة الفضائل، من قبيل حبّ الخير، والتسامح، ومساعدة المحتاجين، والصدق والشجاعة والتواضع، والثقة بالنفس، وسائر الأخلاق الحسنة، فالمعنويّة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ١٣/١٢/٢٠١٦ م.

والأخلاق هي الموجهة للحركات والنشاطات الفردية والاجتماعية كلها، وهي حاجة أساسية للمجتمع، ووجودها يجعل من أجواء الحياة جنة، حتى مع وجود النواقص المادية، وعدم وجودها يجعل الحياة جحيمًا، حتى مع التمتع بالإمكانات المادية»^(١).

المواجهة في زمن الحرب على المعنويات

يُشخص سماحة السيد علي الخامنئي قُلَيْبُ طبيعة المرحلة الراهنة بوصفها (زمن معركة)، لكنها معركة من نوع خاص، فهي معركة ناعمة تستهدف الروح والبصيرة قبل الأجساد. إنَّ الخطوة الأولى في استراتيجية الدفاع هي (الإدراك واليقين) بوقوع الهجوم، إذ لا يمكن لمن لا يشعر بوجود المعركة أن يستنهض طاقاته لصدها.

يصف سماحته قُلَيْبُ هذا الواقع الميداني قائلاً: «إننا نعيش زمن معركة ثقافية، معركة ناعمة فرضت علينا، وتمَّ خلالها الهجوم علينا، هجمة ناعمة، وبأدوات متطورة وحديثة جداً، وبقدرات عالية جداً، حصل هجومٌ ضدنا، حسنٌ، أولاً، يجب أن نؤيد ذلك، يجب أن نقنع، أولاً، أننا في حالة حرب، وأننا تعرضنا لهجوم، إذا كان هذا، فيجب عندها تركيز الطاقات كلها لتوجيه ضربة للمهاجم، وصدَّ



هجومه، ما هو هدف المهاجم؟ وما الذي يستهدفه المهاجم من أعماله؟ إنه يستهدف ثقافتنا وأخلاقنا وعوائلنا وهويتنا وتاريخنا»^(١).

قواعد تعزيز الروح المعنوية

يرفض سماحته الرؤية السطحية التي تعدّ التوجه المعنوي أو فكراً (قديماً)، بل يراها ضرورةً عصرية ملحة، فالعالم اليوم يعيش حالة من الاضطراب والتلاطم نتيجة (الفراغ الروحي).

إنّ المعنوية ليست دواءً يُحقن به الناس، بل هي مسارٌ تربوي واجتماعي متكامل، ومن أبرز قواعده: «لا يتصورنّ أحد أن فكرة التوجّه نحو المعنويات هي فكرة قديمة ورجعية و«ليست على الموضة».

١. التمسك بالقرآن الكريم (منبع المعنوية والمعرفة)

يُمثل القرآن الكريم في الرؤية القيادية لسماحته الركن الأساس في تحصين الذات والمجتمع. فتلاوة القرآن لا تُعطي طمأنينة قلبية فحسب، بل هي (غذاء فكري) يمنح الإنسان المعرفة اللازمة لفهم تقلبات الحياة، ويقيه من الانزلاق في متاهات اليأس، أو التذلل أمام الطواغيت.

يُبين سماحته ﷺ بركات هذا الأنس القرآني: «إذا كانت تلاوة القرآن تلاوة صحيحة وحسنة، فيجب أن تمنحنا فائدتين اثنتين: الأولى أن تعمّق معنوياتنا وروحنا المعنوية وتكرّسها، فنحن غرقى الأمور

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٠١٨/١١/١٥ م.

المادّيّة، والبشر بحاجة إلى التوجّه المعنويّ والروح المعنويّة، وهذا ما يحصل بتلاوة القرآن، إذا ما تلوناه تلاوة حسنة، هذا أوّلًا، ثانيًا، أن نمدّ فكرنا، ونغذّيه بالمعرفة القرآنيّة، بمعنى أن القرآن يؤثّر في قلوبنا، ويؤثّر أيضًا في أذهاننا، وإنّ أنسنا بالقرآن، فستجلى كثير من مفاهيم الحياة لنا، فالانحرافات، وسوء الفهم، واليأس، وخيانات البشر بعضهم لبعض، وعداؤهم بعضهم لبعض، وإذلال الإنسان نفسه مقابل طواغيت العالم، وما إلى ذلك، هذه كلّها ناجمة عن البعد عن القرآن، فالقرآن يمنحنا المعنويّة، ويمنحنا أيضًا المعرفة. والتوصية الأخيرة هي أن لا تتركوا التوكّل على الله، والتوسّل به، والدعاء، والروح المعنويّة، لا تتركوا الأنس بالقرآن، ولا تتركوا الأنس بأهل البيت والعترة، ولا تنسوا اجتناب المعاصي والذنوب، لقد كان اجتناب المعاصي من أكثر ما يوصينا به الذين نقيم احترامًا وقيمةً عظيمةً لكلّ كلمة من كلامهم، بل ربّما على رأس ما يوصوننا به، فهذا هو أساس الأمر، كرّسوا هذا السلوك في أنفسكم، وفي عوائلكم، ولدى أبنائكم، وكلّ من له صلة بكم. إنّ بركات القرآن لا تقتصر على هذه الأمور التي ذكرتها بلساني القاصر، وإنّما هي بركات لا نهاية لها، ففي القرآن وبالقرآن توجد العزّة، والقوّة، والتقدّم، والرفاه الماديّ، والتعالى المعنويّ، ونشر الفكر والعقيدة، والفرح وسكينة الروح، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى



رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَنُ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا^(١)، وحين تحلّ الطمأنينة والهدوء والسكينة الدينية، تزداد التقوى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ فَإِنَّ السَّكِينَةَ تُوْدِي إِلَىٰ ازدياد الإيمان يوماً بعد آخر، ولكن الإيمان بماذا؟ إِنَّهُ الإيمان بالله، والإيمان بالقدرة الإلهية، ثم يقول بعد ذلك: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، كل شيء بيد الله، كل شيء جند لله، ويقول في مكان آخر: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٣) ^(٤).

٢. التأسيس الفكريّ (مرجعية التحول الرصين)

إنَّ أيَّ تحوّل حقيقي في بنية المجتمع أو الفرد يحتاج إلى دعامة فكرية صلبة؛ فالتحول العشوائي لا يلبث أن ينهار أمام العقبات. ويظهر التأسيس الفكري المستمد من (الموارد المعنوية) (القرآن الكريم، أحكام الإسلام، وسيرة أهل البيت عليهم السلام) كشرط أساسي لضمان سلامة الخطى وثبات القدم في مسارات الإصلاح، كما تجلّى ذلك في تجربة الإمام الخميني قدس سرّه الذي استند في تحولاته الكبرى إلى مباني الإسلام المعرفية.

(١) سورة الفتح، الآية ٢٦.

(٢) سورة الفتح، الآية ٤.

(٣) سورة المدثر، الآية ٣١.

(٤) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٦/٠٦/٢٠١٦ م.

يُؤصل سماحة السيد القائد الخامنئي قدس سره لهذه الضرورة قائلاً: «إنَّ التحوّل الصحيح يحتاج إلى دعامة فكريّة وإلى أسس فكريّة، لنفترض مثلاً أنَّ إحدى القضايا التي يتوجّب حتماً إحداث تحوّل فيها اليوم هي قضية العدالة، في مجال العدالة، يجب أن نقوم بتحوّل على أساس فكريّ، يحدّد ما هو فكرنا المتقن والمتبلور في مجال العدالة، عندها، تتحرّك نحو التحوّل على أساس هذا الفكر، أي إنّ هذا الأساس الفكريّ هو من الأمور الضروريّة المطلوبة، وهو من مواردنا المعنويّة، أي إنّنا يجب أن نستفيد من مواردنا المعنويّة في هذا المجال، وهي عبارة عن أحكام الإسلام والتعاليم الإسلاميّة، والآيات القرآنيّة الشريفة، وكلمات أهل البيت عليهم السلام.

يجب علينا الاستفادة من هذه الأسس، وإيجاد التحوّل بناءً عليها. كلّ ما أنجزه الإمام في مجال التحوّلات، كان مستنداً إلى هذه الحركة الإسلاميّة ومباني الإسلام المعرفيّة نفسها، لقد تحرّك الإمام ضمن إطارها، إذا لم يكن هناك مثل هذا التأسيس الفكريّ، فإنّ التحوّل لدى الإنسان سيكون خطأ، ومن المحتمل أن تزلّ قدم الإنسان، ثمّ إنّّه لن يثابر ويتابع، أي إنّّه في حالة التحوّل لن يكون سليم الخطى، ثابت القدم»^(١).



٣. النزعة الثورية في مواجهة الانهزام المعنوي

تُعد النزعة الثورية في الرؤية الإسلامية حالةً أخلاقيةً ومسلكيةً قوامها: التقوى، والشجاعة، والبصيرة، والصراحة. إنَّ أخطر ما يواجه المجتمع المؤمن هو (الانهزام الداخلي) فالشعور بالعجز أمام قوة العدو المادية هو الهزيمة الحقيقية التي تسبق هزيمة الميدان.

فإنَّ الحفاظ على الروح المعنوية العالية واليقين بالقدرة الذاتية هو الأصل في أي مواجهة.

يُشخّص سماحته ﷺ معايير الثورية وخطر الانهزام النفسي بقوله: «إن أردنا أن نتجرأ في محضر هذا الجمع ونعرض معايير النزعة الثورية، يبدو لي أنَّ الملاك في الثورية هو التقوى والشجاعة والبصيرة والصراحة وعدم الخوف من «لومة لائم»، هذه هي معالم كون الإنسان ثورياً ومؤشّراته، إذا تحلّينا بالتقوى والشجاعة الكافية والصراحة اللازمة في الموارد التي تحتاج إلى صراحة وإلا ففي الأماكن التي تتطلّب الكناية والتلميح، تكون الصراحة مضرّة، واستطعنا القيام بهذه الأمور فنحن ثوريون.

يجب ألا نصاب بالانهزام المعنوي أمام الأعداء، هذا من الأصول، الانهزام المعنوي مضر، إنَّ كلَّ من يصاب بالهزيمة في ذاته، سوف يهزم في ساحة المواجهة بالتأكيد وأوّل هزيمة لأيّ إنسان، هي الهزيمة في داخله والشعور بأنّه غير قادر، وأنَّ عمله عديم



الجدوى، وأنَّ الطرف الذي يواجهه أقوى منه بكثير، وأنَّه لا يستطيع القيام بأيِّ شيء، هذا هو الانهزام المعنوي، إذا استشرت هذه الروح فينا، لحلت بنا الهزيمة في ساحة المعركة لا محالة، فلا ينبغي لهذا الانهزام أن يوجد فينا، علينا أن ننتبه لهذا الأمر^(١).

٤. رفع صوت الشهداء

يمثل الشهداء في وجدان الأمة عوامل ازدهار الحياة المعنوية، فهم يمنحون المجتمع الشعور بالهوية والهدف. إنَّ تأثير الشهيد لا ينتهي بمفارقته للحياة الدنيا، بل إنَّ صوته ينطلق بعد الشهادة ليصبح أكثر تأثيراً في القلوب، إذ تتحول دماء الشهداء وذكراهم إلى قوى واعية توقظ الإنسان وتدفعه نحو المبادئ دون توقف. يستلهم سماعته عليه السلام هذا المعنى من البعد القرآني قائلاً: «إنَّ الشهداء هم من أسباب ازدهار الحياة المعنوية في البلاد وعوامله، الحياة المعنوية تعني الروحية والشعور بالهوية ووجود الهدف وتعني كذلك السير نحو المبادئ والأهداف، وعدم التوقُّف، هذا هو ما قام به الشهداء، وهو ما يعلمنا إياه القرآن، ما دام الشهداء على قيد الحياة، فهم يدافعون بأجسامهم، وحين يستشهدون، يدافعون بأرواحهم: ﴿وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٦/٠٥/٢٠١٦ م.



عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(١) لَاحِظُوا أَنَّ هَذَا الْإِسْتِشْهَارَ حَالَةٌ تَخْتَصُّ
بِمَا بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِمْ وَمَفَارِقَتِهِمْ الْحَيَاةَ، عِنْدَمَا يَكُونُونَ مُوجُودِينَ،
تَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ وَأَجْسَامُهُمْ وَحَرَكَتُهُمُ الْمَادِّيَّةُ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ
وَالْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَحِينَمَا يَرْحَلُونَ، تَكُونُ مَعْنَوِيَّاتُهُمْ فِي خِدْمَةِ
الْإِسْلَامِ وَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ بَعْدَ رَحِيلِهِمْ، نَطَقَ الشَّهَدَاءُ وَحَدِيثُهُمْ
يَنْفَتِحُ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِمْ، فَيُشْرَعُونَ فِي الْكَلَامِ مَعَ النَّاسِ - ﴿بِالَّذِينَ لَمْ
يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ - إِنَّهُمْ يَقُولُونَ ذَلِكَ لَنَا وَيَجِبُ أَنْ لَا تَكُونَ
أَسْمَاعُنَا ثَقِيلَةً، لَنَسْتَطِيعَ سَمَاعَ هَذَا الصَّوْتِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى
هَذَا الصَّوْتَ صَوْتًا مُؤَثِّرًا، لَقَدْ جَعَلَهُ مُؤَثِّرًا حَقًّا، فَعِنْدَمَا يَنْقَلُ شَيْءٌ
عَنْ شَهِيدٍ، عِنْدَمَا يَنْقَلُ عَنْهُ كَلَامٌ دَقِيقٌ وَرَصِينٌ، فَإِنَّهُ يُوَثِّرُ فِي
الْقُلُوبِ وَيَغَيِّرُهَا، وَهَؤُلَاءِ الشَّهَدَاءُ الشَّبَابُ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ هَذِهِ الْأَيَّامَ
لِلدِّفَاعِ عَنِ الْمَرَاقِدِ، أَوْ ذَهَبُوا وَاسْتَشْهَدُوا، كَلَامٌ هَؤُلَاءِ وَأَفْعَالُهُمْ،
وَحَرَكَتُهُمْ، وَذِكْرَاهُمْ، وَالْكَلَامُ الَّذِي يَقَالُ عَنْهُمْ، كُلُّ هَذَا مِمَّا يَوْقِظُ
الْإِنْسَانَ، وَيُنَبِّهُهُ، وَيَبِثُّ فِيهِ الْوَعْيَ^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٠.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٨/١١/٠٥ م.

٥. إشاعة السلوك الخلقى^١ (القدوة قبل القوة)

إنَّ نمو الضمير الأخلاقي في المجتمع لا يتحقق عبر الأوامر الجافة أو القوة القهرية، بل يمر عبر: (القدوة) التي تترجمها سلوكيات القادة والمسؤولين، و(البيئة) التي تهيئها المؤسسات الاجتماعية. فالحكومات مطالبة بتوفير الأرضية الصالحة لترويج الفضيلة، ومحاربة المؤسسات التي تهدف إلى إفساد الناس بالخداع أو الضغط. يوضح سماحته قدس سره منهج إشاعة الأخلاق قائلاً: «كلّما نما الشعور المعنوي والضمير الخلقى^٢ في المجتمع أكثر، أثمر خيرات وبركات أكثر والأخلاق والمعنوية، حتماً، لا تتحقّقان عن طريق الأوامر والنواهي وعليه لا يمكن للحكومات تحقيقهما عن طريق القوة القهرية، لكن عليها هي أوّلًا، أن تتحلّى بالسّير والسلوكات الخلقية^٣ والمعنوية وثانيًا، عليها أن تهَيّء الأرضية لإشاعتها وترويجها في المجتمع وأن تتيح الفرص للمؤسسات الاجتماعية للعمل على هذا الموضوع، وتمدّ لها يد العون، كما عليها محاربة المؤسسات المعادية للمعنوية والأخلاق بأسلوب معقول وباختصار، أن لا تسمح للجهنميّين أن يجعلوا الناس جهنميّين بالقوّة والخداع»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١١/٠٢/١٩٠٢ م.

العلاقة الطردية بين حجم المسؤولية والبناء المعنوي

تتجلى في الرؤية الإسلامية حقيقة مفادها أن النهوض بالمسؤوليات الجسيمة يتطلب زاداً روحياً استثنائياً، فبينما يكفي (عامّة الناس) حدٌ معين من الركيزة المعنوية لتمشية أمور معاشهم، يحتاج (المسؤولون) والمتصدون للشأن العام إلى تعزيز بُنيَتهم الروحية بشكل مضاعف.

إنَّ العمل الشاق والمسؤولية الثقيلة لا يمكن أن يبلغا مقصدهما دون سندٍ من الغيب ومددٍ من العبادة.

ويستلهم سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره هذا المبدأ من الخطاب الإلهي الموجه لنبي الرحمة في سورة المزمل، مبيّناً فلسفة الأمر بقيام الليل: «إنَّ عامّة الناس عاكفون على تمشية أمور معاشهم، ولا يحملون على كاهلهم هذا العبء الثقيل [من المسؤولية]، وركيزتهم المعنويّة بمقدروها دفعهم إلى الحركة، أمّا نحن المسؤولين، إن لم نعمل على تعزيز بُنيَتنا المعنويّة، فلن نتمكّن من بلوغ المقصد بذلك العمل اللازم، وتلك المسؤولية الثقيلة، انظروا كيف يخاطب الله سبحانه وتعالى شخصاً كالنبيّ، وإنساناً عظيماً كرسول الله، في سورة المزمل، قائلاً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ❀ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ❀ نُّصَفُهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ❀ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(١).

(١) سورة المزمل، الآيات ١ إلى ٤.

قم الليل نصفه أو أقلّ أو أكثر منه، واشتغل بالعبادة والدعاء والمناجاة وتلاوة القرآن في تلك الساعات، لماذا؟ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(١) مَهْمَّتَكَ شاقّة وعلى كاهلك عبء ثَقِيل، عليك أن تتحمّله، فإنْ بادرتَ إلى إحياء الليل وإلى التضرّع والدعاء، سيكون بمقدورك حمل هذا العبء والمضيّ به قدماً، حتّى الوصول إلى المقصد، وإلّا فلا وهكذا هو حالنا.

ويؤكد سماحته قدس سرّه على شمولية هذا الخطاب لكل من يتصدى لموقع إداري أو قيادي، محذراً من مغبة الغفلة عن البناء الذاتي: «أعزائي! إنّ لم نعمل على تعزيز بنيتنا المعنويّة، [فلن يسعنا النهوض بالأمر]، في أيّ موقع كنّا -بدءاً من هذا الحَقِير الذي يحمل على عاتقه مسؤوليّة أثقل من مسؤوليّة الجميع، إلى مديري الأقسام والمستويات المختلفة- كلّنا مخاطبون بهذا الخطاب: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، وعلينا أن نعدّ أنفسنا»^(٢).

(١) سورة المزمل، الآية ٥.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٣/٥/١٤٠١ م.



أروع تجلٍّ للمعنويات (مدرسة الدفاع المقدس ونماذج الصمود)

لا تنحصر المعنوية في إطار التنظير الفكري، بل تتجسد في أرقى صورها عندما تتحول إلى (سلوك ميداني) في أحلك الظروف. وفي رؤية سماحة السيد علي الخامني قلبي، مثّلت حقبة (الدفاع المقدس) المختبر الأكبر لظهور الفضائل الإنسانية والعروج الروحي، وهو ما يمكن رصده في جبهتين:

١. في رحاب المجاهدين (العرفان العملي وروح الخدمة)

برزت في جبهات القتال أعلى مراتب الصدق والصفاء، حيث تحولت ساحات الحرب إلى محاريب للعبادة وميادين للإيثار. ولم تكن هذه المعنوية مجرد حماسة عسكرية، بل كانت "ارتقاءً روحياً" جعل من القادة والجنود نماذج في التواضع والخدمة الخفية. يصف سماحته قلبي هذا المشهد العجيب قائلاً: «ففي «الدفاع المقدس»، برزت أعلى مراتب الفضائل الخلقية والعروج المعنوي والارتقاء الروحي، في الحقيقة، لا يمكن العثور على شبيه لذلك، نعم، يوجد هنا وهناك، هي موجودة في كل مكان، لكن أن تظهر الفضائل الخلقية وأبعاد الارتقاء المعنوي والروحيات الدينية وما شابه بهذه الكثرة وهذا العدد، فأنا لم أجد مثيلاً لذلك في أي مكان إلّا في جبهات «الدفاع المقدس» السير التي كتبت تظهر هذه الخصوصيات، والوصايا أيضاً، والأحوال التي كانت تنقل عن

بعض المجاهدين، (كلّها) تظهر ذلك، الفضائل الخلقية مثل المودة والصّدق والصفاء.

أساساً كانت الجبهة منطقة للصّدق والصفاء، فالجميع كانوا يعيشون الصفاء بينهم، الإخلاص والعمل لله... يقرأ المرء في السير مثلاً أنّ مجموعة كانوا نائمين في خيمتهم ليلاً، وعندما يستيقظون في الصباح، يجدون أحذيتهم العسكرية مملّعة، من الذي لمّعها؟ غير معلوم، بعد التحرّي، يعلم أنّ قائد السرية مثلاً أو المجموعة جاء ليلاً ولمّع جميع الأحذية، أو غسل ثيابهم التي كانوا قد جمعوها ليغسلوها، أو نظّف لهم المرافق، هذا التواضع وهذه الخدمة وروح الخدمة والإيثار والتضحية والفداء إنّها أمور عجيبة، وبعد ذلك تلك الحالات المعنوية، وذاك البكاء في جوف الليل وقيام الليل وتلك الحماسة والعشق التوحيديّ، وذاك العزوف عن الزخارف الدنيوية، والارتباط الغيبيّ في بعض الحالات، بعض هؤلاء الأعزّاء، هؤلاء الشباب العارفين عارفون بالمعنى الحقيقيّ للكلمة - وصل بهم الأمر في الجبهة أن يروا المستقبل، ويخبروا عنه: عن شهادتهم، عن شهادة أصدقائهم، عن الأحداث التي يمكن أن تحدث»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢١/٠٩/٢٠٢٠ م.

٢. أمّهات الشهداء (معجزة الإيمان والتسليم)

تتجلى عظمة المعنوية الإسلامية في أبهى صورها عند (أم الشهيد) حيث يذوب عظمُ العاطفة الأمومية في بحر اليقين الديني. إنَّ القدرة على إرسال الابن الشاب إلى الجبهة بعبارة (اذهب من أجل الإسلام)، ثم استقبال جثمانه بالفرح والحمد، هي مرتبة من التسليم القلبي تحيّر العقول وتجسّد بركة الإسلام وعمق الإيمان.

يؤكد سماحته عليه السلام على هذا الأثر الإيماني العميق: «تعود المعنوية إلى بركة الإسلام، فهي تتعلّق بتسليم القلب لله، وبقضيّة الإسلام، وبمسألة الإيمان الدينيّ، بالفعل، يقف الإنسان حائراً أمام تأثير هذا الإيمان العميق أو مثلاً معنويّات أمّهات الشهداء، طبعاً أنا وأنتم لا يمكننا أن ندرك شعور الأمومة أساساً، وبالفعل لا أحد يستطيع أن يدرك شعور الأمومة إلّا الأمّ نفسها، ثمّ تأتي هذه الأمّ، وترسل ابنها الشاب إلى الجبهة، أو عندما يأتي الشاب، ويطلب من أمّه أن تأذن له بالذهاب، تقول له: اذهب من أجل الإسلام.

وعندما يحضرون جثمان هذا الشاب نفسه، تفرح الأمّ بأنّها قدّمته في سبيل الله، فتقول: لقد قدّمت هذا في سبيل الله، الحمد لله، كان لي التوفيق بالجلوس كثيراً مع عائلات الشهداء وأمّهاتهم وآبائهم، فيلاحظ الإنسان في موارد كثيرة، لا تعدّ ولا تحصى، أيّ معنويّات وأيّ حالات وأيّ إثارة تتمتع به أمّهات الشهداء!»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢١/٠٩/٢٠٢٠ م.

المعنوية أساس المجتمع المهدويّ (من الانتظار السلبي إلى المبادرة)

يربط سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره بين البناء المعنوي للفرد وبين الغاية الكبرى للأمة المتمثلة في (انتظار الفرج). فالانتظار في الرؤية الإسلامية الأصيلة ليس حالة من الركود أو الترقب السلبي، بل هو (فعلٌ حركي) يتطلب الاستعداد التام والمبادرة الواعية لتغيير الواقع وتقريبه من نموذج المجتمع الذي سيقمه الإمام المهدي عليه السلام.

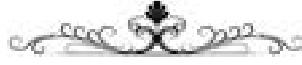
يؤصل سماحته قدس سره لهذا المفهوم الحركي للانتظار قائلاً: «إنّ الانتظار لا يعني الجلوس ووضع الكفّ على الكفّ والتحديد لرؤية ماذا سيحدث! انتظار الفرج يعني الجهوزيّة، يعني الإقدام والمبادرة، بمعنى أن يشعر الإنسان بأنّ هناك أهدافاً وعاقبة يمكنه الحصول عليها، ويجب عليه السعي للوصول إليها، ففي انتظار فرج حضرة بقيّة الله (أرواحنا فداءه)، يجب علينا أن نبذل الجهد في هذا الطريق، أن نسعى في طريق بناء مجتمع مهدويّ، أن نقوم ببناء أنفسنا، وكذلك أن نغير، ونبني بيئتنا المحيطة بنا، بكلّ ما نملك من قوّة وقدرة، ونقرّب تلك البيئة إلى المجتمع المهدويّ، فالمجتمع



المهدويّ هو مجتمع العدل، هو مجتمع المعنويّة، ومجتمع المعرفة،
ومجتمع الأخوة، ومجتمع العلم، ومجتمع العزّة»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٤/٠٩ م.





البصيرة

البوصلة المعرفية في زمن الفتن

لطالما مثّلت (البصيرة) في خطاب سماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه قيمة مركزية تتجاوز كونها مجرد مفهوم أخلاقي، لتصبح ضرورة استراتيجية في بناء المجتمع وحركته نحو الأهداف السامية.

فالصراع في الرؤية التوحيدية ليس صراعاً قائماً على سوء النوايا، بل هو جهدٌ مقدّس يهدف إلى بلوغ الإنسانية ذروة كمالها ورفاهها.

يؤصّل سماحته لهذه القيمة بوصفها الركيزة الأساس لكل المساعي الإنسانية قائلاً: «عندما يدخل الإنسان في صراع على أساس النظرية التوحيدية والنظرية المادية، فإنّ هذا الصراع هو جهد مقدّس، إذا قام بحرب مسلّحة فإنّ الأمر كذلك، الصراع في الأصل ليس قائماً على سوء الظنّ وسوء النوايا، الصراع يهدف إلى أن تصل الإنسانية -وليس فقط هذا الإنسان نفسه- إلى الخير والكمال والرفاهية والتكامل، بهذه النظرة، تكتسب الحياة وجهًا جميلًا وتصبح الحركة في هذا الميدان الواسع عملاً لذيذاً، يزول تعب الإنسان بذكر الله تعالى وذكر الهدف، هذا هو المرتكز الأساس للمعرفة، المرتكز الأساس للبصيرة، هذه البصيرة هي أمرٌ مطلوبٌ ولازمٌ جداً، هذا ما يجب أن نوفره في أنفسنا، في الحقيقة، إنّ

البصيرة هي أرضية جميع الجهود والمسااعي الإنسانية في المجتمع^(١).

فيما يلي نتعرض لتعريف البصيرة ومظاهرها وشروطها وكيفية اكتسابها.

أولاً: حقيقة البصيرة وماهيتها

تتمثل حقيقة البصيرة في قدرة الإنسان على (التدبر في عواقب الأفعال)، مما يجعلها قضية فكرية في جوهرها، فالمتبصر هو من يمتلك الأدوات المعرفية والقراءة الموضوعية للأحداث، ليتمكن من التمييز بين مواضع الفعل ومواضع الامتناع بناءً على دراسة الآثار والمآلات.

يفكك سماحة السيد علي الخامنئي قلبي معنى البصيرة المستلهم من مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام، مبيناً أنها نقيض السطحية والعوامية: «في الحوادث المختلفة أيضاً، من الممكن للإنسان أن يتحلّى بالبصيرة أو يفقد البصيرة، هذه البصيرة بأيّ معنى؟ ما معنى أن يحصل على البصيرة؟ كيف يمكن أن يجدها؟ هذه البصيرة الواردة في الروايات والتي تمّ التأكيد عليها أيضاً في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، تعني أن يتدبر الإنسان في الحوادث التي تجري من حوله والحوادث التي تجري معه وترتبط به، يتدبر ويسعى، كي لا يمرّ على الحوادث مرور الكرام وبشكل سطحيّ كالعوام، وتعبير



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلبي، بتاريخ: ٢٦/١٠/٢٠١٠م.

أمير المؤمنين عليه السلام أن يعتبر: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ»^(١)، يفكر، وعلى أساس هذا الفكر يعتبر ويأخذ العبر، أي إنه يزن المسائل بالتدبر (اعتبر فأبصر)، بهذا الميزان يجد البصيرة، النظر الصحيح إلى الحوادث والتدبر فيها يوجد البصيرة عند الإنسان، أي إنه يوجد قدرة على الرؤية والتبصر لدى الإنسان ويفتح عينه على الحقيقة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في موضع آخر: «فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ»^(٢).

ثانياً: منهجية الرؤية عند البصير

لا تعني البصيرة الانغلاق، بل هي انفتاحٌ واعٍ على المعلومة (السمع) متبوعٌ بمعالجة عقلية (التفكير) تنتهي بالرؤية الحقيقية (الإبصار)، فالبصير هو من لا يقبل الأمور أو يرفضها بمجرد السماع العابر، بل يُخضعها لمختبر الفكر: «البصير هو الذي يسمع، لا يغلق أذنيه، وعندما يرى يفكر، لا يمكن للإنسان أن يقبل بأمر أو يرفضه بمجرد سماعه، ينبغي التفكير: «البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر»، ينظر ولا يغلق عينه»^(٣).

(١) السيد الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ١٤٩، خطبة ١٠٣.

(٢) السيد الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٢١٣، خطبة ١٥٣.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٦/١٠/٢٠١٠ م.

ثالثاً: البصيرة في مواجهة (لبس الباطل)

تزداد الحاجة إلى البصيرة عندما يفقد الواقع وضوحه، فالباطل لا ينزل إلى الميدان بصورته القبيحة الصريحة، بل يرتدي (لباس الحق) أو يمزج جزءاً من الحق بجزء من الباطل لخلق حالة من اللبس والفتنة. وهنا تكمن الوظيفة الأهم للبصيرة: (فك الاشتباك المعرفي) بين الحق والباطل.

يُحَلِّل سماحته خطورة (المزج) استناداً إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعُ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تَتَّبَعُ وَأَحْكَامُ تَبْتَدِعُ، يَخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ»، إلى أن قال: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمَعَانِدِينَ»^(١)، أي إن الحق والباطل لو كانا صريحين واضحين وسط الميدان لما بقي مجال للاختلاف، فالجميع يحب الحق ويكره الباطل، «وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضَغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضَغْثٌ فَيَمَزْجَانِ، فَهَنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ»، يخلط جزء من الحق مع جزء من الباطل فلا يكونان متمايزين، وعندها يشته الأمر على المخاطبين، يجب مراقبة هذا بشكل جيد»^(٢).



(١) السيد الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٨٨ خطبة ٥٠.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٦/١٠/٢٠١٠ م.

كيفية اكتساب البصيرة (ممارسة فكرية لا غاية مستحيلة)

لا يمثل الوصول إلى مرتبة البصيرة غاية شاقة أو مستحيلة المنال، بل هو ممارسة ذهنية تعتمد بالدرجة الأولى على تفتح الفكر، وشحذ القدرة التحليلية للقضايا السياسية والاجتماعية، فمتى ما اقترن العزم والعمل بالإخلاص، استطاع الإنسان أن يبلغ مقام أهل البصائر.

يؤصل سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره لسهولة اكتساب البصيرة متى ما توفر التجرد من الأهواء قائلاً: «إنَّ المطالبة بالبصيرة ليست مطالبة بأمر صعب وغير ممكن، اكتساب البصيرة ليس أمراً شاقاً، اكتساب البصيرة يحتاج فقط إلى الحد الذي لا يكون فيه الإنسان أسيراً للمصائد والشباك المختلفة من الصداقات والعداوات وأهواء النفس والأحكام المسبقة، يكفي الإنسان هذا الحد، بأن ينظر ويتدبر ليجد الحقيقة، المطالبة بالبصيرة هي هذه المطالبة بالتدبر، النظر، وليس أكثر، على هذا، يمكن أن يفهم أنَّ تحصيل البصيرة هو عمل الجميع، الجميع يمكنهم إيجاد البصيرة، بعضهم يقع في الغفلة ليس بسبب العناد ولا بسبب سوء النوايا، مع أنَّ الإنسان يحب نفسه كثيراً، لكنَّه أحياناً يغفل للحظة أثناء قيادة السيارة، لحظة من السهو، من غلبة النعاس، تعقبها خسارة لا تعوّض، العثرات وزلات الأقدام التي تحصل في هذا المجال لا يمكن

عدّها ذنوباً، ولكن إذا استمرّت وتتابعت، فهذا إذاً فقدان للبصيرة، وهذا ليس مقبولاً بعد الآن»^(١).

ارتباط البصيرة بمنظومة القيم (الشرط اللازم لا الكافي)

بالنظر إلى الهدف الأسمى للحياة الإنسانية المتمثل في إحقاق الحق، تبرز البصيرة على رأس قائمة القيم المطلوبة، إلا أنها -وفق الرؤية القيادية لسماحته- تُعد شرطاً (لازماً) للنجاح وليست شرطاً (كافياً) بمفردها، إذ لا بد أن تترابط مع عناصر أخرى لضمان الوصول إلى الهدف.

١. البصيرة والإرادة (العزم)

قد يمتلك الإنسان معرفةً تامةً بالحقائق (بصيرة)، لكنه يفتقد العزم على اتخاذ الموقف الصحيح بسبب (طلب العافية) أو اتّباع المصالح الشخصية أو العناد.

يقول سماحته قدس سرّه في تبيان هذا التلازم: «إنّ البصيرة تكون أحياناً موجودة، ولكنّ الخطأ والاشتباه يستمرّان في الوقت نفسه، لذلك قلنا إنّ البصيرة ليست شرطاً كافياً للنجاح، هي شرط لازم، يوجد هنا عوامل أخرى، أحدها مسألة عدم وجود العزم والإرادة، بعضهم يعرف الحقائق، لكنّه يقرّر أن يتّخذ موقفاً، لا يقرّر أن يصرّح بما يجب، لا يقرّر أن يقف مع الحقّ وفي موقف الدفاع عن الحقّ،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سرّه، بتاريخ: ٢٦/١٠/٢٠١٠م.



طبعاً ثمة أسباب لعدم اتّخاذ القرار: طلب العافية أحياناً، هوى النفس أو الشهوات أحياناً أخرى، اتّباع المصالح الشخصية وأحياناً العناد واللجاجة»^(١).

٢. العناصر الثلاثة للنجاح (البصيرة، الإخلاص، والعمل المناسب)

يحدد سماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه معياراً ذهبياً للعمل التعبوي والرسالي، يربط فيه بين ثلاثة أركان لا تنفك عن بعضها البعض:

- البصيرة: وهي البوصلة التي تهدي إلى الطريق الصحيح وسط تعقيدات الأوضاع.
- الإخلاص: وهو المحرك المعنوي والروحي للعمل.
- العمل في الوقت والمقدار المناسبين: وهو التجلي الميداني للوعي والإرادة.

يؤكد سماحته على هذا الترابط قائلاً: «ما ينبغي أن يكون معياراً لنا جميعاً ولكلّ التعبويين الأعزّاء ولكلّ الشباب العاملين في أية رقعة من هذه الساحة الكبيرة هو العناصر الثلاثة: البصيرة، الإخلاص، العمل في الوقت المناسب وبالمقدار المناسب، اربطوا دوماً بين هذه العناصر الثلاثة وخذوها بنظر الاعتبار، يجب أن تكون هذه العناصر الثلاثة معياراً ومؤشراً بالنسبة إلينا: البصيرة والإخلاص والعمل في الوقت المناسب وبالمقدار المناسب».

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٦/١٠/٢٠١٠م.

الشيء الذي يهدي إلى الطريق هو البصيرة، ما أصوب ما قال هذا القائد العزيز المحترم الإمام الخميني قدس سره من أن التبويين استطاعوا حيال تعقيدات الأوضاع أن يوجدوا تعقيداً في أذهانهم وأفكارهم وشخصياتهم ويعرفوا بذلك الأمور، وهذا ما دلّت عليه أحداث عام ٨٨ كان من الممكن للكثيرين أن يخطئوا وقد أخطأ الكثيرون، مع أن معظم الذين أخطأوا صحّحوا خطأهم بعد مدة قصيرة، لكن حركة التعبئة العظيمة احتفظت لنفسها بمؤشر البصيرة وبراية البصيرة ولم تخطئ، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يعرف الحق بالرجال»^(١)، لا يمكن معرفة الحق بالشخصيات، قد تكون الشخصية محترمة ومقبولة ومكرّمة، لكنّها لا يمكن أن تعدّ مقياساً للحق، أحياناً قد تخطئ بعض الشخصيات المعتبرة وتسير في الطريق الخطأ»^(٢).

البصيرة والمقياس الموضوعي للحق

في ختام هذا المطلب، يُعيد سماحته التذكير بقاعدة علوية أصيلة في ممارسة البصيرة، وهي عدم جعل (الأشخاص) مقياساً للحق، فالبصيرة تقتضي معرفة الحق أولاً ثم تقييم الرجال على أساسه، وليس العكس.



(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٤٠/ ص ١٢٦.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٥/١٠/٢٠١٠م.

يقول سماحته قُدْسِهِ مستشهداً بكلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يجب معرفة الحقّ وتشخيص الدرب لكي نعرف هل هذا الشخص على حقّ أم على باطل، كلّ من سار في هذا الدرب هو على حقّ، وكلّ من لم يسر في درب الحقّ فهو مرفوض، ينبغي معرفة الحقّ، الجماعة الشابة المؤمنة المجتمعة تحت مظلة التعبئة ورايتها أبدت هذه البصيرة وأثبتت أنّها تتحلّى بالبصيرة.

البصيرة هي العنصر الأوّل، ويجب أن يكون الحال كذلك في المستقبل أيضاً، يتعيّن امتلاك القدرة على التحليل والقدرة على التشخيص.

قال الإمام الخميني قُدْسِهِ، وهو رائد ومؤسس لكلّ من هذين الحركتين والتيّار، وله حقّ الحياة في عنق هذا المجتمع وهذه الحركة العظيمة: حتّى لو انفصلت أنا عن الإسلام، فسوف يعرض الناس عني، المعيار والمؤشّر هو الإسلام وليس الأشخاص، هذا هو كلام الإمام قُدْسِهِ، هو الذي علّمنا أن نميز الطريق ونعرفه ونشخص المسيرة الصائبة، وندرك مخططات الأعداء ونقرأها لنستطيع أن نفهم أيّ الأعمال لصالح العدو وفي خطّه، وأيّ الأعمال على الضدّ من العدو»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدْسِهِ، بتاريخ: ٢٥/١٠/٢٠١٠م.

شاهدٌ من التاريخ (معركة صفّين واختبار البصيرة)

يحتفل التاريخ الإسلامي بشواهد جسيمة على خذلان الحق، ولعل أبرز أسباب هذا التخاذل - كما يحلله سماحة السيد علي الخامنئي قدس سرّه - هو (فقدان البصيرة) لدى النخب والعامّة على حد سواء، وتعدّ حادثة (رفع المصاحف) في معركة صفّين النموذج الأبرز لانزلاق الأقدام حين تغيب الرؤية العميقة للأحداث.

يحلل سماحته قدس سرّه تلك اللحظة التاريخية الفارقة قائلاً: «في حرب صفّين كان جيش معاوية قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة، الحيلة التي استعملوها للنجاة من الخسارة الحتميّة هي رفع المصاحف على الرماح والتقدّم إلى وسط الميدان، بما معناه أنّ القرآن هو الحاكم بيننا وبينكم، فتعالوا نتحاكم إليه ونطبّق ما يقوله القرآن، حسناً هذا عمل جيّد عند العوامّ، بعضهم ممّن عرّف فيما بعد باسم الخوارج وشهروا سيوفهم في وجه أمير المؤمنين عليه السلام، كان في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وشاهد المصاحف فوق الرماح، قال: إنّها فكرة جيّدة، فهؤلاء لا يطلبون أمراً سيّئاً، بل يقولون: تعالوا إلى القرآن ليحكم بيننا، هنا كانت الخديعة، وهنا تزلّ قدم الإنسان، لأنّه لم ينظر إلى ما تحت قدمه، الناس لا يسامحون الذي انزلق وسقط أرضاً إن كان لم ينظر إلى ما تحت قدميه، هؤلاء لم ينظروا، لو كانوا يريدون أن يعرفوا الحقيقة، الحقيقة كانت أمام أعينهم، هذا الذي يدعوهم للرضا بحكم القرآن هو شخص خرج لقتال الإمام



المبايع له والمفترض الطاعة، كيف يكون معتقداً بالقرآن؟ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عدا عن كونه بالنسبة إلينا منصوباً عليه ومنصوباً من قبل الرسول، فإنّ من لا يقبل بذلك، بلا شكّ يقبل بأنّ جميع الناس قد بايعوا الإمام عليّاً عليه السلام بعد وفاة الخليفة الثالث، وبالتالي فإنّهم يقبلون بخلافته، فقد صار إماماً وحاكماً مفترض الطاعة في المجتمع الإسلاميّ، من الواجب على جميع المسلمين أن يتصدّوا لكلّ من يحاربه ويشهر السيف بوجهه. إن كان هذا الذي رفع المصحف على الرماح يعتقد حقاً بالقرآن، فالقرآن يقول له: لماذا تحارب عليّاً؟! يجب عليه أن يرفع يديه عالياً ليقول: نحن لن نقاتل، يضع سيفه في غمده، هذا ما كان يجب أن يراه هؤلاء، ما كان يجب أن يفهموه، هل كان هذا الأمر معقداً؟ هل كان معضلاً لا يمكن فهمه؟ لقد قصّروا، هذا يصبح انعداماً للبصيرة»^(١).

دور البصيرة في المواجهة مع العدو

لا تقتصر المواجهة مع العدو على البعد المادي والعسكري، بل انتقلت في العصر الحديث إلى أروقة (الحرب الناعمة)، التي تهدف إلى توجيه سلوك المجتمعات لتحقيق مآرب العدو دون تدخل عسكري مباشر.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٦/١٠/٢٠١٠ م.

هذه الحرب -بصمتها وضجيجها الإعلامي- تجعل من البصيرة سلاحاً لا غنى عنه لتبديد (الغبار السياسي) الذي يفتعله الخصوم.

يُشَخَّص سماحة السيد علي الخامنئي قُدس سرّه طبيعة هذه المواجهة بقوله: «أساس عمل العدو في الحرب الناعمة هو إثارة الغبار في الجو السياسي للبلد، انتبهوا لهذا، اليوم أهم عمل للعدو هو هذا، المطلعون والمتابعون للعمل السياسي وقضاياه يعرفون بأنه حالياً قدرة القوى العظمى لا تكمن في قنابلها النووية، ولا في الثروات المكدسة في مصارفها، بقدر ما تتجلى في قوتها الإعلامية، في صوتها العالي الذي يصل إلى كل مكان، هم يتقنون جيداً الأساليب الإعلامية، وللانصاف، لقد تطوّروا في العمل الإعلامي، لقد تعلّم الغربيون اليوم -سواء في أوروبا أو في أمريكا- أساليب حديثة ومتطورة جداً في الإعلام، نحن ما زلنا في الخلف في هذا المجال، أحد أهم أعمال هؤلاء أنّهم محترفو إعلام.

ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة، ينبغي مراقبة هذا الأمر، تكليف شبابنا اليوم في هذا المجال ثقيل، ليس المطلوب منكم فقط أن تعرفوا أنتم الحقيقة، بل إنّ عليكم أن تجعلوا جوكم ومحيطكم الخارجي ذا بصيرة أيضاً وأن توضّحوا القضايا للآخرين»^(١).

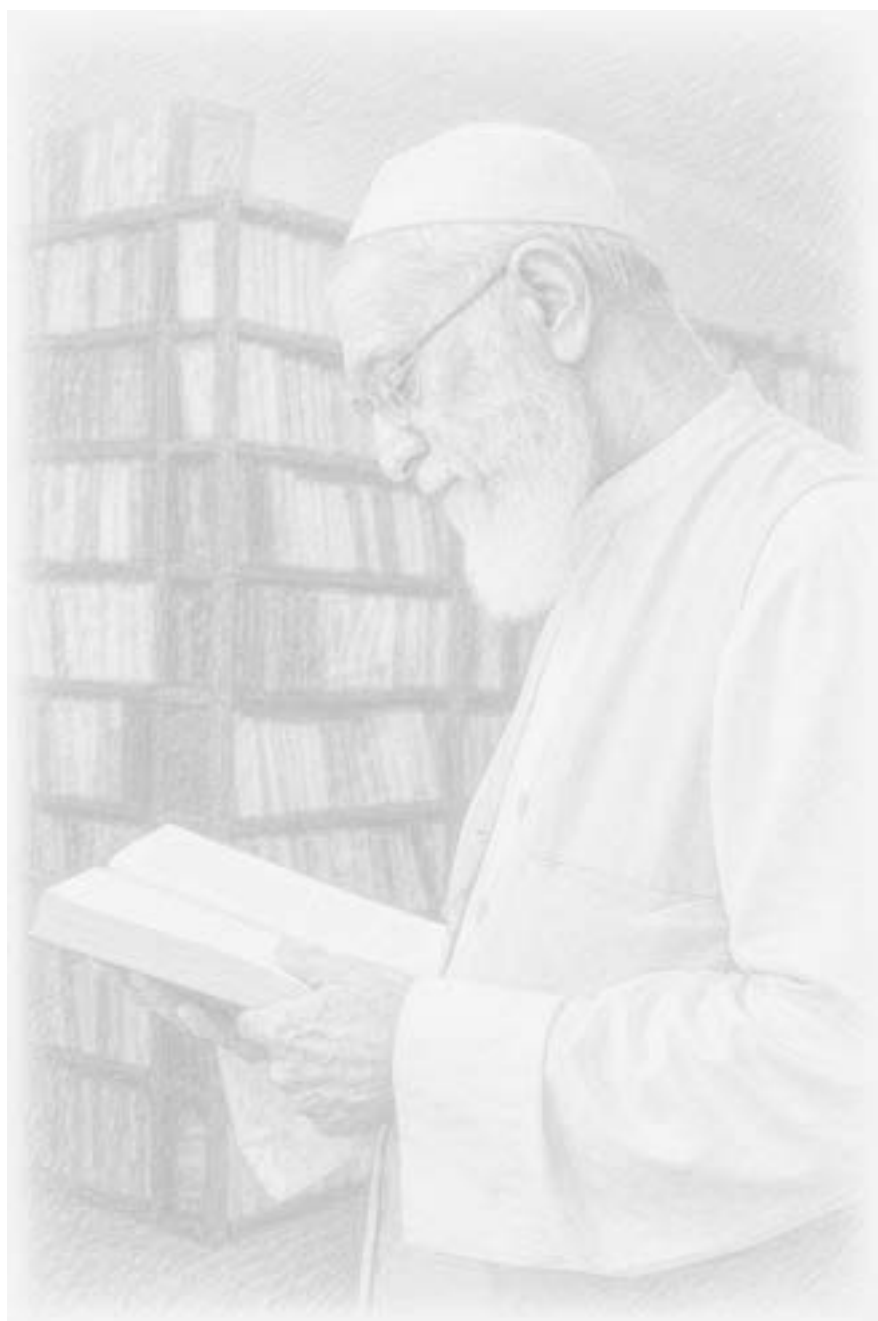


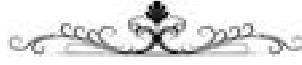
(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢٦/١٠/٢٠١٠م.

بناءً على ذلك يضع سماحته ملامح التكليف الملقى على عاتق الشباب في هذه المرحلة، والذي يتجاوز مجرد (الوعي الذاتي) إلى (التنوير الجماعي):

امتلاك الرؤية الصادقة: إدراك الحقائق وتجنب التأثر بالماكينات الإعلامية المتطورة للغرب.

صناعة البيئة البصيرة: التكليف يتطلب توضيح القضايا للمحيط الخارجي ونشر الوعي بين الآخرين لتبديد الغبار الذي يثيره العدو.





الصبر والنجاح

مفتاح الظفر وبلوغ الغايات

أكدت النصوص الروائية على المحورية الكبرى لخلق الصبر في تحقيق المنجزات الإنسانية، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الدَّرَكِ، وَالنُّجْحُ عَقْبَى مَنْ صَبَرَ»^(١).

وتشير هذه الرواية المباركة إلى أن النجاح في مختلف شؤون الحياة مرهونٌ بالصبر، بوصفه القنطرة التي تعبر بالإنسان نحو الفوز. وانطلاقاً من هذا المبدأ يُحلل سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره أهمية الصبر في مواجهة تقلبات الدنيا وآفاتها، معتبراً إياه (قوة راسخة) تمنح النفس القدرة على تحمل التكاليف الشاقة بجميل الأدب.

يقول سماحته قدس سره في تبيان ماهية الصبر: «إنَّ الإنسان ما دام في هذه الدنيا، كان مورداً للمصائب والآفات، ومحلاً للنوائب والعاهات، ومتوجّهاً إليه الأذى من بني نوعه في المعاملات، ومكلّفاً بفعل الطاعات وترك المنهيات والمشتبهات، وذلك كلّه ثقیل على النفس، شغ في مذاقها، وهي تتنفر منه نفاراً، وتتباعده عنه فراراً، فلا بدّ من أن يكون فيه قوّة ثابتة وملكة راسخة، بها يقتدر على حبس النفس على هذه الأمور الشاقّة، والوقوف معها بحسن الأدب، وعدم الاعتراض على المقدّر بإظهار الشكوى، وعدم

(١) الحرّانيّ، تحف العقول، مصدر سابق: ص ٢١٨.

مؤاخذه من آذاه، والانتقام منه، وتلك القوة أو ما يترتب عليها،
أعني حبس النفس عن تلك الأمور ومقاومتها لهواها هي المسماة
بالصبر.

ومن البين أن الإيمان الكامل، بل التصديق نفسه أيضاً يبقى بقاءه،
ويبقى بفنائه، فلذلك هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، كما
جاء في الخبر^(١).

وفي الإشارة إلى أهمية الصبر يقول سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره:
«الكل يحتاج إلى الصبر، حتى الكمل من بني البشر، فإنّ مظهر
العدالة الأكمل والأتم هو أمير المؤمنين، لا يوجد من هو أعدل
منه، قد صبر في مواقف كثيرة، أنتم ترون وتعرفون تاريخ حياة
أمير المؤمنين عليه السلام وسيرته، حيث يقول: «فَصَبَرْتُ، وَفِي الْعَيْنِ
قَدِّي، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا»^(٢).

وفي موقف آخر، يصبر في مقابل ضغوط الخوارج في حرب
صفين، ويسلم بالتحكيم.

(١) انظر: المازندراني، المولى محمد صالح بن أحمد، شرح أصول الكافي،
تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح السيد علي عاشور: ج ٨/
ص ٢٧٧، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ -
٢٠٠٠ م.

(٢) السيد الرضي، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٤٨، الخطبة ٣.



وعليه فإنَّ الصبر ضروريٌّ ومطلوب في أماكن ومواقف»^(١).

الصبر بوصفه (بقاءً في الساحة)

يُصحح سماحة السيد علي الخامنئي قُدس سرّه المفهوم الخاطئ للصبر الذي قد يوحي بالهروب أو الانزواء، مؤكداً أنَّ الصبر الحقيقي هو (المواجهة) و(الثبات) و(الاستقامة) في قلب الميدان. فالصبر يعني عدم تبديل الحسابات الدقيقة تحت وطأة خداع العدو، ومواصلة السير نحو الأهداف المرسومة بمعنويات عالية.

يقول سماحته قُدس سرّه مبيِّناً هذا البعد الحركي: «الصبر يعني البقاء في الساحة، وعدم الخروج منها بعضهم يهرب من الساحة، وبعضهم لا يخرجون، لكنهم يعتزلون الساحة تدريجياً، وهذا بخلاف الصبر، الصبر يعني الثبات، والبقاء في الميدان، والاستقامة، الصبر يعني التطلُّع والنظر إلى الأهداف والآفاق البعيدة»^(٢).

وفي موضع آخر يضيف: «الصبر يعني الصمود والمقاومة، الصبر يعني عدم تغيير حساباتنا الدقيقة بسبب خدع العدو، الصبر يعني متابعة الأهداف التي رسمناها لأنفسنا، الصبر هو السير والاستمرار بمعنويات عالية»^(٣).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢٨/٠٥/٢٠١٨ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٣٠/٠٦/٢٠١٨ م.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢٢/٠٣/٢٠٢٠ م.

الصبر ونجاح المسيرة

إنَّ أيَّ مسيرة كبرى علمية كانت أو جهادية - لا يمكن أن تبلغ ذروة نجاحها دون استراتيجية الصبر الطويل.

ويستدل سماحته بالتجربة التاريخية للأمة الإسلامية، حيث أثمر صبر الرعيل الأول في صدر الإسلام - رغم قسوة الظروف - نشوء أعظم حضارة إنسانية في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

يؤكد سماحته عليه السلام على هذا البعد الحضاري للصبر: «إنَّ أيَّ مسيرة حتَّى يتحقَّق لها النجاح لا بدَّ لها من الصبر، ففي زمن صدر الإسلام، وفي تلك العقود الأولى، حيث كان الوضع صعباً جداً - وخصوصاً في زمن الرسول الأعظم - صبروا وثبتوا وقاوموا، فكانت النتيجة أنَّه على الرغم من النواقص والسلبيات التي حصلت خلافاً لتعاليم الإسلام الحقيقيَّة، إلَّا أنَّ ذروة الحضارة الإنسانيَّة كانت في القرنين الثالث والرابع للهجرة، من نصيب الأمَّة المسلمة والبلدان الإسلاميَّة.

هكذا هو الأمر إذا صبرنا، فستكون الآفاق البعيدة لنا وإذا صمدتم اليوم، فسوف ترتقي الأجيال القادمة إلى تلك القمة»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٨/٠٦/٣٠ م.

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (مبادئ الصبر وفلسفة الظفر في الرؤية الإسلامية)

إِنَّ النِّجَاحَ فِي الْمَنْظُورِ الْإِلَهِيِّ لَيْسَ نَتَاجاً لِلْمُصَادَفَةِ، بَلْ هُوَ ثَمَرَةٌ لِلْعَنَایَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي تَخْصُ الصَّابِرِينَ، فَالصَّبْرُ هُوَ (القانون) الَّذِي يَحْكُمُ مَسِيرَةَ التَّكَامُلِ الْبَشَرِيِّ.

وَفِي رُؤْيَا سَمَاحَةِ السَّيِّدِ عَلِيِّ الْخَامَنْثِيِّ قَسَسَ عَلَيْهِ، لَا يَخْلُو مِيدَانٌ مِنْ مَيَادِينِ الْحَيَاةِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الصَّبْرِ، إِذْ إِنَّ الضَّعْفَ فِي الْإِرَادَةِ هُوَ الْمَمْهَدُ الْأَوَّلُ لِلْهَزِيمَةِ.

يُؤْصَلُ سَمَاحَتُهُ قَسَسَ عَلَيْهِ لِهَذِهِ الْمَعِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ قَائِلاً: «لَقَدْ وَضَعَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ شُرُوطاً عِدَّةً لِيَكُونَ مَعَ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْهَا الصَّبْرُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، وَ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

إِنَّا الْيَوْمَ نَوَاجِهُ جِهَةً سِيَاسِيَّةً وَمَالِيَّةً واِقْتِصَادِيَّةً وَعَسْكَرِيَّةً وَأَمْنِيَّةً هَائِلَةً، الْأَجْهَازَةُ الدَّعَائِيَّةُ كُلُّهَا فِي الْعَالَمِ تَقْرِباً تَعْمَلُ ضِدَّنَا وَتَتَحَامَلُ عَلَيْنَا، وَالْأَجْهَازَةُ الْمَالِيَّةُ التَّابِعَةُ لِلصَّهَابِيَّةِ وَلِأَمْرِيكََا وَلِلْمُسْتَكْبِرِينَ تَعْمَلُ ضِدَّنَا، هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ يَعْمَلُونَ، وَنَحْنُ طَبْعاً صَامِدُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَهَذَا الصَّمُودُ هُوَ بَرَكَةُ التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ^(٣).

(١) مِنْ جَمَلَتِهَا، سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ ١٥٣.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ ٢٤٩.

(٣) مِنْ كَلَامِ السَّيِّدِ الشَّهِيدِ الْخَامَنْثِيِّ قَسَسَ عَلَيْهِ، بِتَارِيخِ: ٢٠١٨/٠٣/١٥ م.

فلا يخلو ميدان من ميادين الحياة من الحاجة إلى الصبر، والتوَكُّؤ عليه حتَّى يكتب للمرء الظفر وبلوغ الأهداف التي يسعى إليها، إذ من تضعف إرادته بصورة أسرع فسوف يهزم»^(١).

ميادين الصبر (استراتيجية النهوض والظفر)

تتنوع ميادين الصبر في الرؤية الإسلامية لتشمل كافة مفاصل الحركة الإنسانية، وبقدر ما تقوى عزيمة الإنسان في هذه الميادين، يكتب له النجاح في مسيرته وتحقيق الأهداف الإلهية. وقد حدّد سماحة السيد علي الخامنئي قلبي خمسة ميادين أساسية لهذا الصبر الرسالي:

١. الصبر في مواجهة الأعداء (البصيرة والتقوى)

يُمثّل الصبر في مواجهة العداوات (خطة عمل) نبوية وضعت معالمها منذ فجر البعثة. ويرى سماحته أن اقتران الصبر بالتقوى يخلق حصانة تمنع ضرر كيد الأعداء، مهما بلغت قدراتهم المادية: «لقد أعطى الله تعالى النبي صلّى الله عليه وآله خطة عمل لمواجهة العداوات، إذ منذ بداية البعثة، أمر الله تعالى رسوله بالصبر، فقال تعالى في سورة المدثر، وهي من أولى سور البعثة النبوية: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾^(٢)، اصبر من أجل ربك، وقال في



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قلبي، بتاريخ: ٢٠١٣/٠٧/٢١ م.

(٢) سورة المدثر، الآية ٧.

سورة المزمّل، وهي من أولى سور القرآن أيضاً: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾^(١) وبناء عليه، فقد صدرت خطّة العمل^(٢).

ويقول تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾^(٣) هذا قانونٌ وسنّةٌ، إنّه قانون الخلق الصبر والتقوى يجعلان هذا العدو المعاند [الأشبه] بأسطوانة قبيحة من الحقد والبغضاء، على الرغم من قدراته كلّها التي وفرها لنفسه، عاجزاً عن ارتكاب أيّ حماقة في مواجهتكم ﴿لَا يَضْرُكْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، أي لا يستطيعون إصابتكم بأيّ ضرر، ولكن بأيّ شرط؟ بشرط الصبر والتقوى^(٤).

وفي كلام آخر له، يبيّن الهدف الرئيس الذي يسعى إليه أعداء الدين والإسلام، فيقول ﷺ: «الهدف الذي يريده الأعداء هو إشعال الحروب الداخلية بين المسلمين، وقد نجحوا - مع الأسف - في ذلك إلى حدّ ما، حيث راحوا يدمّرون البلدان الإسلامية واحداً تلو الآخر، بما فيها سورياً واليمن وليبيا، ويدمّرون بناها التحتية، لماذا؟ لماذا نستسلم لهذه المؤامرة؟ لماذا يبقى هدفهم مجهولاً لدينا؟ فلنمتلك البصيرة إذا ما أردنا التوفيق والنجاح في هذا الطريق.

(١) سورة المزمّل، الآية ١٠.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٢/٠٣/٢٠٢٠م.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٤) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٣٠/٠٦/٢٠١٨م.

ويؤكد سماحته أنَّ التوفيق في هذا الدرب مشروط بامتلاك البصيرة، لكونها الكاشفة لأهداف العدو الرامية لتمزيق وحدة المسلمين، مستشهداً بقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَلَا وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ»^(١) «يجب علينا أن نكون من أهل البصائر ومن الصابرين في هذا الدرب ﴿وَأِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾»^(٢)، أي إذا اقترنت مسيرتنا بالبصيرة والصبر والاستقامة، سوف لا تؤثر جهودهم ثمارها»^(٣).

٢. الصبر في مواجهة البلاء (العمل العقلاني)

تعدُّ الأزمات العامة والشدائد مصداقاً للاختبار القرآني، وفي هذا الميدان، يتجلى الصبر في (العمل العقلاني) والمنظم الذي يمتص أثر الأزمة ويحولها إلى مساحة للثبات: «إِنَّ مَرَضًا كَ (جائحة كورونا) هو مصداق هذه الآية المباركة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، فإنه يجلب معه الخوف، وفي الحقيقة بعضهم يخاف، وهذا أيضاً يتسبب بحدوث أزمة اقتصادية، ويكون سبباً للنقص في الأموال والأنفس

(١) السيّد الرضيّ، نهج البلاغة، مصدر سابق: ص ٢٤٧، الخطبة ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٠.

(٣) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٩/١٢/٢٠١٥ م.

والثمرات، ولكن الله يقول بعدها: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، فهنا أيضاً، يجب الصبر، وهذا يعني وجوب القيام بالعمل الصحيح، والعمل العقلاني^(٢).

٣. الصبر في انتظار الفرج (الإعداد لا الاستعجال)

يرتقي الصبر في هذا الميدان ليكون (إعداداً واستعداداً) لا مجرد تمنٍّ.

فانتظار الفرج هو نقيض الاستعجال المذموم الذي ينم عن نفاد الصبر، لأنَّ لكل أمرٍ موعداً تقتضيه الحكمة الإلهية: «إنَّ انتظار الفرج هو غير نفاد الصبر وتحديد مدَّةٍ ووقتٍ معيَّن للظهور، حيث يحدِّد الإنسان زماناً وتاريخاً معيَّناً، على سبيل المثال بأنَّه يجب أن تنتهي هذه الحادثة، أو أن تنتهي هذه المحنة، أو أن يظهر الإمام، فينفد صبر الإنسان، ويضرب بقدمه الأرض إصراراً واستعجالاً! هذا ليس انتظار الفرج، انتظار الفرج يعني إعداد النفس واستعدادها، إنَّ نفاد الصبر والاستعجال هما من الأمور الممنوعة، ثمَّة رواية تقول: «إنَّ الله لا يعجل لعجلة العباد»^(٣)، إذا كنت تستعجل وتسرَّع، فهذا لا يعني أن الله يجب أن يتَّخذ القرار تبعاً لك، ويستعجل بناءً على

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٢/٠٣/٢٠٢٠م.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق: ج ٢/ ص ٣٦٩.

عجلتك! كلّاً فكلّ أمر له موعد معيّن، له وقت محدّد، له حكمة، ويتمّ إنجازُه بناءً على تلك الحكمة»^(١).

٤. الصبر في العمل والإدارة

يُعدّ التسرع الآفة الحقيقية لأي عمل مؤسسي، فالنتائج الكبرى تحتاج إلى زمن وفرص ونضج.

والصبر هنا يعني استيعاب صعوبات الإدارة وتعقيداتها: «من عيوب العمل، عدم الصبر والتسرّع، وأن يصرّ الإنسان إصراراً شديداً، لماذا لم يحصل كذا؟ ولماذا لم يحصل كذا؟» كلّ شيء له قدره ومقداره، ولكلّ شيء أجله وأمهده، ولا يمكن لكلّ شيء أن يحدث بسرعة، ذات مرّة جاء رجل إلى الإمام الخميني، وشكا إليه وضع الحكومة، وقد كنت حينها رئيساً للجمهورية، قال شيئاً ما، فقال له الإمام الخميني جملةً واحدةً لا أنساها، قال: «يا سيّد، إدارة البلد صعبة».

«أنا كنت رئيساً للجمهورية، وحين قال الإمام الخميني هذه العبارة، صدّقته حقاً، ومن أعماق القلب، الكثير من الأعمال يجب أن تنجز، ويجب الاستعداد وعقد الهمم لها، لكن الوصول إلى النتائج



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنّي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٤/٠٩ م.

يحتاج إلى مقدار من الوقت والفرص، فالتسرُّع والعجلة والشعور بالتأخير ليس بالشعور الجيد»^(١).

٥. الصبر في بلوغ الأهداف العليا (التحوُّل والثبات)

إنَّ التحولات الحضارية الكبرى لا تحدث دفعة واحدة، بل تتراكم تدريجياً، والشرط الأساس لتأمين مستقبل البلاد هو (ثبات الأقدام) وتجنب التردد أو القلق من تأخر النتائج: «إنَّ التحوُّل لا يحدث لزوماً دفعةً واحدة، في بعض الأحيان، يحصل التحوُّل تدريجياً، فينبغي تجنُّب الاستعجال وقلة الصبر، إذا تمَّ تحديد الهدف والتصويب بصورة صحيحة، وتمَّت الحركة بالمعنى الحقيقي، لا توجد مشكلة إذا وصلنا إلى هدف التحوُّل في وقت متأخر، المهم في الأمر هو إكمال السير في الطريق، والقيام بالحركة، وينبغي تجنُّب التسرُّع وقلة الصبر، ليس الأمر أن نتصور، أنَّه يجب حتماً القيام بعمل ما دفعةً واحدة، كلاً، ليس الأمر كذلك»^(٢).

«نحتاج، برأيي، من أجل تأمين مستقبل البلاد، إلى الصبر والثبات، يجب أن تثبت أقدامنا، ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾^(٣) أحد الأمور التي طُلبت في هذا الدعاء ثبات الأقدام،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٩/٠٣/١٤ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٦/٠٣ م.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٤٧.

الصبر وثبات القدم أمران ضروريّان إنّ العمل الجهاديّ ضروريّ جداً، وأيّ نوع من التردد، أو القلق، وهل يمكن، أو لا يمكن، هل نقدّم أم لا، كلّها أمور مضرّة جداً»^(١).

الرصيد المعنوي (مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومنبع الصبر)

لا يُمثل الصبر في وجدان المجتمع المؤمن حالةً من التحمل السلبي، بل هو نتاج لـ (ذخيرة معنوية) لا تنضب، تُستمد من معارف أهل البيت عليهم السلام وعبر مجالسهم التي تُحيي القلوب. ويرى سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره أنّ سر الصمود العجيب الذي يظهره المجتمع أمام الضغوط المتنوعة يكمن في هذا الارتباط الوجداني بذكر الحسين بن علي عليهما السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام.

يؤصل سماحته قدس سره لهذا الارتباط قائلاً: «إذا تحقّقت مهمّة نقل معارف أهل البيت في مجالس العزاء والهيئات الحسينيّة وما شاكل، فسيكون ذلك ذخراً لا ينتهي، وتلاحظون اليوم أنّ بلادكم ومجتمعكم يصبر صبراً عجيباً تحت ضغوط متنوّعة... وهذا ببركة معارف أهل البيت وبركة هذه المجالس والمحافل، وبفضل اسم الحسين بن عليّ وذكره، وبركة اسم فاطمة الزهراء عليها السلام وذكرها»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٧/٣١ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠٢٠/٠٢/١٥ م.



معوقات الصبر (أثر الذنوب في لحظات الحسم)

في مقابل عوامل القوة، يُشخص سماعته (الذنب) بوصفه المعوق الأساس الذي يسلب الإنسان قدرته على الصبر والمقاومة في المنعطفات التاريخية الحساسة.

فالفشل في الثبات ليس وليد اللحظة دائماً، بل قد يكون نتيجة (تراكمات مسلكية) سابقة أضعفت البنية الروحية للإنسان، وهو ما يفسر انقلاب النصر إلى هزيمة في بعض الوقائع التاريخية كمعركة أحد.

يحلل سماعته عليه السلام هذا الانزلاق استناداً إلى النص القرآني: «إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَا ابْتَلِيَ بِذَنْبٍ، قَدْ يِزَلُّ وَيَقْصِرُ فِي لَحْظَةٍ مَفْصِلِيَّةٍ حَسَّاسَةٍ، يَقُولُ -تعالى- فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آلَتْغَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(١)، ففي معركة أحد، أولئك الذين لم يتمكنوا من الصبر والثبات، وراحت قلوبهم تهفو لاكتساب الغنائم، تغافلوا عن المهمة الخطيرة الملقاة على عاتقهم، وبدلوا الحرب المنتصرة إلى حرب خاسرة، ﴿اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ وأوقعتهم في هذه الورطة خطايا كانوا قد اقترفوها من قبل، وها هي تظهر الآن، هذه مرحلة، أي إن ذنوبنا تؤدي إلى أن لا نتمكن من الصبر والمقاومة في لحظة حساسة مفصليّة»^(٢).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٠.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٤/٦/٢٠١٦م.

وصيتي لكم الصبر كمسؤولية جماعية

ينتقل مفهوم الصبر من الإطار الفردي إلى المسؤولية الاجتماعية عبر قاعدة (التواصي بالحق والصبر).

ويقدم سماحته في هذا الموضوع تشبيهاً بليغاً يصور المجتمع المؤمن كفريق من (متسلقي الجبال) حيث يربطون أنفسهم بحبال المتانة المتبادلة، لضمان ألا يؤدي انزلاق أحدهم إلى سقوط المجموع، بل يرفعه الآخرون بقوة ثباتهم.

يوضح سماحته عليه السلام فلسفة هذا الترابط: «كونوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١)، وحافظوا على بعضكم بعضاً، كمتسلقي الجبال في المناطق الخطرة الذين يربطون ظهورهم بالجبال، لئلا يسقط إلى السفح من تزلّ قدمه، لأنهم قد ربطوا بعضهم ببعض وشدّوا أنفسهم بالجبال، وإن زلّ أحدهم، سيمسك به الآخرون الذين لم تزلّ أقدامهم ويرفعونه إلى الأعلى... هكذا يكون التواصي والتواصل ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ تواصلوا بمواصلة طريق الحقّ من جانب، وبالصبر من جانب آخر.



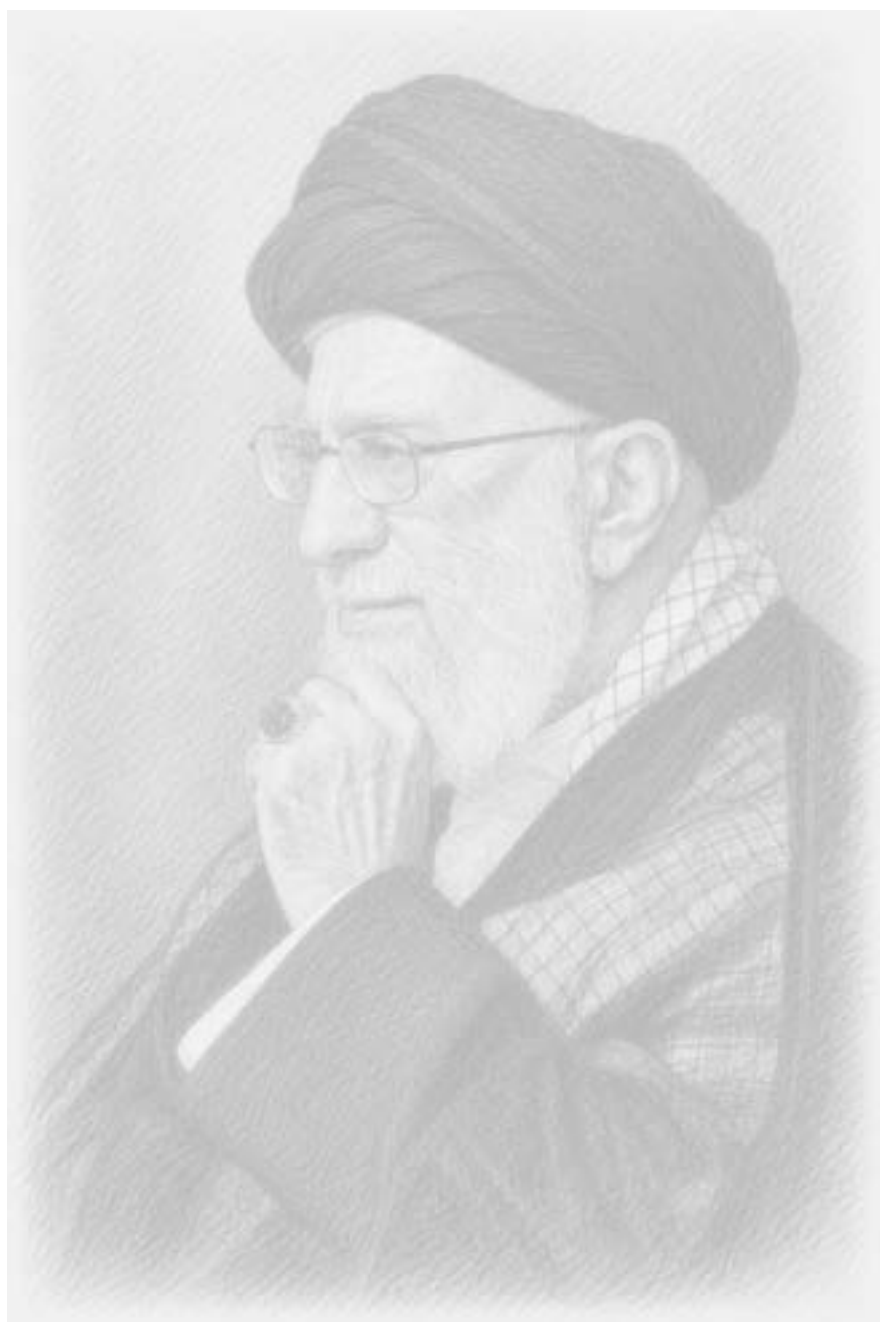
الصبر هو الاستقامة والصمود والثبات، وعدم الانزلاق والخوف والتردد حيال الأحداث المؤلمة»^(١).

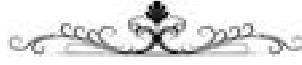
وفي لمحة إدارية وتربوية، يوجه سماحته وصيته بضرورة عدم استعجال النتائج، سواء للجمهور أو للمسؤولين، مؤكداً أن معالجة المشكلات المعقدة -خاصة الاقتصادية منها- تتطلب نفساً طويلاً وصبراً بصيراً:

«أوصي الناس بالصبر، وكذلك أوصي المسؤولين المحترمين بالصبر والأناة لا ينبغي لنا أن نتوقع زوال المشكلات التي تعترض معيشة الناس -سواء على الصعد الاقتصادية أو غيرها- خلال مدة قصيرة»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٢٠/٠٤/٢٠١٦ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ٠٣/٠٨/٢٠١٣ م.





الأمل

ركيزة الرؤية الكونية ومحرك النهضة الاجتماعية

يُمثل (انتظار الفرج) والتصديق بالوعد الإلهي أحد الأركان الجوهرية في الخطة الإسلامية لصناعة المستقبل البشري، إذ لا يمكن استيعاب فلسفة الدين دون فهم حقيقة هذا الوعد الذي يشكل الغاية النهائية لحركة الوجود.

٤١٩

إنّ الإيمان بحتمية ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وإقامة دولة العدل ليس مجرد شعار سياسي أو فكرة عابرة، بل هو ركنٌ ركين في "الرؤية الكونية" يتجاوز حدّ الإقرار اللساني ليُصبح ملكة تُجبل عليها النفوس والقلوب.

فالأمل الحقيقي -باعتباره نقيضاً للأوهام- هو التعبير القلبي والنفسي عن صدق التصديق بهذا الوعد الحتمي، لذا فإنّ كلّ ادّعاء بالإيمان بالوعد الإلهي لا يصحبه (أملٌ) يُخشى عليه أن يكون مجرد إقرارٍ ظاهري لم ينفذ إلى جوهر اليقين.

مظاهر الأمل وتجلياته الميدانية

لا يقف الإسلام عند حدود الصياغة الفردية للمفاهيم، بل يمتدّ ليصبغ كافة القيم بصبغة اجتماعية وأُمّية.

فمن قيم العبادة والتضرّع إلى قيم النهضة والثورة، نجد أن نصرة الحق تقتضي حركة اجتماعية واعية، مظهرها الأساسي هو (الأمل الشعبي) الذي يعمل كمحرك للجماهير نحو مقاصدها العالية.

١. حضور الشعب في الساحات (الركيزة الكبرى للنصر)

يرى سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره أن حضور الشعوب في الساحات (السياسية، الثقافية، والاجتماعية) هو التجلي الأسمى للأمل والإيمان.

فالنصر لا يتحقق في غياب الجماهير، وحضور الجماهير مرهونٌ بمدى ما تمتلكه من أمل وطمأنينة بصدق الوعد الإلهي.

يُفكّك سماحته قدس سره هذه العلاقة بين العامل النفسي والمنجز الميداني قائلاً: «إنّ العامل الأساس للنصر هو حضور الشعب في الساحة، والعامل الذي يحقق حضورهم في الساحة هو الأمل والاطمئنان، فيجب تقويته فيهم، ولا ينبغي أن يخاف الناس ويسئوا الظن ويفقدوا الثقة، أنتم تشاهدون في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾^(١) هذا من جانب العدو، أي خافوا (قد جمعوا لكم فاخشَوْهم) الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾^(٢)، ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧٥.



مَرَضَ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ^(١)، أي إنَّ تخويف الناس مذموم، وكذلك إحباطهم وإقلاقهم، وفي المقابل: ﴿الْعَصْرِ﴾ ❖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ❖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ^(٢)، إذ ينبغي أن نوصي بعضنا بعضاً بالصبر والثبات واتباع الحقِّ والمحافظة على بعضنا بعضاً ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٣) الأولياء هم المرتبطون ببعضهم بعضاً، هذه هي مسؤوليتنا، لهذا، ينبغي التوجّه إلى هذه النقطة المرتبطة بالأمل والطمأنينة^(٤).

الأمل كدافع لتعويض التخلف التاريخي

إنَّ النهوض الحضاري ومواجهة تركّات الماضي تتطلّب (همّة) لا تنكسر، وهذه الهمّة تستند بالضرورة إلى الأمل في المستقبل. فحين يفقد الشعب أمله، فإنّه يفتح الباب أمام المهيمنين الدوليين لسلب عزّته وقراره.

يؤكد سماحته قدس سرّه على هذا البعد النهضوي بقوله: «علينا بذل الهمم وتغيير العلاقات الخاطئة المفضية إلى تخلف الشعوب ومنها شعبنا

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦٠.

(٢) سورة العصر.

(٣) سورة التوبة، الآية ٧٠.

(٤) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٦/٩/٢٠١٠ م.

وعلىنا تعويض حالات التخلف الماضية وهذا كله بحاجة إلى
الهمة والعزم والأمل إذا فقد الشعب أمله بالمستقبل أو ضعفت
همته في فتح الطرق والدروب والتقدم نحو الأهداف، فسوف
يتأخر ولن يتقدم، وسوف يتسلط عليه المهيمنون العالميون،
وسوف يخسر عزته»^(١).

٢. الدعوة إلى الأمل (التكليف الرسالي والمسؤولية الجماعية)

كما أسلفنا فإن الأمل كقيمة إسلامية ليس مجرد شعور عابر أو
انفعال عاطفي، بل هو ركن فكري أصيل ينبع من الإيمان بحتمية الوعد
الإلهي.

ومن هذا المنطلق يرى سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام أن بث الأمل في
نفوس الناس ليس مجرد (توصية أخلاقية)، بل هو (تكليف استراتيجي)
يقع على عاتق النخب ودوائر التأثير في المجتمع.
ويمكن تصنيف دوائر المسؤولية في الدعوة إلى الأمل وفقاً لرؤية
سماحته إلى عدة محاور:

أولاً: مسؤولية النخب وعلماء الدين

يُشدّد سماحته عليه السلام على أن المهمة الأولى لعلماء الدين وأئمة
الجمعة والمسؤولين هي طمأنة الناس، لأن اليأس هو المدخل الأول
للهزيمة وضياع الثقة بالنفس.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٩/١٢/٢٠١٠ م.



فبثّ الأمل هو الضمانة الوحيدة لبقاء "المقاتل" و"العامل" في ميدانه حتى بلوغ شاطئ النصر.

يقول سماحته عليه السلام مبيناً هذا الدور: «طمأنة الناس وبثّ الأمل فيهم هو ما يقع على عاتقنا جميعاً نحن المعممين والمسؤولين وأئمة الجمعة المحترمين، فيجب أن نبثّ الأمل والاطمئنان بين الناس، لأنهم إذا فقدوا الأمل فقدوا الثقة بالنفس وتزلزلوا، وهناك تكون الهزيمة الحتمية، فالذي يحفظ المحارب والمقاتل في الجبهات هو الأمل، يجب أن يحصل على الأمل ويعلم أنّ بإمكانه أن يصل إلى شاطئ النصر، يجب الحفاظ على هذا الأمل حياً»^(١).

ثانياً: المسجد كمحضر للنشاط والتطلع

لا يقتصر دور المسجد على العبادة الفردية، بل يجب أن يتحوّل إلى مركز إشعاع للأمل، عبر جذب الطاقات الشابة وتوفير أجواء زاخرة بالنشاط والحيوية، ليكون المسجد منطلقاً لبناء (الروح التعبوية) المتفائلة بالمستقبل.

يؤكد سماحته عليه السلام على دور سدة المساجد قائلاً: «على سدة المساجد ومديريها وأمنائها أن يجذبوا قلوب الشباب الطاهرة ويبعثوا فيها الشوق، حضور الشباب والروح التعبوية ينبغي أن

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٦/٩/٢٠١٠ م.

يجعل أجواء المساجد حيّة زاخرة بالنشاط والتطلّع إلى المستقبل
وطافحة بالأمل»^(١).

ثالثاً: القوى الناعمة (الفن والأدب) في خدمة الأمل

يرى سماحة السيد القائد أنّ الدعوة إلى الأمل والفضائل
الأخلاقية لا تقتصر على لغة (النصيحة المباشرة)، بل إنّ الفن -
وبالخصوص الشعر - يمتلك قدرة فائقة على ترويح قيم التعاون والإيثار
والرجاء بأسلوب ينفذ إلى القلوب أعمق من لغة النثر.
ويوجّه سماحته خطابه للشعراء قائلاً: «إنّ قواعد الأخلاق موجودة في
كلمات الأئمة عليهم السلام وفي سلوكهم، فلنوسّع من الأخلاق في
المجتمع، ولنُدعّ الناس إلى الخير والأمل والتعاون والأخوة والصبر
والحلم والشكر والإحسان والإيثار والصفح، ولنحذّرهم من
الأخلاق السيئة وضيق النظر واليأس وسوء الظنّ والإساءة لهذا
وذاك والحسد والبخل وبقية الأخلاق السيئة، ومثل هذا الأمر
يمكن تحقيقه بالأسلوب الشعريّ أفضل بكثير من لغة النثر ولغة
النصيحة»^(٢).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنّي قلّبيّ، بتاريخ: ١٢/١٠/٢٠١٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنّي قلّبيّ، بتاريخ: ٢٤/٠٥/٢٠١١ م.

٣. التقوى (درع الثبات ومنبع القوة المعنوية)

تُمثل التقوى في الرؤية الإسلامية المظلة الجامعة للرؤية والسلوك والأخلاق التي يتسلح بها الإنسان لمواجهة الصعاب، سواء كانت نفسية داخلية أو خارجية ميدانية، فالشخص المتقّي هو الذي يمتلك الحصانة القيّمة التي تمنعه من الزلل أمام الإغراءات أو ضغوط الغضب والشهوة.

ويكون الارتباط الجوهرى بين التقوى والأمل، فبدون التقوى تستعظم النفس ملذات الراحة والدعة، وتنكص عن تحمل الأتعاب والجهود الاستثنائية التي يتطلبها تحقيق الوعود الإلهية الكبرى، فالتقوى هي التي توفر الطاقة النفسية لمواصلة الدرب حتى النهايات الظاهرة.

يُوصّل سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام لهذا الدور الحيوي للتقوى قائلاً: «دَقَّقُوا جَيِّداً في أَنَّنَا يجب أَن نعمل بالتقوى، التقوى هي التي تقوِّينا، وهي التي تجعلنا لا نتأثّر بالضربات، وهي التي تبعث فينا الأمل لمواصلة هذا الدرب حتّى الوصول إلى الأهداف النهائية»^(١).

الأمل وقضية فلسطين (حتمية النصر ومحرك المقاومة)

إنّ القضايا المصيرية للأمم، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، تتطلب كفاً طويلاً لا يمكن الاستمرار فيه دون (تصديق يقيني) بالوعد الإلهي القاضي بإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٠/٠٥/٠٤ م.

هذا اليقين هو الذي يزرع بذور الأمل التي تحمي الحركات الثورية من آفة اليأس والقنوط التي أصابت الكثيرين ممن تبَنوا القضية من منطلقات غير إيمانية.

يرى سماحة السيد علي الخامنئي قُدس سرّه أنَّ الحفاظ على (جذوة الأمل) لدى الشعب الفلسطيني هو العمل الأكبر والأهم في مواجهة استراتيجيات العدو، إذ يهدف العدو من خلال الحصار والاستيطان والجدار العازل إلى كسر إرادة المقاومة ودفع الجماهير نحو خيار الاستسلام.

يقول سماحته قُدس سرّه في هذا الصدد: «الحلّ الوحيد لقضية فلسطين هو المقاومة والكفاح هذا صحيح، لكنّ المقاومة والكفاح رهن بالحفاظ على معنويات الشعب والحفاظ على الأمل لدى الأهالي وإبقائهم في الساحة، هذا باعتقادي أكبر عمل ينبغي أن تقوم به المجاميع الفلسطينية والمنظمات والمناضلون الفلسطينيون.

الضغوط التي تمارس رهنًا على غزّة من الجانبين، سواء من جانب العدو الصهيونيّ أو من الجانب الآخر، القصد منها صرف الناس عن المقاومة، الضغوط التي تمارس ضدّ الناس في الضفّة الغربيّة سواء على شكل بناء مستوطنات، أو فيما يتعلّق بقضيّة القدس -التي أشير إليها- أو الصعوبات الشديدة أو الجدار العازل وما إلى ذلك، كلّها من أجل صرف الجماهير عن المقاومة ودفعها إلى خيار الاستسلام، يجب أن لا نسمح بهذا، يجب أن لا تسمحوا



بحصول هذا، يجب المحافظة على الأمل لدى الشعب الفلسطيني وأهالي غزة، هذا الشعب المقاوم الفولاذي، ليعلموا أن تحرّكهم هذا سيؤتي نتائجه، هذه نقطة أعتقد أنها على جانب كبير من الأهمية^(١).

ويرى سماحته أن حركة (الصحوّة الإسلامية) تمثل مظهر الأمل والبشارة التي تفرض على النخب والشباب والعلماء التزاماً مضاعفاً بالريادة والجهاد والوعي، للانتقال بالأمة نحو مستقبلها المنشود بثقة وثبات.

ويختم سماحته قدس سرّه برسم ملامح هذا التكليف: «أصبحت حركة الصحوّة الإسلاميّة تتقدّم وتعمّق أكثر فأكثر على مرّ الأيام، إنّ هذه الأوضاع التي تبعث على الأمل وتحمل معها البشارة لا بدّ لها من جهة - أن تدفع بنا، نحن الشعوب المسلمة، إلى مستقبل منشود بثقة أكبر من أيّ وقت مضى، كما ينبغي لها - من جهة أخرى - أن تبقىنا بدروسها وعبرها أكثر وعياً ويقظة من أيّ وقت مضى، ولا شكّ في أنّ هذا الخطاب العامّ يجعل علماء الدين والقادة السياسيين والمثقفين والشباب ملتزمين أكثر من غيرهم، وتجعلهم يطالبون بالجهاد والريادة»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٧/٠٢/٢٠١٠ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ١٥/١١/٢٠١٠ م.

دور التربية والتعليم في غرس روح الأمل

لا تقتصر وظيفة المؤسسات التعليمية في رؤية سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام على الحيز المعرفي ونشر العلوم فحسب، بل إن الوظيفة الأسمى والجوهرية هي (صناعة الشخصية الإنسانية) وتزويدها بالقيم والأخلاق.

ويحتل (الأمل) موقع الصدارة في هذه المنظومة القيمية، لكونه الركن الأساس الذي يمنح الفرد الحافز للبحث والعمل والتميز. ويحمل سماحته عليه السلام المعلم المسؤولية الكبرى في هذا المسار التربوي، بوصفه الموجه الذي يمتلك القدرة على تشكيل وجدان الطالب وتحديد مساره النفسي والفكري: «بوسع المعلم تربية الحدث أو الطفل وجعله إنساناً عالمًا مفكرًا يتحلّى بروح البحث العلمي ويرغب في البحث والدراسة والعلم، أو يجعله إنساناً سطحيًا غير راغب في العلم والتعمق والبحث العلمي، بوسعه أن يخرجّه ويقدمه للمجتمع إنساناً شريفًا نجيبًا خيرًا طيب القلب طاهر النفس، أو على العكس قد يجعله إنساناً شريرًا مسيئًا، وبمقدوره أن يجعله إنسانًا متفائلًا ذا ثقة بالنفس ومليئًا بالأمل ومحبًا للعمل والنشاط، أو على الضد من ذلك، يمكنه تخريبه إنسانًا يائسًا قانطًا منعزلًا ومنكفئًا على نفسه»^(١).



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٠/٠٥/٠٥ م.

ويقول قدس سره أيضاً: «المجتمع بحاجة إلى أفراد مؤمنين متحفّزين صبورين متفائلين آملين مهتمّين بالمصالح العامّة وراغبين في الوصول إلى قمم الكمال الفردي والاجتماعي... أناس مبتكرين محقّقين باحثين وطلّاب تقدّم، من الذي سيخلق ذلك؟ هنا يبرز دور المعلّم، جهاز التربية والتعليم مهمّ وحساس إلى هذه الدرجة، طبعاً قليل الكثير عن قضايا التربية والتعليم ودور المعلّمين، ونحن اليوم لسنا في ظروف تسمح لنا أن نكتفي بالكلام، بل نحتاج إلى العمل»^(١).

الأمل (المحرك الاستراتيجي للثورة الإسلامية)

مثّل (الأمل بالانتصار) و(اليقين بسيادة الحق) القوة الدافعة التي صاغت ملحمة الثورة الإسلامية في إيران، وضمنت استمرار نجاحاتها رغم التحديات الجسيمة، فالحركة التي انطلقت بقيادة الإمام الخميني قدس سره وسماحة السيد الخامني قدس سره لم تكن حركة مادية فحسب، بل كانت حركة (إشراقية) يستمد فيها الشعب قوته من وضوح الهدف والأمل في بلوغه.

يُشخص سماحته قدس سره أثر هذا الأمل في تحقيق منجزات فاقت التوقعات الزمنية المعهودة: «إنّ أملنا بالمستقبل أملٌ مفعّمٌ بالازدهار والتقدّم، لم نكن نأمل أن نتمكّن من تحقيق هذه الإنجازات بهذه السرعة،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامني قدس سره، بتاريخ: ٢٠١٠/٠٥/٠٥ م.

فالله تعالى تفضّل... وشبابنا اليوم ينجزون أعمالاً في المجال العلمي والتقنيّ كانت بالنسبة إلينا ولأولئك الذين كانوا يخطّطون للآتي من ١٥-٢٥ سنة بعيدة التحقق، وهذا ما يزيد من الأمل بالمستقبل، أملنا كبيرٌ جدّاً، والتجارب السياسيّة تعدّ تجارب ناجحة... وأينما حللنا حصلنا على تجارب ناجحة»^(١).

يقول سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام: «أنا أقول لكم، ما دمنا أنا وأنتم نتقدّم بإحكام ولا نحرف عيوننا عن الهدف ونتحرّك بأمل، لا يمكن لأيّة قدرة في العالم أن تسدّ علينا الطريق، ومثل هذا كان له أكبر الأثر في تفتح براعم الأمل في قلوب المسلمين والشعوب الإسلاميّة، عندما تحدث ثورة يفرح الكثيرون في العالم، وعادة ما تكون جماهير الشعوب في العالم هكذا»^(٢).

ويتعدى هذا الأمل حدوده المحلية ليتحول إلى (نموذج ملهم) للشعوب الإسلاميّة، فالثبات الذي أبداه الشعب الإيراني في وجه ضغوط الاستكبار العالمي هو الذي سقى (بذور الأمل) في قلوب المسلمين حول العالم. ويربط سماحته هذا الصمود ببركة المعنوية الإلهية المستمدة من مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبالخصوص عناية حضرة صاحب الزمان عليه السلام بروحية هذه الأمة: «إنّ بذرة الأمل تلك التي نثرت في قلوب الشعوب وزرعت وسقيت ونمت وأثمرت كانت ناشئة من ثبات شعب



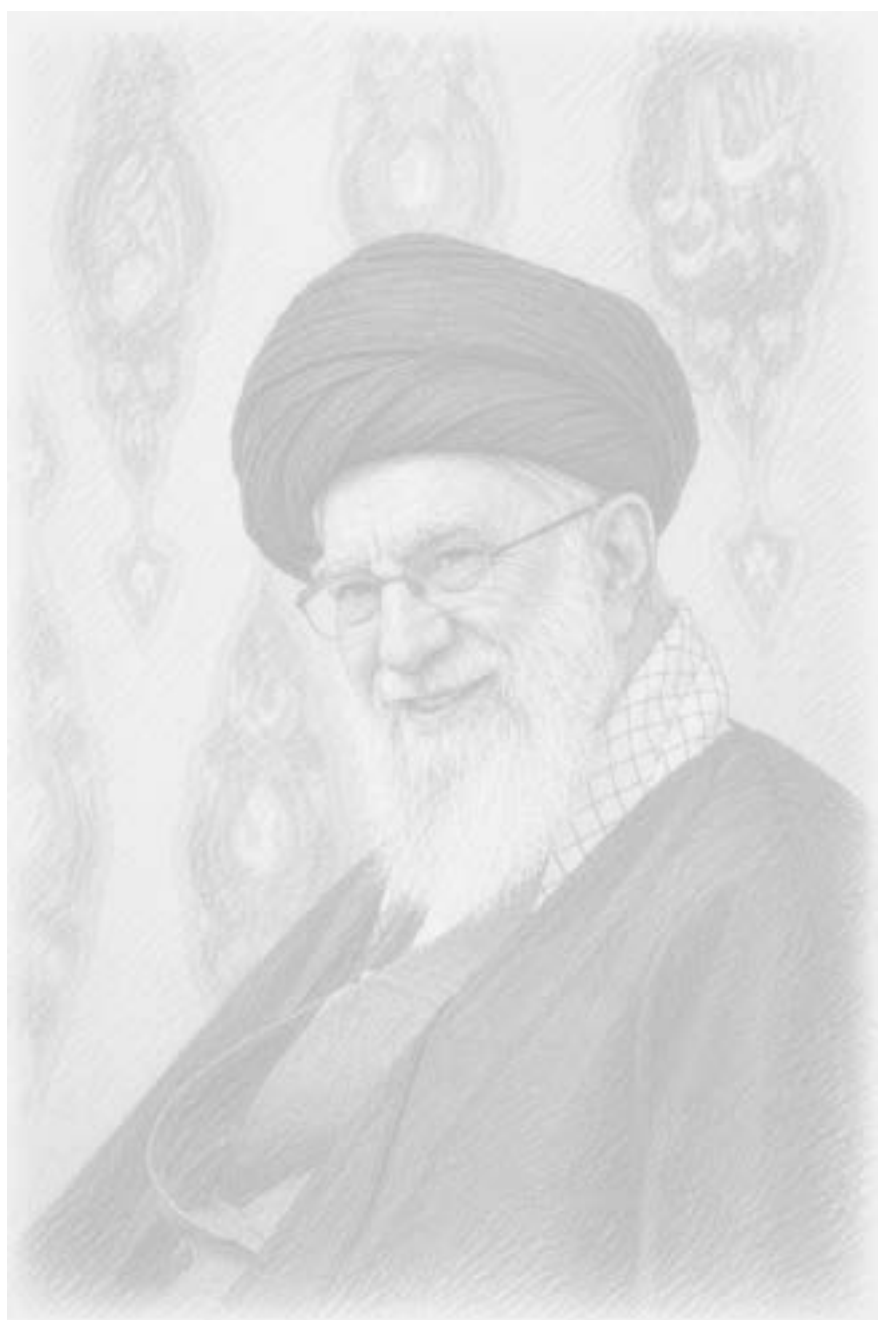
(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١٠/٠٨/١٨ م.

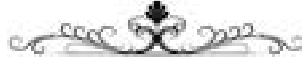
(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ٢٠١١/٠٥/٢٤ م.



إيران، لو أنّ شعب إيران تراجع، ولو أنّنا تخليّنا عن شعاراتنا، ولو أنّنا انحنينا أمام تهديدات الاستكبار العالميّ وتهويلاته وضغوطاته، لكانت زهرات الأمل هذه التي نمت وترعرعت في قلوب الشعوب ذوّت وماتت، فثباتكم هو الذي سمح لغرسات الأمل هذه أن تنمو، ولهذا الأمر أن يقع، وهذا بالبركات المعنويّة الإلهيّة التي حصلت لنا عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) واسم الزهراء المبارك الأطهر، واسم حضرة بقيّة الله المبارك وعنايته بنا»^(١).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي (قدس سره)، بتاريخ: ٢٤/٥/١١٠٢٠١١ م.





الزهد

هندسة التعالي ومنطق التدبير

تُمثل القِيم الحارس الأمين للسلوك الإنساني، فهي التي تمنح الأفعال هويتها وتحدد غاياتها، سواء على مستوى الفرد أو الأمة، فالبذل والإنفاق على سبيل المثال - قد يتخذ صورة (الجود) حين ينطلق من قيمة عليا، وقد ينحرف ليكون تبذيراً في غير محله.

ورسم الإسلام هندسةً دقيقة للسلوك تحت عنوان (حُسن التدبير)، تندرج ضمنه قيمٌ مركزية كالزهد والإحسان، بما يضمن التوازن بين تلبية الحاجات وبين النهي عن الإسراف.

وتنطلق رؤية الإسلام لهذه القِيم من زاويتين متكاملتين، نظرة للإنسان بصفته فرداً مسؤولاً ذا عقل وإرادة، ونظرة إليه بوصفه جزءاً من جماعة إنسانية كبرى.

يُؤصل سماحة السيد علي الخامنئي عليه السلام لهذه الرؤية المزدوجة قائلاً: «إنَّ لنظرة الإسلام إلى الإنسان زاويتين تُكَمِّلُ إحداهما الأخرى، يمكن لهذه الحقيقة أن تكون قاعدة وأساساً لكافة قضايا بلادنا، ولجميع المشاريع التي نودّ القيام بها من أجل غَدنا ومستقبلنا، إحدى هاتين الزاويتين هي تلك التي ينظر الإسلام من خلالها إلى الإنسان، بصفته فرداً، بما في ذلك أنا أو أنتم أو زيد أو عمرو، أي إنَّ الإسلام يخاطبه بوصفه مخلوقاً يتمتع بالعقل والإرادة، فيحمّله

المسؤولية، ويجعل له شأنًا ما... أمّا الزاوية الأخرى، فتتمثل في النظرة إلى الإنسان على أنّه كلّ، وأنّه جماعةٌ إنسانية، وهما نظرتان منسجمتان، وتكمل إحداهما الأخرى»^(١).

تعريف الزهد

الزهد من القضايا التي نجدها كثيرة الذكر في النصوص الإسلامية، ولا سيّما في نهج البلاغة، حيث نجد أنّ «أبرز نقطة في نهج البلاغة هي الزهد، حينما تحدّث أمير المؤمنين، ذلك اليوم، عن الزهد، طرحه كعلاج للمرض الأساسي في المجتمع الإسلامي»^(٢)، كما يقول سماحة السيد علي الخامنئي قده.

وينبغي فهم الزهد بعين صائبة، وفق الرؤية والأيدولوجيا الإسلامية، وبعبارة سماحة السيد علي الخامنئي قده: «هو عدم الرغبة، عدم الحرص، عدم التعلّق بالدنيا والزخارف الماديّة، أي لا نتعلّق بالدنيا، وهذا أفضل إنجاز للإنسان في هذه الحياة، فلا يجعل نفسه لصيقة الدنيا، لا يعلّقها بالدنيا، ولا بهذه الزخارف، وحينها يكون الإنسان نفسه أكثر راحة... لا تقتصر المسائل الدنيويّة المطروحة في باب الزهد على الأموال وهذه الزخارف الحياتيّة الماديّة فقط، بل تشمل الشأن والمقام والرتبة والوجاهة والمحبوبية وأمثالها،

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قده، بتاريخ: ٢٠٠٧/٠٥/١٥ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قده، بتاريخ: ١٩٩٦/١١/٢٥ م.



والعمل لأجل الدنيا، والدراسة لأجل الدنيا، السعي لأجل الدنيا، هذه الأمور كلّها هي نفسها ما يحويه باب الزهد، وقد تمّ التأكيد على هجرها والإعراض عنها^(١).

طريق تحصيل الزهد

يرتبط الزهد ارتباطاً وثيقاً بـ (التقوى) فالتدبير الحكيم للمعيشة هو ثمرة التوجه لله سبحانه.

٤٣٥

فمتى ما عظم الخالق في نفس الإنسان، صغرت في عينه الدنيا بمقاماتها ولذاتها الزائلة، إن التقوى هي التي تصنع (الميزان) الذي يزن به الإنسان قيمة الأشياء، فتتحول المغريات إلى أمور حقيرة أمام عظمة الذكر الإلهي.

يفصل سماحته ﷺ في هذه الملازمة بين التقوى والزهد بقوله: «علاج حبّ الدنيا والميل إليها هو أن يسلك الإنسان طريق التقوى، ومن خصائص التقوى، أنّها تجعل الإنسان ممّن «عَظَّمَ الخالق في أنفُسهم»^(٢)، فيحتلّ الربُّ في نفس الإنسان مكانةً تجعل الأشياء كلّها حقيرةً في نظره، ولا تحظى بأهميّة، في مقابل عظمة ذكر الله في قلبه، تصبح هذه المقامات الدنيويّة، وهذه الملذّات المتنوّعة

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي ﷺ، بتاريخ: ٢٤/١٠/٢٠١٠م.

(٢) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، مصدر سابق: ص ١٥٩.

حقيرةً في نظر الإنسان، وتفقد أهميتها على إثر ذكر الله في قلب الإنسان، هذه من خصوصيات التقوى»^(١).

الزهد صفة الفرد

يستوجب الفهم الدقيق للرؤية الإسلامية عدم الخلط بين وصايا الزهد كمسلك ذاتي، وبين مقتضيات البناء الاجتماعي، فالإسلام حين ذمّ الدنيا وحذر من التعلّق بها، إنما استهدف تحرير (الفرد) من أسر المادة، ولم يقصد أبداً بناء مجتمع يفتقر إلى الرفاه أو يعجز عن استثمار ثرواته وإدارة اقتصاده، إنَّ الزهد هو (تحرر القلب) لا (تعطل اليد).

يوضح سماحة السيد علي الخامنئي قده هذه الجدلية قائلاً: «الإسلام يوصي الإنسان بالزهد من حيث نظرته إليه بصفته فرداً... ولكنه في الوقت ذاته، يحذّر من الابتعاد عن الدنيا وقطع الصلة بها، فما هي الدنيا؟ إنها الطبيعة، وهذا الجسد الذي نعيش فيه، وهذه الحياة التي نحياها، وهذا المجتمع الذي نتمي إليه، إنها سياستنا واقتصادنا وعلاقاتنا الاجتماعية وأولادنا وثروتنا ودارنا، إنَّ الانغماس في هذه الدنيا، والتعلّق بهذه النماذج يعدّ صفة مذمومة في هذا الخطاب الفرديّ، فلا ينبغي الانسياق وراءها... ومع ذلك، ينبغي



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قده، بتاريخ: ٢٠/٩/٢٠٠٨ م.

عدم تجاهلها، فليس من الجائز أن ندير ظهرنا لمتاع الدنيا وزينتها، وللنعم الإلهية في الدنيا»^(١).

الفرق بين التعلُّق بالدنيا وإعمارها

لضبط الحدود الفاصلة بين زهد الشخص وعلاقته بعالم المادة، يكون نهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كاتم المصاديق، ففي الوقت الذي بلغت فيه بساطة عيشه وتخلّيه عن الزخارف ذروتها، كان من أنشط الناس في عمارة الأرض وإحيائها، إنَّ الفعالية الاقتصادية والاجتماعية في المنظور العلوي ليست نقيضاً للزهد، بل هي تجلٌّ للأمانة الإلهية في استثمار الطبيعة لصالح الإنسان.

يفصل سماحته قدس سرّه في هذا النهج العملي قائلاً: «الإمام علي عليه السلام لم يكن ممّن يعتزل الدنيا، لا، كان من أنشط الناس لعمارة الدنيا، سواء في زمن خلافته، أو قبل ذلك، لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام ممّن لا يعملون ولا يكدّون، معروفٌ أنّه حين كان يعيش في المدينة قبل خلافته، أحيا حقولاً بيديّه، وأجرى المياه، وزرع النخيل، الخوض في شؤون الدنيا والطبيعة التي وضعها الله تحت تصرّف الإنسان، وإدارة معيشة الناس وشؤونهم الاقتصادية، وتوفير أسباب الازدهار الاقتصاديّ، هذه كلّها ممارسات إيجابيّة لازمة، ومن واجبات الفرد المسلم والإدارة الإسلامية»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٠٧/٠٥/١٥ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٠٨/٠٩/٢٠ م.

الزهد أحد شروط الوصول إلى المقامات المعنوية

أولاً: الزهد شرطاً للكمال المعنوي

ينطلق الفهم الإسلامي للمقامات المعنوية من ضرورة فك الارتباط القلبي بالمناصب والجاه والمال، إذ لا يجتمع حب الله تعالى مع التعلق بزخارف الدنيا الزائلة.

وهنا يبرز الزهد بوصفه (الميثاق) الذي عقده الله مع أوليائه لتمكينهم من رفع راية الحق والتقدم في طريق التسامي دون إعياء.

يؤصل سماحة السيد علي الخامنئي قدس سره لهذا المفهوم استناداً إلى مضامين دعاء الندبة الشريف: «فأولياء الله الذين تمكّنوا من رفع هذه الراية بثبات، والتقدم في هذه الطريق الصعب بيسر، من دون إعياء وتهاون، هم من تجاوزوا هذه العقبة، لذا ورد في بداية دعاء الندبة العظيم المضمون «اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك»^(١).

فأحد أجمل المفاهيم وأعمقها، ما ورد، ولا سيما في هذه العبارات والجمال الأولى للدعاء «بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها»^(٢)، فأوصلتهم إلى أعلى

(١) ابن مشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير، تحقيق وتصحيح جواد قيومي الأصفهاني: ص ٥٧٤، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) المشهدي، المزار، مصدر سابق: ص ٥٧٤.



المراتب ومدارج التكامل والتسامي المعنوي، ومنحتهم من النعم ما لا زوال له ولا اضمحلال، وخصصتهم بها، لكنك شرطت عليهم هذا الشرط»^(١).

ثانياً: الرفاه الاجتماعي والتحرر من (المدينة المادية)

إن نفي التعلق بالدنيا (الزهد) لا يعني أبداً الإعراض عن إعمار الأرض أو إهمال معيشة الناس، بل إن الإسلام يهدف إلى بناء مجتمع يرفل بالرفاهية، شريطة أن تكون هذه الرفاهية محفوفةً بالتقوى والنورانية.

فالفرق الجوهرى بين (الرفاه الإسلامى) و(المدينة المادية) يكمن في أن الأول يرى في الراحة وسيلة للعروج، بينما يراها الثانى غاية في ذاتها تحول الإنسان إلى كائن استهلاكي فحسب.

يفكك سماعته فليكن هذه العلاقة الجدلية قائلاً: «الحياة المريحة ضرورية ولازمة للبشر، والإسلام بقوانينه وأحكامه، يأخذ بيد الناس نحو الرفاه والراحة، لكن الراحة في الحياة ليست هي الهدف في ذاتها، كثيرون هم الناس الذين ينعمون بحياة مريحة، وليس لديهم مشكلة من ناحية العيش والغذاء والراحة، ولكن لم يشموا رائحة الإنسانية، المدينة المادية تدعو البشر إلى هذه الحياة... لو أننا نعمل بالأحكام الإسلامية، لو أن المجتمع الإسلامى

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنشى فليكن، بتاريخ: ١١/٠٦/١٩٩٩م.

يجمع بين الإيمان والعمل بالمقررات والقوانين الإلهية، لتحقيق ذلك الشيء الذي كانت تبحث عنه البشرية طوال التاريخ، يعني ماذا؟ يعني الراحة والرفاه المادي، مصحوباً بالتطور والتقدم والعروج المعنوي، ليس الإنسان حيواناً يكفي أن تضع أمامه العلف، الإنسان يريد أن يكون من أهل الصفاء والنورانية، الإنسان يشعر باللذة الروحية من النورانية والصفاء والعبودية لله تعالى»^(١).

ثالثاً: التوازن الرسالي بين البناء المادي والمعنوي

تتميز المنظومة الفكرية الإسلامية بقدرتها على تحقيق (الاعتدال) في تلبية حاجات الإنسان؛ فهي تستنفر طاقاته لإعمار الأرض واستخراج كنوزها، وفي الوقت نفسه، تُبقيه على اتصالٍ دائمٍ بباب الله عبر الدعاء والعبادة.

هذا التوازن هو ما يمنح حياة الإنسان معناها الحقيقي ويحفظها من الجنوح نحو المادية الصرفة أو الرهينة المنعزلة.

يؤكد سماحته عليه السلام على هذا التمازج الضروري: «إنّ ميزة دين الإسلام المقدّس، وعلى وجه الخصوص المنظومة الفكرية والعقيدية للشيعّة -التي لديها امتيازات- أنّه يحوي في نفسه سائر العوامل اللازمة لنموّ الإنسان الفردي والاجتماعي، وهذه مسألة غاية في الأهمية، ففيه التطور المادي، وكذلك التكامل المعنوي».



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي عليه السلام، بتاريخ: ١٨/٠٤/١٩٩١ م.

أي يوجد في الإسلام ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١)،
ويوجد ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾^(٢).
بالتركيز إلى جانب التطور المادي للمجتمع، يوجد أيضاً النمو
المعنوي، يقول: إنه يجب أن تطرق باب الله تعالى بالدعاء
وتدعوه ﴿قُلْ مَا يَعْزُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٣)، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤)، عليكم أن تدعوا ليستجيب الله لكم، لا
معنى لحياة الإنسان إلّا في العلاقة بالله، وهذا ما يعنيه الجمع بين
السعي والبناء الماديّين، وبين السعي والبناء المعنويّين^(٥).

الزهد (سلاح المواجهة وأمانة المسؤولية)

أولاً: الزهد سلاحاً استراتيجياً في وجه الغزو الثقافي

لا تقتصر مساعي القوى المعادية للإسلام على المواجهات
الخارجية العسكرية، بل تتعداها إلى "الغزو الداخلي" الذي يستهدف
تفتيت البنية الاجتماعية عبر طرح نماذج سلوكية بديلة تقوم على
الاستهلاك والشهوات.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٣٢.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٧٧.

(٤) سورة غافر، الآية ٦٠.

(٥) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قدس سره، بتاريخ: ١٨/٤/١٩٩١م.

ويكون الزهد كقوة مانعة تحمي الأفراد والمجتمع من الانهيار أمام المطامع المادية، مما يجعله سلاحاً فعالاً في إفشال مخططات التفكيك الثقافي.

يُشخص سماحة السيد علي الخامنئي قُدس سرّه أثر فقدان الزهد في ميزان الريح والخسارة قائلاً: «إذا تمكّن العدو من تحويل الأمة إلى أمة لا تتمتع بعقيدة النضال، ويائسة من الانتصار، وتفتقد الزهد أمام المظاهر الشهوانية والمادية، عندئذ، يكون العدو قد انتصر»^(١).

«إنّ الأعداء ينتظرون اليوم تنامي الفساد داخل البلاد، وخلق الشكوك في أذهان الشباب، وتغلّب اللهو الفاسد والمانع للخير على الأهداف السامية، وإثارة النوازع الدنيوية وحبّ الجاه والدعة، وظهور معالم البهرجة والترف بين العناصر الثورية»^(٢).

ثانياً: تداعيات ترك الزهد (من استلاب الروح إلى وهن الإرادة)

إنّ غياب الزهد -بمعناه القلبي- يفتح الباب أمام نزعة الاستهلاك وحب الجاه، وهي أمور لا تجتمع مع حقيقة الإيمان بالله. وتتجلى خطورة ترك الزهد في كونها تُسرب (الشك) إلى القلب ليس عبر العقل فحسب، بل عبر الشهوات الجسمانية التي تُثقل كاهل الروح



(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ١٩٩٣/٠٥/٠٥ م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ١٩٩٥/٠٣/٠٦ م.

وتمنعها من العروج والتحرك الفاعل، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى الرعب والاستسلام.

يُحَلِّلُ سماحته قُلَيْبُ هذا الانحدار التدريجي استناداً إلى مضامين دعاء الثغور: «القلوب المليئة بالإيمان والمعرفة والتبصّر لا يمكن أن تَغْلَبَ وتُصاب بالرعب أبداً، كي يصاب الإنسان بالرعب ويغلب ويستسلم ويخضع، يجب أولاً إيجاد الشك في قلبه، لا ترد هذه الشكوك دائماً من طريق العقل، أحياناً ترد من طريق الجسم أيضاً. الرغبات والأهواء الجسمانية، الرغبة بالمال -التي وردت في الصحيفة السجّادية في ذلك الدعاء الذي يقرؤه الكثيرون من شبابنا في أيام الجبهة «وَحَصَّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ»^(١)- لربّما يدبّ التفكير بالمال الفتون إلى القلب، المال مثير للفتنة، وإنّ حبّ الجاه والمنصب والدعة والرفاه والبهرجة من الأمور التي تولج الشك في قلب الإنسان وعقله، عبر بدن الإنسان وشهواته... فحبّ الدعة والراحة والرفاه أمور تترك أثراً سلبياً في الإنسان الذي لا يدركها للوهلة الأولى، إذ إنّها تترك أثرها تدريجياً، فإذا بالإنسان يحاول الحركة والعروج، لكنّه لم يعد قادراً»^(٢).

(١) الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام)، الصحيفة السجّادية: ص ١٢٦ نشر

الهادي، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُلَيْبُ، بتاريخ: ٢٠٠٢/٠٩/١٥ م.

ثالثاً: زهد المسؤولين (القدوة وأثرها في استقرار القيم)

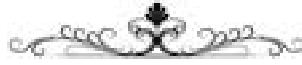
في الثقافة الإسلامية يمتلك المسؤول تكليفاً مضاعفاً، لأنَّ سلوكه الشخصي يمثل (مختبراً) للقيم التي تدعو إليها الدولة. فإذا اتسم سلوك القادة بالبساطة والترف عن الكماليات، استقرت هذه القيم في وجدان الشعب، أما إذا غرق المسؤولون في الترف والإسراف، فإنَّ ذلك يُولد حساسيةً شعبية تُقوِّض الثقة العامة وتهدر أموال الناس. يُشدد سماحة السيد علي الخامنئي قُدس سرّه على هذه القيمة المحورية لدى القائمين على الشأن العام: «هناك قيمة... هي الابتعاد عن الإسراف والكماليات على مستوى المسؤولين، حتماً، الترف والإسراف مذمومان في كلِّ مكان، وللجميع، لكنَّ الشيء الذي يجعل الناس يُظهرون حساسيةً تجاه الأمر، هو السلوكيات الإسرافية والمترفة وهدر أموال الناس على مستوى الحكومة»^(١).

ويوجه سماحته قُدس سرّه وصيته الدائمة لممثلي الشعب والمسؤولين بضرورة التحلي بالمعنوية والأخلاق والعبادة، محذراً إياهم من الغرق في الشكليات الزائدة التي تصرفهم عن جوهر خدمتهم ومسؤوليتهم «أوصي الإخوة والأخوات النواب بمراعاة التقوى، والتوكُّل على الله، والاهتمام بالأمر المعنوية والأخلاق والعبادة، وعدم الاهتمام بالشكليات الزائدة والكماليات المصحوبة بالإسراف»^(٢).

(١) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ٢٠٠٠/٠٦/١٢م.

(٢) من كلام للسيد الشهيد الخامنئي قُدس سرّه، بتاريخ: ١٩٩٢/٠٥/٢٨م.





المحتويات

٧	المقدمة.....
١٣	الرؤية المعرفية والمنطلقات الفكرية.....
١٥	نظريّة المعرفة.....
١٧	معرفة الله.....
١٩	معرفة العالم.....
٢٠	معرفة الإنسان.....
٢١	معرفة الإسلام.....
٢٥	الإسلام والسياسة.....
٢٧	معرفة الولاية والإمامة.....
٣١	الحضارة الإسلاميّة.....
٣١	مفهوم الحضارة الإسلاميّة.....
٣٥	متطلّبات الحضارة الإسلاميّة.....
٣٦	خصائص الحضارة الإسلاميّة.....
٣٧	أركان الحضارة الإسلاميّة.....
٤١	السيادة الشعبيّة الدينيّة.....
٤٣	السيادة الشعبيّة.....

١. تقدُّم الأكثرية الكفوءة..... ٤٣
٢. جوهرها الإسلام..... ٤٥
٣. الانتخابات (مظهر ديني وأصيل)..... ٤٦
٤. نظام إلهي في مواجهة الطاغوت..... ٤٧
٥. العقلانية كمرتكز لرؤية الإمام الخميني قُدس سرّه وحكمته..... ٤٨
٦. قيمة واقعية وليست شعاراً..... ٤٩
٧. نزاهة بعيدة عن الخداع الغربي..... ٥١
- آثار السيادة الشعبية..... ٥٢
١. وسيلة لتحقيق الأهداف الإلهية..... ٥٢
٢. إحياء لمشاعر الثقة الوطنية..... ٥٢
٣. استقطاب الشعوب..... ٥٤
٤. المواءمة بين الدين والحياة..... ٥٥
- الانتخابات في السيادة الشعبية الدينية..... ٥٧
١. المشاركة كفريضة وطنية وشرعية..... ٥٧
- ٢- الانتخابات منصة للقوة والاقتدار..... ٥٨
- ٣- تجسيد كامل للحرية..... ٥٩



- ٦٠ بين سيادتنا الشعبيّة الدينيّة و«سيادتهم»
- ٦٠ ١. أطرُ إلهيّة للحق.. وأطر مادية للاستبداد
- ٦٢ ٢. شعبٌ صانع للحدث.. وشعوب غُيّت عن الخريطة
- ٦٣ السيادة الشعبيّة كعامل رئيس في استعداد الجمهوريّة الإسلاميّة
- ٦٤ جوهر الصراع (دعوتنا الدينيّة في مواجهة ماديّة العالم)
- ٦٦ المنهج الثوري (روح النظام وصمام بقاءه)
- ٦٧ العودة إلى بوصلة الإسلام الأصيل
- ٦٩ الوحدة الإسلاميّة
- ٧٠ حقيقة الوحدة: تكامل لا تذويب
- ٧٤ الوحدة جدار الصد أمام مؤامرات الاستكبار
- ٧٥ الوحدة الإسلاميّة ليست شعارًا خاويًا
- ٧٦ الثورة في إيران (ثورة إسلاميّة لا ثورة طائفية)
- ٧٧ القطب الجامع للمسلمين
- ٨٠ الوحدة الإسلاميّة (أولى خطوات العزّة والاستقلال)
- ٨٢ العدالة الاجتماعيّة
- ٨٣ أهميّة بحث القيم
- ٨٤ أنواع العدالة في الإسلام

٨٦	 ضرورة الأصالة في البحث النظريّ حول العدالة الاجتماعيّة
٨٨	 العبوديّة هدف العدالة في الدين
٨٩	 سيرة الأنبياء مع المظلومين
٩١	 العدالة ونهاية العالم
٩٢	 سلّم القيم والعدالة
٩٣	 منشأ قيمة العدالة في الإسلام
٩٤	 ارتباط قيمة العدالة بالرؤية الكونيّة
٩٥	 اقتراحان لتقوية بحث العدالة نظريّاً
٩٧	 الجهاد طريق العزّة
٩٨	 قيمة الجهاد
٩٨	 ١. تيّارُ بقيادة الحسين عليه السلام
٩٩	 ٢. بابٌ من أبواب الجنّة
١٠٠	 ٣. ثروةٌ ثقافيّة قيّمة
١٠٠	 ٤. الجهاد والإيثار
١٠١	 ٥. جوهره الإيمان
١٠١	 ٦. مستقبل الشعوب



٧. لازمٌ على الدوام..... ١٠٢
- ميادين الجهاد..... ١٠٣
١. الجهاد الكبير..... ١٠٣
٢. أنواع أخرى..... ١٠٥
- وفضّل الله المجاهدين..... ١٠٦
- عندما يكون جهادكم لله..... ١٠٨
- بقاء الروح الجهاديّة..... ١٠٩
- الشهادة لقاء الله..... ١١١
- عظمة الشهادة..... ١١٢
١. تجارة مع الله..... ١١٢
٢. موتٌ مربح..... ١١٣
٣. قوّة غالبية..... ١١٥
٤. تحرُّكٌ بأمل..... ١١٦
- شهداؤنا..... ١١٦
١. أفراد مميّزون وبارزون..... ١١٦
٢. خالصون من علائق الدنيا..... ١١٧
٣. عاشقون للجهاد..... ١١٨

٤. يؤثرون على أنفسهم ١١٨
٥. لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ١١٩
٦. يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ١٢٠
- مجاهدونا ١٢١
١. يعيشون أجواء الإخلاص والصفاء والمعنوية ١٢١
٢. سيكون لعدم التوفيق للشهادة ١٢٢
- فليكن هدفكم أداء التكليف ١٢٣
- إحياء ذكرى الشهداء، استمرار وبقاء ١٢٥
- حسن الظن بالله ١٢٧
- أهمية حسن الظن بالله ١٢٧
- الغفلة عن الحسابات المعنوية ١٢٨
- حسنُ الظنِّ بوعْدِ الله تعالى بالنصر ١٢٩
- حسن الظنِّ بالله عنصر رئيس للاقتدار ١٣٠
- عدم اليأس من روح الله ١٣٢
- الكفاح والإيمان بالله تعالى ووعده ١٣٥
- إيران النموذج التطبيقي حُسن الظنِّ بالله ١٣٧



- الثقة بالوعد الإلهي وصيانة الاستقلال ١٣٩
- المشكلة مع الغرب في التبعية ١٤٢
- النصر سنة إلهية ١٤٣
- العلم محور البناء ومنطلق الاقتدار في الرؤية الحضارية ١٤٥
- موقع قيمة العلم والفكر في البنية الحضارية ١٤٥
- ارتباط العلم ببعض القيم ١٤٧
١. ارتباط قيمة العلم بالحرية والعدالة ١٤٧
٢. ارتباط العلم بالاقتدار ١٤٨
- العلم مقياس الثقة بالنفس ١٥٠
- ارتباط قيمة العلم بباقي فروع بناء المجتمع ١٥٢
- الخطوة الأولى لتكريس قيمة العلم في المجتمع ١٥٣
- وظيفة المعلم في نشر قيمة العلم ١٥٤
- الفرق بين اكتساب العلم وإنتاجه ١٥٦
- إنتاج العلم جهاد ١٥٨
- مراعاة الأولويات العلمية ١٥٩
- واجب الجامعة تجاه طلابها ١٦٠
١. الاهتمام بتربية الطلبة: ١٦٠

٢. إعداد القوّة العاقلة لقيادة المجتمع: ١٦١
- نماذج في العمليّة التربويّة الجامعيّة ١٦٣
- أ. التربية على أخلاق الحياة الإسلاميّة: ١٦٣
- ب. تربية خُلُقَيَات العِشْرَة: ١٦٥
- ج. إعداد الأجواء للسموّ المعنويّ: ١٦٥
- التبيين جهاد في سبيل تنوير الأفكار ١٦٧
- فلسفة جهاد التبيين ١٦٧
١. أصل الدعوة ١٦٧
٢. أساس العمل ١٦٩
٣. توجيه البلاد باتجاه محدّد ١٦٩
٤. رفع الجهل وإتمام الحجّة ١٧٠
٥. بيان صواب العمل ١٧١
٦. نشر حقائق الإسلام ١٧٢
٧. هداية المجتمع إلى التقوى ١٧٣
- التبيين واجب العلماء والمثقفين أولاً ١٧٤
- التبيين نظريّة المقاومة مقابل العدو القويّ ١٧٦



- ميادين التبيين ١٧٧
١. الفضاء المجازي (العالم الرقمي) ١٧٧
٢. الحضور المباشر (صلاة الجمعة ومجالس الغراء) ١٧٨
٣. الإبداع الفني والأدبي ١٨٠
٤. سيرة الشهداء (مخزن القيم والمثل العليا) ١٨٢
- غياب التبيين (ثغرة ينفذ منها العدو) ١٨٤
- ضوابط التبيين ١٨٥
١. صيانة الوحدة والابتعاد عن الفتن ١٨٥
٢. ملازمة قضايا العصر بالاحترافية والإبداع ١٨٦
٣. الالتزام بالمنظومة الأخلاقية ١٨٧
٤. الحكمة والابتعاد عن الاستعراض ١٨٧
٥. العقلانية وتظافر الجهود ١٨٨
- الحذر من التحريف الإعلامي الممنهج ١٨٨
- الوسائل الثقافية الأهمية والأنواع والدور ١٩١
- أولاً: الكتاب والكتابة ١٩١
- تعريف الكتاب وأهميته الحضارية ١٩١
- المسؤوليات تجاه الكتاب ١٩٣

المسؤولية الأولى (استراتيجية إنتاج الكتاب)	١٩٤
المسؤولية الثانية (تحويل المطالعة إلى عادة رائجة)	١٩٥
المسؤولية الثالثة (نقد الكتب وحراسة الفكر)	٢٠٠
نصيحة للشباب	٢٠٣
ثانياً: الصحف	٢٠٥
١. دورها وأهميتها في جبهة الوعي	٢٠٥
٢. الأمانة في المضمون والاحتراز من التحريف	٢٠٦
٣. تصنيف الصحافة في الفضاء الوطني	٢٠٧
٤. الصحف المعاندة: سمات التحريف والتبعية	٢٠٩
ثالثاً: الشعر	٢١٠
١. الدور الريادي والأثر التوجيهي	٢١٠
٢. شعر الثورة نضوج الكلمة ورقى المضمون	٢١١
توصياته فلسفي للشعراء	٢١٢
رابعاً: الفن	٢١٥
١. الدور والرسالة الحضارية	٢١٥
٢. آفات العمل الفني وضرورة الاستقامة	٢١٦



٣. المسؤولية تجاه الفن الملتزم ٢١٧
- خامساً: الأدب ٢١٩
- سادساً: الإنشاد وقراءة المراثي والمدائح ٢٢٢
١. الشرف الرسالي لمهنة المدّاحين ٢٢٢
٢. فريدة الظاهرة وضرورة التأصيل العلمي ٢٢٢
٣. القوة الإعلامية والتواصل الوجداني ٢٢٣
- مسؤوليّة قراء المراثي والمدائح ٢٢٤
- سابعاً: الوعظ واللقاء المباشر ٢٢٦
- ضوابط ومنهجية عمل الوعّاظ ٢٢٧
- الأسرة النواة التأسيسية للبنيان الحضاري ٢٢٩
- رؤية الإسلام لإنسانية الرجل والمرأة في التكوين الأسري ٢٣٠
- اختلاف وظيفة كلّ من الرجل والمرأة داخل الأسرة ٢٣٢
- الأسرة تتطلّب دور الزوجيّة للمرأة قبل الأموميّة ٢٣٤
- محوريّة دور المرأة في الأسرة ٢٣٥
- من آثار الثقافة الغربيّة تهميش قضيّة الأسرة ٢٣٦
- قيمة الحرّيّة لا تتعارض مع قيمة تشكّل الأسرة ٢٣٧
- السكينة الغاية السامية والمقصد الوجودي للأسرة ٢٣٨

- السياسات العامة للأسرة ميثاق البناء والتحصين الحضاري ٢٤٠
- السياسات العامة للأسرة ٢٤١
- الشباب الأمل والمستقبل ٢٤٥
- أهميّة الشباب في الميزان الحضاري ٢٤٥
- محاور بناء الشخصية والتوصيات السلوكية ٢٤٦
١. نواحي بناء شخصيّة الشباب ٢٤٧
٢. بناء الذات تكامل الأبعاد الفرديّة والجماعيّة ٢٤٧
٣. تقوية الأسس المعرفيّة وتجنّب الانفعال والانحراف ٢٤٨
٤. الاستمرار في طلب القيم المثاليّة والمساءلة ٢٥٠
٥. الانتقاد إلى جانب الاقتراح واجتناب التهكّم ٢٥٢
٦. الاستفادة من أصحاب التجربة ٢٥٣
٧. السيطرة على المشاعر ٢٥٤
٨. أهميّة صناعة الخطاب ٢٥٥
٩. الانتباه والحذر من تجنيد العدو لكم ٢٥٦
١٠. العمل بإخلاص ٢٥٧
- توصيات للمسؤولين والقيادات تجاه جيل الشباب ٢٥٩



١. التوجّه نحو الشباب واستثمار نقاء الفطرة..... ٢٥٩
٢. الاهتمام بالنخب الشابّة كفعلٍ سيادي..... ٢٦٠
٣. التحوّل في الرؤية الإدارية والثقة بالشباب ٢٦١
٤. إفشال مخطّطات العدوّ في إضعاف معنويّات الناس ٢٦٢
٥. التربية الأخلاقيّة وصناعة (فتح الفتوح الإنساني)..... ٢٦٣
٦. تقدير طاقات الشباب وتوظيفها الاستراتيجي ٢٦٥
- دعائي للشباب..... ٢٦٦
- التعبئة ظاهرة إبداعية ورسالة حضارية..... ٢٦٩
- خصائص التعبئة ومميّزاتها..... ٢٧٠
١. الظاهرة الإبداعية (الاستمرارية والديمومة)..... ٢٧٠
٢. الانبثاق من صلب الشعب..... ٢٧١
٣. التعبئة: الشبكة الأكبر عالمياً (ثقافياً، اجتماعياً، وعسكرياً) ٢٧٣
٤. التعبئة كنهجٍ فكري وثقافي ٢٧٣
٥. التعبئة ملهمة الشعوب المستضعفة ومنارة المقاومة ٢٧٤
٦. التعبئة منطق تحويل التهديد إلى فرصة..... ٢٧٥
- السمات العمليّة للتعبئة والتعبويّين..... ٢٧٧
١. الحضور المستند إلى الغايات الإلهيّة السامية..... ٢٧٨

٢. الشمولية في ساحات الحضور (من الخندق إلى المختبر) ٢٧٩
- آفات التعبئة (معوقات السلوك والارتقاء) ٢٨٠
١. الاستعلاء والغرور (مقتل النخبة) ٢٨١
٢. الغفلة والركون إلى النفس ٢٨٢
٣. الانغماس في التنافس المادي ووهن العزائم ٢٨٢
- وصايا استراتيجية لمنظومة التعبئة ٢٨٣
١. التقوى حصن النفس ومنطلق الثبات ٢٨٤
٢. البصيرة (بوصلة الحركة في الساحات المعقدة) ٢٨٥
٣. الجهوزية التامة والتأهب الشامل ٢٨٦
٤. المبادرة والابتكار في مواجهة الحرب الناعمة ٢٨٧
٥. التعبئة كمنصة لتبليغ منطق الثورة ٢٨٨
٦. استثمار الطاقات الجبّارة وصيانة الإرث ٢٨٨
٧. وحدة الكلمة وتجاوز الاختلافات الفكرية في سبيل الله ٢٨٩
٨. لا تسيئوا إلى التعبئة ٢٩٠
٩. المسجد (المحضن والمنطلق) ٢٩١
١٠. التكامل مع القوى الموازية ورفقاء الهدف ٢٩٢



١١. الإعلام الرسالي وإبراز المنجزات ٢٩٣
١٢. المرونة الميدانية ونبد البيروقراطية ٢٩٤
١٣. اليقظة أمام الاختراقات والمؤامرات ٢٩٤
١٤. إحياء القدوات (الوجوه الشاخصة في مدرسة التعبئة) ٢٩٥
- صحوة الشعوب (أفق المستقبل واليقظة الكبرى) ٢٩٧
- إدارة الوقت استثمار العمر في سبيل الكمال ٢٩٩
- تنظيم الوقت كأحد مصاديق الجهاد ٣٠٠
- إدارة الوقت ومواجهة الاستغراق في اللذائذ ٣٠١
- متطلبات تنظيم الوقت وإدارته ٣٠٤
١. الروح الجهادية (الوقود النفسي للإنجاز) ٣٠٤
٢. الالتفات إلى حاجات الناس (بوصلة العمل الاجتماعي) ٣٠٥
٣. الوعي والبصيرة (الدافع القلبي للإبداع) ٣٠٦
٤. فقه الأولويات ومعرفة الوقت المناسب للأعمال ٣٠٨
- السعي المستمر (عزمٌ لا يعرف الكلل أو التقاعد) ٣٠٩
- البيئة في الإسلام رؤية كونية ومسؤولية شرعية ٣١١
- الطغيان الإنساني وأثره في تدمير الطبيعة ٣١٢
- الرؤية الإسلامية للأرض والطبيعة (توازنٌ كوني ومسؤولية أخلاقية)

..... ٣١٣

١. البيئة والمنظومة التربوية للإنسان..... ٣١٣

٢. مشاعية الأرض وحقوق الأجيال ٣١٤

٣. الناس مكلفون بعمارة الأرض واكتشاف الكنوز ٣١٥

٤. إفساد البيئة (سمة ألد الخصام)..... ٣١٦

التربية والتعليم (القنطرة نحو إصلاح البيئة)..... ٣١٧

قضايا بيئية معاصرة (تحديات وحلول)..... ٣١٨

١. الغطاء النباتي (رئة الحياة وأصل الاستقرار)..... ٣١٨

٢. الاحتباس الحراري (فاتورة الصناعة الجائرة)..... ٣٢٠

٣. ذوبان الجليد القطبي (تبعات الاستغلال)..... ٣٢٢

خطوات الإصلاح البيئي (نحو استراتيجية وطنية شاملة)..... ٣٢٣

١. الميثاق الوطني والملحق البيئي الشامل ٣٢٣

٢. التجريم القانوني لإتلاف البيئة والملاحقة القضائية..... ٣٢٤

٣. الرقابة الصارمة وبناء الثقافة المجتمعية..... ٣٢٤

الفضاء الافتراضي الامتداد الرقمي للحياة المعاصرة..... ٣٢٧

١. واقعية الفضاء الافتراضي وتجذره في الحياة..... ٣٢٧



٢. آفاق لا متناهية: الفضاء الافتراضي كمنصة إعلامية عالمية ٣٢٨
٣. مسؤولية الكلمة في (ساحة الجميع) ٣٢٩
- جبهة الصراع القيمي والمعرفي (معركة بسلاح آخر) ٣٣٠
١. معركة الأسلحة الناعمة واستهداف الهوية ٣٣٠
٢. التوظيف الرسالي (تحويل التهديد إلى فرصة) ٣٣١
٣. استراتيجيات العدو في الحرب الرقمية ٣٣٢
- أ. السيطرة على الأجواء الفكرية والروحية: ٣٣٣
- ب. بثُّ اليأس وتزييف الواقع: ٣٣٥
- ج. استهداف (الأرواح السليمة) وتآكل الأمن الاجتماعي ٣٣٦
- الثبات والمبادرة (منطق المواجهة في الفضاء الرقمي) ٣٣٨
- مسؤوليات المواجهة والبناء في الفضاء الافتراضي ٣٤٠
- على طريق المواجهة (خطوات استراتيجية في مضمار الفضاء الرقمي) ٣٤٣
١. السيادة والضبط الرقمي ٣٤٣
٢. ترسيم الحدود مع العدو ٣٤٥
٣. المسجد (نواة المقاومة والتحصين) ٣٤٦

٣٤٨	٤. مسؤولية الحوزات العلميّة في جهاد التبيين
٣٤٩	٥. الترويج للإنجازات وكسر الحصار الإعلامي
٣٥٠	الاهتمام بالبرمجة والاستراتيجية
٣٥١	الحرية السياقات التاريخية والمنظور الإسلامي
٣٥٢	أولاً: مسار الحرية في الفكر الغربي
٣٥٣	ثانياً: النزعة الإنسانية وموقفها من الدين
٣٥٤	ثالثاً: نحو تأصيل إسلامي لمفهوم الحرية
٣٥٤	عناصر البحث حول الحرّيّة
٣٥٤	١. موضوع الحرية (بين الانعتاق الروحي والمسؤولية الاجتماعية)
٣٥٦	٢. الحرية في المنظور الإسلامي (الإطار والقيمة)
٣٥٨	٣. التوحيد مقابل الليبرالية (صراع المحاور)
٣٦٠	٤. الحرية والكرامة الإنسانية
٣٦١	منظورات الحرّيّة في الرؤية الإسلامية
٣٦٢	١. منظور (الحقّ) بالاصطلاح القرآنيّ
٣٦٤	٢. منظور التكليف (الحرّيّة كواجب شرعيّ)
٣٦٥	مقارنة الأبحاث المطروحة بين الآراء الغربيّة والإسلاميّة
٣٦٩	المعنويّة والأخلاق ركائز النهوض الحضاري



- أولاً: حتمية التوجّه المعنوي وأهميته..... ٣٦٩
- ثانياً: البلوغ المعنوي كدرعٍ في مواجهة الأحداث ٣٧٠
- ثالثاً: تمايز مفهومي المعنوية والأخلاق ٣٧١
- المواجهة في زمن الحرب على المعنويات ٣٧٢
- قواعد تعزيز الروح المعنوية..... ٣٧٣

١. التمسك بالقرآن الكريم (منبع المعنوية والمعرفة) ٣٧٣
٢. التأسيس الفكريّ (مرجعية التحول الرصين)..... ٣٧٥
٣. النزعة الثورية في مواجهة الانهزام المعنويّ ٣٧٧
٤. رفع صوت الشهداء..... ٣٧٨
٥. إشاعة السلوك الخُلقيّ (القدوة قبل القوة)..... ٣٨٠
- العلاقة الطردية بين حجم المسؤولية والبناء المعنوي ٣٨١
- أروع تجلٍّ للمعنويات (مدرسة الدفاع المقدّس ونهاج الصمود) .. ٣٨٣
١. في رحاب المجاهدين (العرفان العملي وروح الخدمة) ٣٨٣
٢. أمّهات الشهداء (معجزة الإيمان والتسليم) ٣٨٥
- المعنوية أساس المجتمع المهدويّ (من الانتظار السلبي إلى المبادرة) ٣٨٦
- البصيرة البوصلة المعرفيّة في زمن الفتن..... ٣٨٩
- أولاً: حقيقة البصيرة وماهيّتها..... ٣٩٠

- ثانياً: منهجية الرؤية عند البصير ٣٩١
- ثالثاً: البصيرة في مواجهة (لبس الباطل) ٣٩٢
- كيفية اكتساب البصيرة (ممارسة فكرية لا غايةً مستحيلة) ٣٩٣
- ارتباط البصيرة بمنظومة القيم (الشرط اللازم لا الكافي) ٣٩٤
١. البصيرة والإرادة (العزم) ٣٩٤
٢. العناصر الثلاثة للنجاح (البصيرة، الإخلاص، والعمل المناسب) ٣٩٥
- البصيرة والمقياس الموضوعي للحق ٣٩٦
- شاهدٌ من التاريخ (معركة صفين واختبار البصيرة) ٣٩٨
- دور البصيرة في المواجهة مع العدو ٣٩٩
- الصبر والنجاح مفتاح الظفر وبلوغ الغايات ٤٠٣
- الصبر بوصفه (بقاءً في الساحة) ٤٠٥
- الصبر ونجاح المسيرة ٤٠٦
- إنَّ الله مع الصابرين (مبادئ الصبر وفلسفة الظفر في الرؤية الإسلامية) ٤٠٧
- مبادئ الصبر (استراتيجية النهوض والظفر) ٤٠٨



١. الصبر في مواجهة الأعداء (البصيرة والتقوى) ٤٠٨
٢. الصبر في مواجهة البلاء (العمل العقلاني) ٤١٠
٣. الصبر في انتظار الفرج (الإعداد لا الاستعجال) ٤١١
٤. الصبر في العمل والإدارة ٤١٢
٥. الصبر في بلوغ الأهداف العليا (التحوّل والثبات) ٤١٣
- الرصيد المعنوي: مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومنبع الصبر ٤١٤
- معوقات الصبر (أثر الذنوب في لحظات الحسم) ٤١٥
- وصيّتي لكم الصبر كمسؤولية جماعية ٤١٦
- الأمل ركيزة الرؤية الكونية ومحرك النهضة الاجتماعية .. ٤١٩
- مظاهر الأمل وتجلياته الميدانية ٤١٩
١. حضور الشعب في الساحات (الركيزة الكبرى للنصر) ٤٢٠
- الأمل كدافع لتعويض التخلف التاريخي ٤٢١
٢. الدعوة إلى الأمل (التكليف الرسالي والمسؤولية الجماعية) ٤٢٢
- أولاً: مسؤولية النخب وعلماء الدين ٤٢٢
- ثانياً: المسجد كمحضن للنشاط والتطلّع ٤٢٣
- ثالثاً: القوى الناعمة (الفن والأدب) في خدمة الأمل ٤٢٤
٣. التقوى (درع الثبات ومنبع القوة المعنوية) ٤٢٥

الأمّل وقضيّة فلسطين (حتميّة النصر ومحرك المقاومة)	٤٢٥
دور التربية والتعليم في غرس روح الأمّل	٤٢٨
الأمّل (المحرك الاستراتيجي للثورة الإسلامية)	٤٢٩
الزهد هندسة التعالي ومنطق التدبير	٤٣٣
تعريف الزهد	٤٣٤
طريق تحصيل الزهد	٤٣٥
الزهد صفة الفرد	٤٣٦
الفرق بين التعلّق بالدنيا وإعمارها	٤٣٧
الزهد أحد شروط الوصول إلى المقامات المعنويّة	٤٣٨
أولاً: الزهد شرطاً للكمال المعنوي	٤٣٨
ثانياً: الرفاه الاجتماعي والتحرّر من (المدنيّة الماديّة)	٤٣٩
ثالثاً: التوازن الرسالي بين البناء المادي والمعنوي	٤٤٠
الزهد (سلاح المواجهة وأمانة المسؤولية)	٤٤١
أولاً: الزهد سلاحاً استراتيجياً في وجه الغزو الثقافي	٤٤١
ثانياً: تداعيات ترك الزهد (من استلاب الروح إلى وهن الإرادة) .	٤٤٢
ثالثاً: زهد المسؤولين (القدوة وأثرها في استقرار القيم)	٤٤٤

